
بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء السابع.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء السابع



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٤٠

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-10-9**

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

٧- محور الدراسات اللغوية والأدبية

- قراءات دلالية ولسانية في خطبة الغدير.
- خطبة الغدير في ضوء المناهج اللغوية والنقدية الحديثة.
- الغدير والغديريات في الأدب العربي.
- الغدير في الأدب العالمي.

الحجاج الأدبي لواقعة الغدير شعراء القرن الأول والثاني الهجريينِ أنموذجاً

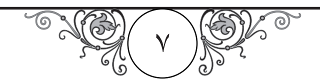
م. د. مصعب مكي عبد زبيبة

التمهيد: أهمية الشعر في الحجاج الأدبي

يرصد لنا كتاب الغدير للسيد عبد الحسين أحمد الأميني النجفي وقفات حجاجيَّة عديدة قرآنيَّة منها، وسنة شريفة؛ فضلاً عن الاحتجاج بالأدب لما يحمل من بعد ثقافيّ واجتماعيّ عميقينِ عند العرب في العهود القريبة من ظهور الإسلام، علماً أنَّ الأدب لم يتقهقر عن مكانته إلى يومنا هذا؛ فظلَّ محافظاً على موقعهِ الأصيل من المجتمع والحضارة.

يقول السيِّد الأمينيّ في أهمية الشعر الموالي، أو ما أطلقَ عليه بـ (الشعر المذهبيّ) بحسب الأمينيّ: ((هناك للشعر المذهبيِّ مآرب أُخرى هي من أهمِّ ما نجده في شعر السلف، ألا وهي الحجاج في المذهب، والدعوة إلى الحقِّ، وبثِّ فضائل آل الله، ونشر روحيَّات العترة الطاهرة في المجتمع، بصورةٍ خلَّابة، وأُسلوب بديع، يُمازج الأرواح، ويُخالط الأدمغة))(١).

وللشعر أهمية عظمى في منهج أهل البيت (عليهم السلام)، فقد جاء في كتاب الغدير ما نصه: ((وقد يكسب الشعر بناحيته هذه أهمية كبرى عند حماة الدين أهل بيت الوحي حتَّى يُعدَّ الاحتفاء به، والإصغاء



إليـه، وصرف الوقـت النفيـس دون سـماعة واسـتماعه مـن أعظـم القربـات وأولى الطاعـات، وقـد تُقـدَّم عـلى العبـادة والدعـاء في أشرف الأوقـات وأعظـم المواقـف، كما يُسـتفاد مـن قول الإمـام الصـادق (ع) وفعلـه بهاشـميَّات الكميت لَّـما دخـل عليـه في أيَّـام التشريـق بمنـى فقـال لـه: جعلـت فـداك ألا أُنشـدكَ؟ قـال: إنَّهـا أيَّـام عظـام قـال: إنَّهـا فيكـم، فلـمَّا سـمع الإمـام (ع) مقالـه بعـث إلى ذويـه فقرَّبهـم إليـه، وقـال: هـات فأنشـده (لاميتـه) مـن الهاشـميات فحظـي بدعائـه (ع) لـه، وألـف دينـار وكسـوة))(٢). وهـذا يبـين بصـورة جليّـة أهميـة الشـعر عنـد أهـل البيـت (عليهـم السـلام) بـشرط أن يكـون عـلى جـادة الحـقِّ، وفي سـبيل الله سـبحانه وتعـالى. وجـاء أيضـا في أهميـة الشـعر في إظهـار الحـقِّ وجلائـه مـن ((بـاب الإلقـاء والحجـاج وإفهـام المسـتمع، وإن أخـذه بمجامـع القلـوب والأفئـدة آكـد مـن الـكلام المنثـور))(٣).

والحقيقـة أن هـذه النظـرة نابعـة مما شرعـه القـرآن الكريـم مـن مبـادئ رسَّـخها باتجـاه الشـعر والشـعراء حـين فصـل بـين مسـارين أحدهمـا يتجـه نحـو الأخـلاق والإنسـانيَّة والمبـادئ السـامية والفضيلـة ونبـذ الانحـلال والتفسـخ والاجتماعـي والأخلاقـي، والاتِّجـاه الثـاني هـو الاتجـاه المشـوَّه الـذي يدعـو إلى الرذيلـة والكـذب والنفـاق والباطـل، ومسـاندة أهـل الضـلال والظلـم، وهكـذا جبـل الله الإنسـان نحـو هذيـن الاتجاهـين فقـال تعـالى: (إِنَّـا هَدَيْنَـاهُ السَّـبِيلَ إِمَّـا شَـاكِراً وَإِمَّـا كَفُـوراً)(٤)، لقـد أمـدَّ الله سـبحانه وتعـالى شـعراء هذيـنِ الاتجاهـين بالقـدرة والموهبـة والخيـال والإبـداع المرهـف، ليكـون الشـاعر بعـد ذلـك مسـؤولاً عـمَّا يسـتجليه مـن معـان وموضوعـات لتصب

في أحد هذين الاتجاهين اللذين أشرنا إليهما سابقا إن الله أراد من الإنسان أن يكون جوهراً صالحاً مفيداً يسيرُ على جادة الحقِّ، ولا يزوغ عن هذا الاتجاه طرفة عين، أراد القرآن من الشعر أن يكون رسالة إنسانية مبدئية، وطريقاً سوياً تسير عليه الأمة يتَّصفُ بالإصلاح والصدق، لقد أشار القرآن إلى هذين الاتجاهين بوضوح لا يدع مجالا للتأويل أو الشك فأما أن يكون بجادة الحق والصدق أو يكون بجادة الباطل والكذب قال الله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)(٥) الاتجاه الأول، الذي ميّزته بصورة أوضح الفاصلة القرآنية التي كانت فاصلا بين الاتجاهينِ، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)الشعراء٢٢٧ وهو الاتجاه الثاني. إذاً إمَّا أن تكون باتجاه الغاوين أو باتجاه المصلحين، وهذا هو ما أراده أئمة أهل البيت عليهم السلام بالضبط من دون نقص أو زيادة.

وهذا النهج لم يحد عنه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وهو القائل: ((إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة))(٦)، وقال: ((لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل حنينها))(٧)، وقد سار على نهج القرآن الكريم عندما حدَّد المسارين (الصالح والطالح) بقوله: ((إنَّما الشعر كلام مؤلَّف فما وافق الحقّ فهو حسن، وما لم يوافق الحقَّ فلا خير فيه))(٨). إذ يصنف (صلى الله عليه وآله) الشعر على صنفين أحدهما يوافق الحق، وهو المطلوب من الشاعر الملتزم أن يؤديه، والأخر يخالف الحق ولا يسير على منهجه القويم.

لقد كان الشعر سلاحا مهما في نصرة الإسلام قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل))(٩)، وكان الإسلام يحرم من يمدح الظالمين في كلِّ زمان ومكان؛ لأنَّ هذا العمل خلاف النهج الذي اختططه الإسلام فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((احثوا في وجوه المداحين التراب))(١٠). وعلى هذا المنوال قال الرسول (صلى الله عليه وآله): ((من مدح سلطاناً جائراً، أَو تخفَّف وتضعضع لهُ طمعاً فيه، كان قرينه في النار))(١١). نعم إذا كان الشعر ينبع من عمق إنساني لا يتأثر بالنفاق السياسي فإنه يتراءى للنفس على أنه شعاع من المعرفة والفن والأصالة.

المبحث الأول: المهاد النظري للحجاج

عُرِّفَ الحجاج بأنَّه: ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدِّي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))(١٢)؛ فالحجاج يسعى بشكل دؤوب إلى أن تذعن عقول السامعينَ أو القارئينَ لما يطرحه النصّ من أفكارٍ بحيث يضمن الاستجابة القوليةَّ أو العمليَّة، أو التمسَّك بما يطرحه النصّ من عقائد، أو قل على أقل تقدير يلزمهم الحجة والبينة بما يقدّمه من براهين وأدلّة، بحيث يجعلهم غير معذورينَ أمام الله سبحانه وتعالى، وأمام أنفسهم بأنَّهم لم يتعرفوا على الحقيقة أو العدل، وقد عرِّف الحجاج من الناحية التداولية، فقد جاء بتعريفه بأنَّه: ((فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأنَّ

طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخباريَّة، وتوجُّهات ظرفيَّة، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عمليَّة، إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانيَّة الضيِّقة))(١٣)، ولهذا يمكن القول بأنَّ الجانب الخطابي سوف يتحوَّل إلى فعل عملي، أو قولي فيما بعد، وهذا ما يعرف بـ (السلالم الحجاجيَّة)(١٤). وتتأسَّس بنية الحجاج من عناصر المكونات اللغويَّة المكوِّنة لمعاني الجمل والنصوص، وهو ما يعرف بـ (الروابط الحجاجية وعواملها)(١٥). فالعلاقة الدلاليَّة حاضرة في الممارسة الحجاجيَّة بشدَّة، ((فالباثُّ يعوِّلُ على الحجَّة كدليل يلتمسه في إنتاج الفعالية الخطابية والقصدية المتصلتينِ باللغة، التي تنطوي على أقوى مظاهر القصديَّة))(١٦)، ولا يكون العمق الحجاجي وشدَّته إلَّا بوساطة الأدوات البلاغيَّة التي هي نظير الحجاج وقسيمها على حد المساوات العملية. وتتسم الحجج اللغوية بميزات منها(١٧):

١ـ إنَّها سياقية: بمعنى أن السياق هو من يمنح العناصر الصفة الحجاجية، فقد يكون العنصر الدال حجة أو نتيجة أو غير ذلك بحسب السياق.

٢ـ إنَّها نسبية: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فالحجج قد تكون قوية أو ضعيفة، أو قوية وأقوى؛ فقد تقدِّم حجة قوية، فيردُّ الآخر بحجة أقوى منها فتدحضها.





٣ـ إنَّها قابلة للإبطال: فالحجاج اللغوي نسبي ومرن وسياقي، أما البرهان المنطقي فهو حتمي. والعلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة تدعى (العلاقة الحجاجية)

وعلى الرغم من أن حظ الشعر أقل من النثر في الحجاج لكون النثر مرتبط بالعقل والفكر والمنطق والبرهنة التي هي شديدة الصلة بالحجاج، في حين أن هذه المسائل قليلة الشأن في الشعر؛ لأنَّ التركيز والتبئير يكون منصباً على العاطفة والوجدان، إلَّا أنَّنا لا نعدم ظهور الحجاج في فنِّ الشعر والقصيدة.

المبحث الثاني: أولاً: اتجاهات الخطاب الحجاجي

أـ الغائية القصد المعلن

غاية الحجاج هو الإقناع والإذعان بما يحمله الخطاب سواء أكان نثراً أو شعراً من أفكار وآراء وطروحات ومعتقدات، وقد أولت القصيدة الغديريَّة في القرنينِ الأول والثاني تأكيد أحقية الإمام بالخلافة وأثبتت بطلان وسلبية الاتجاه المخالف لهذا الاعتقاد الراسخ.

فالقصد المعلن في القصيدة يتَّجه نحن إثبات واقعة غدير خم، وقد اتسم تأطير هذه الغائية بأسلوب مباشر وآخر مبطن، وعلى هذا المنوال اتجه (عمرو بن العاص) (ت ٤٣هـ) في قصيدته المعروفة بـ (الجلجلية)، بتصريح مباشر من العدو، وهذا يكون أوقع بالاستدلال، فهو أكثر حجيَّة، إذ يقول:



وكـم قـد سمعنا مـن المصطفى   وصـايـا مخـصَّـصـة في عـلي؟
وفي يـوم (خـمٍّ) رقـى منـبراً   يُـبـلِّـغ والـركـب لم يـرحـلِ
وفي كـفِّـه كـفُّـه معـلـنـاً   يُـنـادي بـأمـر الـعـزيـز العلي
أ لـستُ بكم منكمُ في النفوس   بـأولى؟ فـقـالـوا: بـلى فـافعلِ
فـأنـحـلـه إمـرة المؤمـنـين   مـن الله مُـسـتـخـلف المنـحلِ
وقـال: فـمـن كـنـتُ مـولىً له   فـهـذا لـه الـيـوم نـعـم الـولي
فـوال مـوالـيـه يـا ذا الجـلا   ل وعـاد مـعـادي أخ المـرسـلِ
ولا تـنـقـضـوا الـعـهـد مـن عـترتي   فـقـاطـعـهـم بي لم يـوصـلِ(١٨)

والقصيـدة وإن جـاءت مـن دافـع الانتقـام بعـد أن حـرم مما وعـد بـه مـن قبـل معاويـة إلا أنهـا تـصرح بصـورة مباشرة بأحقيـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بالخلافـة، وإنـه قـد اغتصـب حقـه أمـام أنظـار الجميـع

أمـا التصريـح المبطـن غـير المبـاشر فيقـول عمـر بـن العـاص في القصيـدة نفسـها:

فـبـخـبـخ شـيـخـك لمَّـا رأى   عُـرى عـقـد حـيـدرَ لم تُحـلـلِ
فـقـال: ولـيِّـكـمُ فـأحـفـظـوه   فـمـدخـلـه فـيـكـمُ مـدخـلي(١٩)

وهـو في هـذه الأبيـات يلمـز معاويـة عندمـا يقـول: (شـيخك) وهـي إشـارة إلى قـول عُمَـرُ بْـنُ الْخَطَّـابِ ((بَـخٍ بَـخٍ لَـكَ يَـا ابْـنَ أَبِي طَالِـبٍ أَصْبَحْـتَ مَوْلايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْـلِمٍ))(٢٠).

ب الاتساق:

يجـب أن يكـون الخطـاب الحجاجـي عـلى درجـة عاليـة مـن الاتسـاق



والتناسق والتناسب والانسجام؛ فيجب أن تكون الأفكار على مستوى بلاغي عال تتجلى فيها الصور البيانية ومحتضنة للجمال، وربما تأتي الفكرة الواحدة بصور متعددة، وذلك لغرض التأكيد ومن ثم التأثير.

يقول السيد الحميري:

يا أهل كوفان إني وامق لكم	**مذ كنت طفلا إلى السبعين والكبر**
أهواكم وأواليكم وأمدحكم	**حتما عليَّ كمحتوم من القدر**
لحبكم لوصي المصطفى وكفى	**بالمصطفى وبه من سائر البشر**
والسيدين أولى الحسنى ونجلهم	**سمي من جاء بالآيات والسور**
هو الإمام الذي نرجو النجاة به	**من حر نار على الأعداء مستعر(٢١)**

إذ نلاحظ في هذه الأبيات الجميلة الموالية الملتزمة الأساليب البيانية التي تساعد الاحتجاج على البروز والظهور والإبانة، فلاحظ أسلوب التشبيه في (كمحتوم من القدرِ) وهذا التشبيه يظهر الحتمية التي لا بد منها مثلما أن القدر ويوم القيامة لابد منهما. ثم نلاحظ الاتساق والانسجام والتسلسل التدريجي ابتداء من حب الشاعر لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم وصي الرسول الإمام علي (عليه السلام)، وهذه لفتة احتجاجية واضحة، إذ يظهره مسلما بأنه هو الوصي من دون طرح الأدلة، وهذا أمكن في الاحتجاج إذ أخذه من المسلمات، ثم الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وهكذا إلى جميع الأئمة (عليهم السلام). ثم نلاحظ التأكيد؛ فقد أظهر الموالاة والحب بكلمات عديدة تؤدِّي إلى المعنى نفسه فقال: (أهواكم أواليكم أمدحكم)، وذكر حبه لأهل الكوفة؛ لأنَّهم موالون

لأهـل البيـت (عليهـم السـلام)، وذكـر الشـاعر بأنَّـه (وامـق)، وهـو الحَـبُّ المؤكـد الـذي يحصـل مـن دون رِيبـةٍ أو شـكٍّ.

جـ التحاور:

وتتجـلى هـذه التقنيـة في التسـاؤلات والـردود، ويحمـل التحـاور أهميـة بـما يفـترض مـن تعـدد في الآراء والرفـض والقبـول اللـذان يكونـان حـاضران أمام المسـتقبل الـذي تتـاح لـه فرصـة الاختيـار في خضـم الـرؤى المتعـددة. إذ يقـوم الحجـاج عـلى موضوعيـة الحـوار؛ فـلا يقـف المُحَاجِـج موقـف الخصـم المعانـد، بـل يقـف موقـف الشريـك المتعـاون، لأجـل اسـتمالة المتلقـي(٢٢).

والمثال على ذلك قول حسان بن ثابت (ت ما بين ٣٥ ـ ٤٠ هـ).

يُـنـاديهـمُ يـوم الـغـديـر نبيِّهم	بـخـمٍّ وأسـمـع بـالـرسـول مناديا
فـقـال: فـمـن مـولاكـم ونـبـيِّـكم	فقالـوا ولم يبـدوا هنـاك التعاميا:
إلهـك مـولانـا وأنـت نبينـا	ولم تـلـق مـنَّـا في الـولايـة عاصيا
فـقـال لـه: قـم يـا عـليُّ فإنـني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فـمـن كـنـت مـولاهُ فـهـذا ولـيِّه	فكـونـوا لـه أبـتـاع صدق مواليا
هـنـاك دعـا الـلـهـمَّ وال ولـيَّه	وكن لِلذي عـادا عليّاً معاديا(٢٣)

والحوريـة فيهـا مقاصـد حجاجيـة بليغـة يمكـن أن نتلمسـها في هـذه الأبيات الجميلـة التـي تعـد ((أوّل مـا عـرف مـن الشـعر القصـصي في روايـة هـذا النبـأ العظيـم، وقـد ألقـاه في ذاك المحتشـد الرهيـب، الحافـل بمائـة ألـف أو يزيـدون)) (٢٤).

د ـ المرجعيّة العلميّة والموضوعيّة:

وهي ضرورة حجاجية؛ إذ إنَّها تستند إلى وثيقة تاريخية دقيقة غير قابلة للإنكار أو التنصل وتحاول توخي الموضوعيّة العلمية في الطرح بما تحمل من مستند سواء أكان هذا المستند قرآني أم حديثي أو وثائقي.

يقول الإمام علي (عليه السلام) (٤٠هـ) في الأبيات المنسوبة إليه:

فأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خمٍّ
فويلٌ ثمَّ ويلٌّ ثم ويلٌ لمن يلقى الإله غدا بظلمي(٢٥)

وهذا الكلام الصادر على لسان الإمام علي (عليه السلام) وهو أمير المؤمنين وأصدق الصادقين تعدُّ وثيقة مهمة. وكيف إنكار قول الإمام (عليه السلام)؟! ((وقد شاع في شهرته على حدٍّ يرتفع فيه الخلاف، وانتشرَ حتى صار مذكورا مسموعاً من العامَّة فضلا عن الخاصَّة... وإنَّه وقع مع المعرفة بالحجة والبيان، وفيه أيضا أنَّه كان الإمام عبد الرسول صلَّى الله عليه وآله، بدليل المقال الظاهر في يوم الغدير الموجب له للاستخلاف))(٢٦).

ثانياً: هيكليات المؤسسة لتقنيات اللغة المتجهة نحو القصيديَّة

أ ـ الاستراتيجية التضامنية أو التبجيلية

وهذه الاستراتيجية تحاول التقرب من المرسَل إليه وأدناه، بغية تغليب منطق التأدب مع المخاطب واحترامه وتبجيله والتودد إليه(٢٧)، وهو ما يصطلح عليه بـ (التخلُّق). فالخطاب الذي يراد إليه أن يصل يجب أن

يكـون ذات طابـع متسـاهل غـير عنيـف، وهـذا مصـداق قولـه تعـالى: (ادْعُ إِلِى سَـبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمُوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُـم بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ إِنَّ رَبَّـكَ هُـوَ أَعْلَـمُ بِمَـن ضَـلَّ عَـن سَـبِيلِهِ وَهُـوَ أَعْلَـمُ بِالْمُهْتَدِيـنَ)(٢٨).

يقول الشاعر قيس بن سعد(٢٩)

جزى اللهَ أهل الكوفة اليوم نصرةً	أجابوا ولم يأتوا بخذلان من خذلْ
وقـالـوا عـلي خـيرُ حـافٍ ونـاعـلٍ	رضينا به من ناقضي العهد من بدل
هـما أبــرزا زوج الـنـبـي تـعـمـداً	يسوقُ بها الحادي المنيخ على جملْ(٣٠)

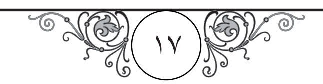
وهنـا يسـتعمل الشـاعر الأسـلوب اللـين المـرن مـن أجـل اسـتعطاف مشـاعر أهـل الكوفـة ليقفـوا إلى جانـب الحـق، فالحـق وإن كان الجديـر بالنـاس أن يتبعـوا إلا أنـه يحتـاج إلى جانـب مـن الحجـاج الاسـتعطافي مـن أجـل ميـل النـاس إلى جانبـه.

ب: الاستراتيجية التوجيهية أو التوبيخية

ونـرى فيهـا صـور الإنـذار والتحذيـر والتوبيـخ والتقريـع ولا يكـون ذلـك إلا جـراء عمـل مشـين أو تـرك شيء مهـم لا ينبغـي ان يـترك. وتكـون هـذه الاسـتراتيجية نابعـة مـن ((العلاقـة مـن التبايـن الشـديد حتـى التقـارب الملمـوس))(٣١)، ويكـون خطـاب هـذه الاسـتراتيجية واضحـا مبـاشرا صلفـا، قصـير العبـارة لا يحتـاج إلى اللـف والـدوار أو المرونـة والمـداراة.

يقول حسان بن ثابت:

سـوف يـدعـى الـولـيـد بـعـد قليل	وعـــلي إلى الجـــزاء عـيـانـا





فـعـلي يجـزى هـنـاك جنانـا ... وولـيـد يجـزى هـنـاك هـوانـا

رب جـد لـعـقـبـة بـن أبـان ... لابـسٌ في بـلادنـا تُـبَّـانـا(٣٢)

ويقول قيس الأنصاري:

فـما للزبير الناقض العهد حرمةٌ ... ولا لأخيـه طلحة اليـوم مـن يدِ

أتـاكـم سليل المصطفى ووصيِّـه ... وأنتم بحمد الله عار من الهـدِّ(٣٣)

والأبيـات فيهـا إشـارة إلى قولـه تعـالى: (فمـن كان مؤمنـا كمـن كان فاسـقا لا يسـتون)

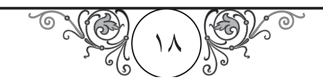
جـ: الاستراتيجية الإقناعية:

وهـي الاسـتراتيجية غـير القمعيـة أو الإكراهيـة، وتسير نحـو التخييريـة والاسـتدالية والحجيـة التـي تجعـل هامشـا مـن الفكـر لكـي يحـدد الاتجـاه الـذي يـود السير عليـه، فهـي ((لا تكتسي صبغـة الإكـراه ولا تـدرج عـلى منهـج القمـع، وإنـما تتبـع في سـبيل تحصيـل غرضـا سـبلا اسـتدلالية متنوعـة تجـر الغير جـرا إلى الاقتنـاع بـرأي المحـاور))(٣٤)، وتكـون هذه الاسـتراتيجية عنـد توافـر أكثـر مـن خيـار يتـاح للمتلقـي التخـير بينهـا، وترجيـح الأكثـر مقبوليـة، وهـذا مصـداق قولـه تعـالى: (إِنَّـا هَدَيْنَـاهُ السَّـبِيلَ إِمَّـا شَـاكِراً وَإِمَّـا كَفُـوراً)(٣٥).

ثالثاً: مستوى لغة الحجاج:

أـ الانزياح عن الخبر إلى الانشاء

الانزياح الاستفهامي



وفيـه تقريـع وتركيـز عـلى بـؤرة مركزيـة ينضـوي عليهـا الحـث عـلى التفكـر عـلى هـذه النقطـة، ويكـون الاسـتفهام لا يطلـب منـه الإجابـة بـل يطلـب منـه مراجعـة النفـس وإرجاعهـا إلى جـادة الحـق المبـين، وذلـك بجعـل ((المرسَـل إليـه يركـز عـلى نقطـة ملحـة في الخطـاب، أو ليتحقـق المرسِـل مـن أن المرسَـل إليـه مركـز عـلى نقطـة محـددة سـلفا))(٣٦)، وهـذا النمـط مـن الانزيـاح يحتـل موقعـا مهـما مـن البلاغـة لمـا ينضـوي عليـه مـن تبؤيـر عـلى نقـاط معينـة. وفيـه يغلـف المرسـل مقصـده بغـلاف التسـاؤل ومـن ورائـه مقاصـد آخـر مـن بينهـا ضـم المرسَـل إليـه لخطابـه والمشـاركة بالـكلام مـع المرسِـل، أو فـرض الأمـر الواقـع ويعـبر عـن هـذه الاسـتراتيجية بـ (التلميحيـة)(٣٧).

يقول قيس الأنصاري:

فـما هـكـذا كـانـت وصـاة نبيِّكم — وما هكذا الإنصاف أعظم بذا المثلْ
فـهل بـعد هـذا من مقال لقائل؟ — ألا قـبَّـح الله الأمـانيَ والـعـلـلْ

قول حسان بن ثابت في الإمام علي (عليه السلام):

أيَذْهبُ مَدحي في المُحِبِّين ضَائعاً — ومَـا المَـدحُ في ذاتِ الإلَـهِ بِضائِعِ
فأنتَ الذي أعطيتَ إذْ كُنتَ رَاكِعاً — فَدَتْكَ نفوسُ القَومِ يَا خَيرَ رَاكِعِ
بِـخَـاتَمِـكَ الميمون يَـا خَـيْرَ سَيّدٍ — ويَـا خير شارٍ ثم يا خير بايعِ(٣٨)

ويقول عمرو بن العاص:

وإن كـان بـيـنـكـما نـسـبـةٌ — فـأيـن الحـسـام مـن المـنـجـلِ؟
وأيــن الـثـريَّـا وأيــن الـثـرى؟ — وأيــن مـعـاويـة مــن عـلي؟

الانزياح الشرطي:

وهـذا الانزيـاح يبتنـى غالبـا عـلى الإطالـة التـي تفيـد الترسـيخ الأمـر الاحتجاجـي، ومبعـث هـذه الإطالـة ناتـج عـن ان الجملـة الشرطيـة تحتـاج جملتـين الأول جملـة فعـل الـشرط والثانيـة جوابـه.

يقول محمد الحميري:

يحـلُّ الـنـار قـومٌ أبـغـضـوه وإن صلُّوا وصاموا ألف عامِ(٣٩)

ويقول أبو المستهل الكميت:

ويـوم الـدوح دوح غـديـر خـمٍّ أبـان لـه الـولايـة لـو أُطـيـعـا

ولـكـنَّ الـرجـال تبـايـعـوهـا فـلـم أرَ مـثـلـهـا خـطـرا مبيعا

الانزياح التحضيضي:

ويتماهـى هـذا الانزيـاح بـما يحتمـل مـن تقريـع وتعنيـف وزجـر، إذ إن الاحتجـاج التحضيـضي يقـع في كلـمات صادمـة جزلـة، وإمـا إذا كان الخطـاب شـفاهي فإنـه يقـع بصـوت مرتفـع نسـبيا.

الانزياح بالقسم:

وبالقسم يتوثق الكلام ويعلو شأنه

يقول محمد الحميري في مطلع قصيدته:

بـحـقِّ مـحـمـدٍ قـولـوا بـحـقٍّ فـإنَّ الإفـكَ مـن شيـم الـلـئـامِ

أ بـعـد مـحـمـد بـأبي وأمِّـي رسـول الله ذي الـشرف التهامي

أ لـيـس عـلـيٌّ أفـضـل خـلـق ربي وأشرف عند تحصيل الأنامِ(٤٠)؟!

ثانيا الانزياح من الانشاء إلى الخبر

وهـو أقل مـن الانزيـاح الأول (الانزيـاح مـن الخـبر إلى الانشـاء) إلا أننـا لا نعـدم هـذا النمـط مـن الاحتجـاج لمـا يحمـل مـن تؤطئـة إقناعيـة مهمـة.

١ـ الانزياح إلى الحصر:

وهـذا النـوع مـن الحجـاج، يمكـن التمثيـل عليـه بقـول الكميـت بـن زيـد الأسـدي:

فـما لي إلا آل أحمـد شيعة ... وما لي إلا مشعب الحق مَشعبُ

٢ـ الانزياح إلى النفي:

وهذا النوع من الحجاج، يمكن التمثيل عليه بقول محمد الحميري:

أليـس عـليٌّ أفـضـل خـلـق ربي ... وأشرف عند تحصيل الأنامِ(٤١)؟!

ويقول أيضاً:

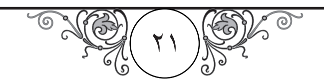
ولا والله لا تـزكـو صـلاةٌ ... بغير ولايـة العـدل الإمـامِ(٤٢)

ثالثا: الانزياح من الفعلية إلى الأسمية

ويرسـخ هـذا النمـط مـن الانزيـاح مبـدأ الاسـتمرارية والمداومـة التـي تتحلى بهـا الجمـل الأسـمية، فضـلا ممـا يجلبـه مـن وسـائل مبالغـة وتفخيـم وتوكيـد تسـببه الفعاليـة الانتقاليـة مـن أسـلوب إلى آخـر، والتهويـل الـذي يضفيـه هـذا الانتقـال نحـو الثبـوت والرسـوخ.

ثانيا: مستوى بلاغة الحجاج

تضـخ البلاغـة جوانـب عاطفيـة وجماليـة يفيـد منـه الحجـاج؛ لأن النفس



الإنسانية تسكن وتهدأ عندهما. فالخطاب الممتع البليغ أكثر تقبلا واستجابة من غيره التقرير أو الركيك، الذي ربما يعطي مردودات عكسية.

١ـ التصوير:

وهو أن تبتعد عن القول المباشر الصريح إلى آخر استعاري تصويري

٢ـ الإيجاز

الاطالة أو ما يعبر عنه بـ (الاطناب) مثلما هو معلوم تؤدي إلى الملل والتكاسل وعدم الانتباه مما يضر بالغاية الحجاجية، بخلاف الايجاز الذي يسهم في تقوية القدرة التركيزية، والمقبولية.

قول الشاعر قيس الأنصاري:

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل

وعلي إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل

يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل

إنما قاله الرسول على الأمة حتمٌ ما فيه قال وقيل(٤٣)

((فشهد هكذا شهادةً قطعيَّةً بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) من جهة خبر يوم الغدير، صرَّح بأنَّ القول فيه يوجب رياسته على الكلِّ وإمامته عليهم))(٤٤)

٣ـ الإيقاع:

الإيقاع ليس زخرفا مثلما يعتقد بل هو يحمل طياته منحنيين حجاجيين احدهما صوتي موسيقي والنفس تطرف وتجذب للنغمة الصوتية المتزنة،

وآخـر معنـوي يتعاضـد مـن المنحـى الصـوتي. ولهـذا يكـون للإيقـاع فضـاء حجاجـي مهـم.

أ مستوى الانتظام في نسق السجع

ب العـدول عـن اسـتاق السـجع، عندمـا يـضر الاتسـاق السـجعي ويجعلـه رتيبـا مملا يعـدل إلى كـسر هـذه الرتابـة بوسـاطة الانزيـاح

وقـد ذكـر عبـد الحسـين الامينـي النجفـي سـبب ذكـر الشـعر والنثـر في موسـوعته الغديريـة بالقـول: ((إثبـات شـهرة الحديـث وتوارتـه في كلِّ جيـل، وأنَّـه مـن أظهـر مـا تلوكـه الأشـداق نظـما ونثـراً))(٤٥).

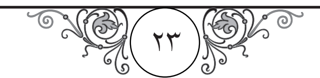
الخاتمة:

إن للحجـاج آليـات وتقنيـات اسـتعملها الشـعر والأدب في إثبـات أحقيـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في الخلافـة وأسـبقيته وريادتـه في تقليـد زمـام امـر المسـلمين، فكانـت لـه الحجـة فهـذه الحجاجـات الأدبيـة التـي أثبتهـا الأدب فضـلا عـن الحجـاج في القـرآن الكريـم والسـنة الشريفـة وأحاديثـه في نهـج البلاغـة وغـيره، وأحاديـث أهـل البيـت (عليهـم السـلام)، بـل حتـى أحاديـث الخصـوص والمناوئـين.

الهوامش

١- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ١٢.

٢- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٣٣.



٣- الغدير في الكتاب والسنة ٣/ ١٣.

٤- الإنسان: ٣.

٥- الشعراء٢٢٤

٦- الطيالسى، وأحمد، وأبو داود، والطبرانى عن ابن عباس. الخطيب عن أبى هريرة. الطبرانى عن أبى بكرة) حديث ابن عباس: أخرجه الطيالسى (ص ٣٤٨، رقم ٢٦٧٠)، وأحمد (١/ ٣٠٣، رقم ٢٧٦١)، وأبو داود (٤/ ٣٠٣، رقم ٥٠١١)، والطبرانى (١١/ ٢٨٧، رقم ١١٧٥٨). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤/ ٢٢٠، رقم ٢٣٣٢)، وابن حبان (١٣/ ٩٦، رقم ٥٧٨٠). حديث أبى هريرة: أخرجه الخطيب (١٠/ ٣٤٨). حديث أبى بكرة: أخرجه الطبرانى في الكبير كما في مجمع الزوائد. وأخرجه أيضًا: فى الأوسط (٧/ ٣٤١، رقم ٧٦٧١).

٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٤.

٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٧.

٩- مشكاة المصابيح، ولي الدين الخطيب: ٤١٠، وفي رواية عن عائشة أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: ((أهجو قريشاً فإنَّه أشدُّ عليهم من رشق النبل))، ظ: المصدر نفسه: ٤٠٩.

١٠- وسائل الشيعة، ج١٧ص١٦٨، الباب: ٤٣

١١- من لا يحضره الفقيه: ٤ / ١١، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود سنة: ٣٠٥

هجرية بقم، و المتوفى سنة: ٣٨١ هجرية، طبعة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط٣، ١٤١٣ هـ، قم / إيران.

١٢- الحجاج أطره ومنطلقاته تقنياته، عبد الله صولة، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) بإشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب بمنوية، ١٩٩٩: ٢٩٩.

١٣- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: ٦٥.

١٤- ظ: نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت: ٣٩٥.

١٥- ظ: نظرية الحجاج في اللغة، شكري البمخوت: ٣٧٨.

١٦- منزلة الأمثال العربية في ترسل ابن زيدون، دراسة في ضوء نظرية الحجاج، بلسم العمري رسالة جامعية، الجامعية الأردنية، ٢٠١٣: ٦٨.

١٧- ظ: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: ١٨ - ٢٠.

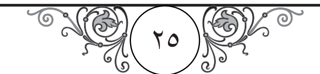
١٨- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ١٣٨.

١٩- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ١٣٨.

٢٠- يحيى بن الحسين الشجري، المتوفى سنة ٤٩٩ هـ: أخرجه في كتابه الأمالي ١: ٤٢ و ١٤٦ عن أبي هريرة.

٢١- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٣١٨.

٢٢- ظ: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بو جادي: ١٠٦ - ١٠٧



٢٣- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٥٠.

٢٤- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٥٠.

٢٥- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٤٠ـ٤١.

٢٦- الفصول المختارة، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): ٢/ ٧٨.

٢٧- ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤: ٢٥٧.

٢٨- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٢٩- هو قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري الخزرجي، كان أبوه من زعامات الخزرج وسيدها، ولد في أوائل القرن الأول للهجرة، نال شرف صحبة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، واشترك في معارك بدر وأحد والخندق، فضلا عن معارك الإمام علي (عليه السلام) الجمل وصفين والنهرين، واستمرت هذه الصحبة الشريفة للإمامين علي والحسن (عليهما السلام). من الذين رفضوا بيعة أبي بكر، كان من ضمن الذين أرسلهم الإمام علي (عليه السلام) مع الإمام الحسن (عليه السلام) وعمّار بن ياسر إلى أهل الكوفة لحدثهم على مقاتلة أهل الجمل.

٣٠- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٩٧ـ٩٨.

٣١- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤: ٣٢٥.

٣٢- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٦٤.

٣٣- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٩٨.

٣٤- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م: ٣٨.

٣٥- سورة الإنسان، الآية: ٣.

٣٦- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٠٣.

٣٧- ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: viii

٣٨- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٧٨.

٣٩- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ١٠٨.

٤٠- الغدير في الكتاب والسنة: ٢/ ٢٠٨

٤١- الغدير في القرآن والسنة: ٢/ ٢٠٨.

٤٣- الغدير في القرآن والسنة: ٢/ ٨٧.

٤٤- الغدير في القرآن والسنة: ٢/ ٨٨.

٤٥- الغدير في القرآن والسنة: ١٨.

أسلوبية لغة العدول في خطبة الغدير

م. د. صالح مجيد علي حسن الخزرجي

خلاصة البحث:

- إنّ وكْدَنا في البحث ينصبّ على البعد الفكري والجمالي للخطبة - قدر الإمكان.

- ذكر البحث تعريفاً مختصراً للأسلوبية اصطلاحاً وللعدول لغة واصطلاحاً.

- حاولنا أنْ يكون البحث وصفياً تحليلياً واخترنا صيّغاً معينة للعدول بوصفه خرقاً لمثالية الوضع أو المعيار اللغوي تشتمل على مظاهر تركيبية معينة... وقد جاء البحث مشتملاً على أربع نقاط هي:

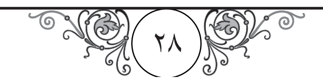
١- العدول بالفكرة في حالات معينة.

٢- مظاهر التقديم والتأخير وأهميتها في الإشارة إلى دقة المعنى.

٣- مظاهر الوصل والفصل: وهو إيحاء بياني باعث على التفكرّ.

٤- التعريف والتنكير: وقد اختص البلاغيون بالجانب الوظيفي الدلالي لها .

وقد أشار البحث إلى المسند إليه المعرفة بشكل خاص لأهميته في الجملة



العربيـة... وكانـت الإشـارة مختـصرة بسـبب محدوديـة البحـث وعـلى المحـاور الآتية:

أ) محور الاضمار.

ب) محور العلمية.

ج) محور الإشارة.

د) محور التعريف بـ(ال).

هـ) محور الموصولية.

و) محور الاضافة الى معرفة.

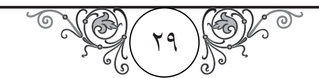
ثـم تنـاول البحـث صـوغ المسـند اليـه، والمسـند - احيانـاً عـلى شـكلين همـا:أ) الإفـراد، ب) التعظيـم والتحقـير.

يـوصي الباحـث بإمكانيـة التوسّـع في هـذا البحث وصـولاً لدراسـة تفصيلية إنطلاقـاً مـن ثـراء تراثنـا في مجمـل تحسّـس مكامـن الجـمال وإيمانـاً بـأن العـدول عـن الأصـل إنّـما يكـون لأغـراض بلاغيـة بوصفـه خرقـاً لمثاليـة الوضـع أو المعيـار اللغـوي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصـلاة والسـلام عـلى سـيد الخلـق أجمعـين محمـد الأمـين وعـلى أهـل بيتـه الطيبـين الطاهريـن وصحبـه المنتجبـين... وبعـد فـإن مخالفـة الكلمـة أو



الكلام لشروط الصحة اللغوية لا تنتج عدولاً جمالياً بنظر البلاغيين بل هو صورة كلامية رديئة تفتقر إلى الفصاحة والإبانة، وإنما العدول مخالفة الكلام لصياغته اللغوية الأصلية المفترضة لتحقيق قيمة جمالية أو دلالة بلاغية مع الاحتفاظ بالإبانة والفصاحة.

وقد اخترنا خطبة الغدير لنبين شيئاً من العدول البلاغي فيها، ولا ندعي سَبْرَ أغوار العدول في الخطبة عموماً.. وحاولنا أن تكون الدراسة وصفية تحليلية... فكانت المباحث الثلاثة: أولاً العدول بالفكرة وجاء الثاني بعنوان: مظهر التقديم والتأخير أما الثالث فكان مظهر الوصل والفصل... وقد استشهدنا بعينات من الخطبة بعد الإشارة المختصرة لكل عنوان من عنوانات البحث المتقدمة.. نرجو أن نكون قد وفقنا لما فيه الخير وما توفيقنا إلا بالله... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسلوبية لغة العدول في خطبة الغدير

الأسلوب طريقة والأسلوبية منهج، ومن مهام الدراسة الأسلوبية في الأدب إيجاد علاقة متينة بين البنية الأسلوبية والبنية الفكرية للنص، فالقراءة الأسلوبية ستكون معنية بإبراز فن الأسلوب في النص الأدبي.

وإنّ الأصل في التعبير اللغوي الإلتزام بقواعد اللغة القياسية النحوية والبلاغية، أما الخروج عنها فيكون لأسباب يقتضيها المعنى، منها: تنبيه المتلقي لأمور مهمة بتقدير المرسِل.

هذا الخروج عن قواعد اللغة القياسية النحوية والبلاغية، لمقتضيات

المعنى يدعى (عدولاً).

أما العدول لغة: فقد ورد في لسان العرب: (عَدَل الطريق: مالَ وفي الحديث النبوي الشريف: « لا تُعْدَل سارحتكم... »)[1]، أي لا تُصرف ماشيتكم وتُمال عن المرعى... فالعدول في اللغة من معانيه الخروج على الأصل.

أمّا العدول اصطلاحاً فقد ذكر ابن الأثير (ت ٣٦٠هـ): ((إنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، والذي أطلع على أسرارها، وفتّش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً))[2].

فأساليب العدول تثري اللغة لإبداعها في المعنى مع إنها من ضروب علم البيان الأكثر إشكالاً لدقة فهمها وغموض طريقها، وكذلك اهتم علم معاني النحو بدراسة الظواهر التركيبية الناتجة عن العدول، إذ أشار لذلك د. شفيع السيد عند إيراده لدالّ لغوي جديد للعدول وهو (التخيرّ)، فقال: ((وأمّا مجال (التخيّر) الذي يتميز به الأسلوب فكذلك عند عبد القاهر الجرجاني، والذي قلنا من قبل: أنه يعني العدول عن معنى من

(١) لسانا لعرب، ابن منظور: مادة عَدَل.

(٢) المثل السائر فيأد بالكاتب والشاعر: ٢٠/ ١٩٣-١٩١.





معاني النحو إلى معنى آخر لأداء دلالة لا يعطيها المعنى الأول))[1]، وقد أورد نقاد محدثون مرادفاً آخر للعدول وهو (الإنزياح)، إذ ذكر د. عبد السلام المسَدّي أن ((الأنزياح ترجمة حرفية للفظة -LECART على أن المفهوم ذاته يمكن أنْ يُصطلح عليه بعبارة (التجاوز)، أو نحيي لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محددّ وهي عبارة (العدول)، وعن طريق التوليد المعنوي قد نصطلح على مفهوم العبارة الأجنبية))[2].

فمصطلح (العدول) قديم جديد، ويُعتقد أن مرادفه الجديد الأكثر شيوعاً هو (الإنزياح)، لكنّا سنبقي على المصطلح البلاغي التراثي (العدول) الذي عاد الدكتور المسدّي لإستعماله في كتاباته (اللاحقة)[3].

وهناك مرادفات كثيرة لمصطلح (العدول) أوردها نقاد أجانب منها: (الإنتهاك لكوهن)، و (التجاوز لغاليري) و (الإنحراف لسبيتزر) وغيرها كثير[4].

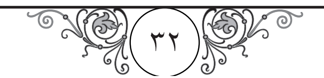
في ظل هذا الفهم الموجز سنحاول قراءة بعض أساليب العدول، مثل: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير في بعض فقرات خطبة الغدير الغرّاء.... إذ من الثابت أن للخطاب النبوي قدرة فائقة للتعبير عن المعاني التي يريد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) إيصالها

(١) الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، د. شفيع السيد: ٣٥.

(٢) الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي: ١٠٦.

(٣) ينظر: المصطلح النحوي: نشأتهو تطوره، عوض محمد القويزي: ٧٠-٧١.

(٤) ينظر: الأسلوب والأسلوبية: ٩٨- ٩٩.



للناس، على أن النص المعدول به لا يكون مختلفاً تماماً عن السياق العام للنص الأصل، وإنما يأتي العدول للتنبيه والتأمل، فهو ظاهرة أسلوبية يكتنفها النص، إذ ليس من البلاغة أن يخترق النصَ كلام أجنبي لا علاقة له بالسياق العام للنص، وبخاصة إذا كان نبوياً، فمصطلح العدول له بُعد لغوي وظلال أسلوبية، وهو الخاصية الأساسية المنتجة للشعرية.

م١: العدول بالفكرة عبر سياق النص الأدبي:

جوهر خطبة الغدير وسياقها العام تناول الأطر الإلهية باعلان الرسول عن ولاية الإمام علي (عليه السلام)، وضرورة مبايعته في حياة الرسول ومبايعة الرسول على ذلك، حتى لا تبقى حجّة لأحد بعد وفاته على الرغم من قصر المدّة الممتدة بين البيعة والوفاة، إلا أن النصَ عدل ضمن سياقه العام إلى موضوعات أخرى سنعرض لبعضها عبر المحاور الآتية:

١) سبب العدول.

٢) هدف العدول.

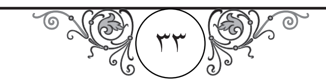
٣) طبيعة العدول.

٤) الجامع بين السياق العام والمعدول له.

الموضوعات المعدول لها:

أ- ضرورة ألا يَمنّ عليكم ويصيبكم عذاب من عنده، إنّه لبالمرصاد..)).

فمن يمُنّ على الله بإسلامه يسخط عليه، فعدل عن المعنى العام وهو



الولايـة إلى معنـى آخـر وهـو أن يمـن المسـلم عـلى الله بإسـلامه.

١) سـبب العـدول: تنبيـه المسـلم إلى ضرورة أن يكـون إسـلامه خالصـاً لوجـه الله تضرّعـاً وعبـادة لا مَنّـاً عـلى الله -عـز وجـل -.

٢) هـدف العـدول: تنبيـه المسـلم إلى مخاطـر المَـنّ عـلى الله تعـالى، وهـي أنْ يحقَّ عليـه عذابـه: ناهيـك عـن عـدم معقوليـة هـذا المـن مِـن المخلـوق عـلى خالقـه الغنـي عـن العالمـين.

٣) طبيعـة العـدول: يعـي المتلقـي أنّ الحديـث هـو حديـث ولايـة الإمـام عـلي -عليـه السـلام -، فاللولايـة مفهـوم وواجـب شرعـي، وللمـنّ عـلى الله بالإسـلام مفهـوم آخـر، ومـا يترتـب عليـه مـن عواقـب.

٤) أمـا الجامـع بـين الأمريـن فهـو أن كلاً منهـما واجـب عـلى المسـلم وتحقيقه عبـادة لله وطاعـة خالصـة لوجهـه... ويستشـف مـن ذلـك بعـد تبليغنـا بأمـر الولايـة، - إذا كنّـا مؤمنـين حقـاً - ضرورة أن نمتثـل لأمـر الله دون تـردّد - أو مَـنّ عـلى الله أو الرسـول.

نخلـص إلى أنّ العـدول في سـياق الحديـث فيـما تقـدم كانـت لـه أسـبابه الموجبـة ودلالاتـه.

ب) حالـة عـدول أخـرى عـن السـياق العـام للخطبة مـن الولايـة إلى التذكير بفريضـة الحـج وأنهـا مـن شـعائر الله، إذ قـال الرسـول(صلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم): ((معـاشر النـاس، إنّ الصفـا والمـروة مـن شـعائر الله))، واستشـهد بقـول الله -تعالى-:((فمـن حـجّ البيـت أو اعتمـر فـلا جنـاح عليـه، أن يطـوّف

بهما))، وكذلك قال: ((معاشر الناس حجوا البيت، فما ورده أهل بيت إلا استغنوا، ولا تخلفوا عنه إلا افتقروا)).

وكذلك (معاشر الناس، ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك، فإذاانقضت حجته استأنف عمله).

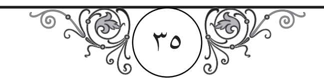
يتحدث الرسول الأعظم في هذه المقاطع الثلاثة عن فريضة الحج، وكيفية أداء مناسكه بين الصفا والمروة وهي من شعائر الله، ويعِدهم الغنى بتمسكهم بالفريضة في الدنيا وغفران الذنوب في الآخرة... وقد عدل بالدعوة إلى الإلتزام بفريضة الحج والتمسك بها عن سياق حديث الغدير بخصوص الولاية:

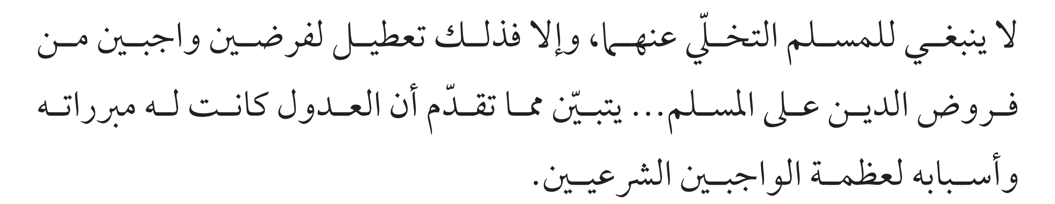
١) سبب العدول: تنبيه المسلمين إلى أن مراسيم الحج بين الصفا والمروة هي من شعائر الله، واستشهد الرسول بالآية الكريمة: (فمن حجّ البيت....).

٢) هدف العدول: تنبيه المسلمين إلى ضرورة التمسك بالبيعة للإمام علي -عليه السلام-، وضرورة أداء فريضة أخرى هي فريضة الحج.

٣) طبيعة العدول: من الواضح أنّ سبب الخطبة هو إعلان ولاية الإمام علي عليه السلام وأخذ البيعة له من المسلمين، وذلك بامر الله فهو واجب شرعي، والواجب الآخر هو الحج، فكانت فقرات فرضه معدول بها عن المعنى العام للخطبة وهي بيعة الغدير.

٤) أما الجامع بين أمر الولاية وأمر الحج هو أنهما واجبان شرعيان





لا ينبغي للمسلم التخلّي عنهما، وإلا فذلك تعطيل لفرضين واجبين من فروض الدين على المسلم... يتبيّن مما تقدّم أن العدول كانت له مبرراته وأسبابه لعظمة الواجبين الشرعيين.

وأستمراراً للعدول عن السياق العام أورد الرسول جانباً مهما من جوانب فريضة الحج بعدما تقدم عنه في الفقرات السابقة، وهو أن نفقاتهم تعود إليهم، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين ثم يوجههم لضرورة التوبة إلى الله تعالى وهم يؤدون مناسك الحج بحيث لا يرجعون إلى ديارهم إلا وهم تائبون توبة نصوحاً عن مخالفة مرضاة الله - تعالى -.

١) سبب العدول: توجيه المسلمين إلى ضرورة الإيمان بأن الله -عز وجل- يخلِف عليهم نفقات حجهم.. وإلى ضرورة بدء حياة جديدة دون معصية الله.

٢) هدف العدول: وجوب تمسك المسلمين بولاية الإمام علي -عليه السلام- من جانب والإيمان بضرورة التوبة من جانب آخر فهما أمران لا يستقيم أحدهما إلا باستقامة الآخر.

٣) طبيعة العدول: عدم استقامة دين المسلم إلا إذا التزم بكل الفرائض، إذ قرن بين ولاية الإمام علي - عليه السلام - والإلتزام بها وفريضة الحج ووجوب الإلتزام بكليهما معاً.

٤) أما الجامع بين الأمرين فهو واجب طاعة الله والرسول، والإمام علي من بعده.

ج) ومـن الأمثلـة الأخـرى لعـدول الفكـرة في الخطبـة تأكيـد الرسـول لفـرض إقامـة الصـلاة وإيتـاء الـزكاة عـن السـياق العـام، فقـال: ((معـاشر النـاس، أقيمـوا الصـلاة، وآتـوا الـزكاة كـما أمركـم الله -عـز وجـل-...)).

تحـدّث عـن أهميـة البيعـة والاعـتراف عـن السـياق العـام الـذي هـو بيعـة الإمـام عـلي - عليـه السـلام -.

١) سـبب العـدول: توجيـه المسـلمين إلى ضرورة حفـظ أركان الديـن، ومـن أهمهـا إقامـة الصـلاة وإيتـاء الـزكاة.

٢) هـدف العـدول: تبيـان هويـة المسـلم بإقامـة الصـلاة التـي أن قبلـت قبـل مـا سـواها وأن رُدّت رُدّ مـا سـواها... وكذلـك أهميـة فـرض الـزكاة.

٣) طبيعـة العـدول: يعـرف الجمـع الغفـير مـن المسـلمين الحاضريـن في ذلك اليـوم الشـديد الحـر وبتلـك الظـروف النفسـية، وهـم يودعـون نبيّهـم في آخـر حجّـة لـه يعرفـون أنهـم مـا اجتمعـوا إلا لتلقـي أمـر الله- تعـالى-: ((يـا أيّهـا الرسـول بلّـغ مـا أنـزل إليـك...))، وهـا قـد ضمّـن الرسـول خطبتـه تأكيـد ضرورة إقامـة فـرض الصـلاة وإيتـاء فـرض الـزكاة... فعـدل بهـما عـن سـياق البيعـة.

٤) أمّـا الجامـع بـين الامريـن فهـو عظمـة كل منهـما: الصـلاة والـزكاة مـن جهـة وولايـة الإمـام عـلي -عليـه السـلام- مـن جهـة أخـرى... ممـا تقـدّم نفهـم أنّ العـدول كانـت لـه أسـبابه وموجباتـه.

د) وفي حالـة عـدول أخـرى دعـا الرسـول الكريـم إلى تذكّـر المـوت



والحساب والثواب والعقاب ثم الجنة والنار واستشهد بآية قرآنية، فقال: (معاشر الناس، التقوى، التقوى، وأحذروا الساعة، كما قال الله- عزّ وجل-: ((إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم))، وكذلك قال: ((اذكروا الممات والمعاد والحساب والموازين، والمحاسبة بين يدي رب العالمين، والثواب والعقاب، فمن جاء بالحسنة أثيب عليها، ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب)).

في هذين المقطعين دعا الرسولُ الناسَ إلى التقوى والحذر من يوم الحساب، واستشهد بالأول بقول الله- تعالى-: ((إن زلزلة...)).

وفي المقطع الثاني حذّر الناس من فوات الأوان بالموت وأمَرهَم بأن يذكروا الممات والمعاد والحساب والعقاب وذلك بمعرض الوعيد، وذكرهم بالثواب، والجنان في معرض الوعد فكان ذلك عدولاً عن السياق العام لما فيه صالح المسلمين.

١) سبب العدول: أهمية الحساب وضرورة إعداد العُدةّ له.

٢) هدف العدول: تنبيه المسلمين إلى ضرورة تذكّر الموت، والاستعداد له بالعمل الصالح، وتذكّر المعاد والحساب، والموازين وما يجب على المسلم القيام به إزاء ذلك، ثم يبيّن لهم في الوعد والوعيد الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى.

٣) طبيعة العدول: في ذلك اليوم تهيّأ المسلمون لسماع آخر خطبة لنبيّهم، وقد عرفوا من المقاطع الأولى: أنها بيعة الإمام علي، فذلك أمر

وهـذه أوامـر جـاءت ضمنـاً فشـكلت عـدولاً عـن الأصـل.

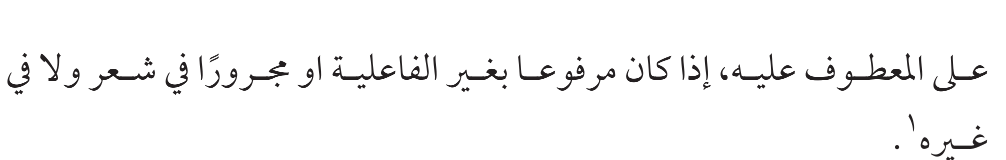
٤) أمـا الجامـع بـين فـرض الولايـة والفـروض الأخـرى فهـو ضرورة الإيـمان بهـا جميعـاً، ولا خيـار للمسـلم في ذلـك.

م٢/ المظاهر التركيبية للعدول: نشير فيما يأتي إلى بعضها:

أ) مظهـر التقديـم والتأخـير: يمتـاز هـذا المظهـر بثـراء المعـاني الصـادرة عنـه، ولشـيوعه في الخطـاب، فقـد بـينّ النحـاة الأجـزاء التـي لا يجـوز فيهـا التقديـم وهـي أربعـة عـشر موضوعـاً:

الصلـة عـلى الموصـول، والمضمـر عـلى الظاهـر في اللفـظ والمعنى، إلا مـا جاء عـلى شريطـة التفسـير، والصفـة ومـا اتصـل بهـا عـلى الموصـوف وجميـع توابـع الأسـم حكمهـا حكـم الصفـة، والمضـاف إليـه، ومـا اتصـل بـه عـلى المضـاف، ومـا عمـل فيـه حـرف أو اتصـل بـه حـرف زائـد لا يقـدّم عـلى الحـرف، ومـا شـبّه مـن هـذه الحـروف بالفعـل فنصـب ورفـع فـلا يقـدّم مرفوعـه عـلى منصوبـه، والفاعـل لا يقـدّم عـلى الفعـل، والأفعـال التـي لا تتـصرف لا يقـدّم عليهـا مـا بعدهـا، والصفـات المشـبه بأسـماء الفاعلـين، والصفـات التي لا تشـبه أسـماء الفاعلـين لا يقـدّم عليهـا مـا عملـت فيـه، والحـروف التـي لهـا صـدر الـكلام، لا يقـدّم مـا بعدهـا عـلى مـا قبلهـا، ومـا عمـل فيـه معنـى الفعـل فـلا يقـدّم المنصـوب عليـه، ولا يقـدّم التمييـز ومـا بعـد إلا، وحـروف الأسـتثناء لا تعمـل فيـما قبلهـا، ولا يفـرق بـين الفعـل العامـل والمعمـول فيـه بـشيء لم يعمـل فيـه العامـل إلا الأعتراضـات، ولا يجيـز البصريـون تقديـم المعطـوف





على المعطوف عليه، إذا كان مرفوعا بغير الفاعلية او مجرورًا في شعر ولا في غيره[1].

ومن أسباب عدم جواز التقديم في حالات معينة سعة هذا المظهر في خطابات العرب للحاجة إليه، ولإثرائه في أسلوب العدول، ولأنّ المعنى الذي يتناوله غالباً تأملياً تأويلياً لذا ((أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام والقيادة لهم))[2].

لقد أولع الأدباء في مجالي الشعر والنثر بهذا المظهر، ويبقى لوعي المتلقي دور مهم في الكشف عن المعنى الذي يقصده المرسل ضمن هذا الأداء الكلامي.

وفي ضوء قراءتنا لخطبة الغدير نشير إلى حالات متعدِّدة لصيغ التقديم والتأخير وذلك لزيادة المعنى وتخصيصه، منها:

١) تقديم الخبر (شبه الجملة)، على المبتدأ، ومثاله، قول الرسول: و ((له الإحاطة بكل شيء))، فقدّم شبه الجملة (له) على المبتدأ (الإحاطة) وكذلك قوله (له الملك)، و (له الحمد) وكذلك (بيده الخير).

٢) تقديم شبه الجملة على الفاعل، ومثاله: (فتحِلُّ بي منه قارعة)، فقدّم شبه الجملة (بي) والفضلة الاخرى (منه) على الفاعل (قارعة)..

٣) تقديم المفعول به (الضمير) و المعرف بـال (التعريف) على الفاعل،

(١) ينظر: الكشّاف، الزمخشري: ٤/ ٣٩٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٤/ ٣٩٨.



مثالـه: (لا يدفعهـا عنـي أحـد)، فقـدّم المفعـول بـه الضمـير (الهـاء)، وشـبه الجملـة (عنّـي)، عـلى الفاعـل (أحـد)، وكذلـك مثـل: ((لا يضجـره صراخ المستصرخين))، و (لا يبرحـه الحـاح الملحـين)، و (مـلأ الدهـرَ قدسُـه)، فقـدم المفعـول بـه (الدهـر) عـلى الفاعـل (قدسـه)، وكذلـك: (والـذي يغشـى الأبـد نـورُه).

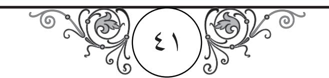
٤) تقديـم خـبر الفعـل الناقـص عـلى اسـمه، ومثالـه قولـه: ((وليـس مثلـه شيء))، فقـدّم الخـبر (مثلـه) عـلى الأسـم (شيء) وكذلـك قولـه: ((لم يكـن معـه ضـد))، فقـدم شـبه الجملـة (معـه) وهـي خـبر الفعـل الناقـص عـلى أسـمه (ضـد) وكذلـك: ((ولم يكـن لـه كفـواً أحـد))، وقـد قـدّم (الفضلـة) (لـه) ايضـاً عـلى أسـم الفعـل الناقـص.

٥) تقديـم شـبه الجملـة عـلى المفعول بـه، ومثالـه قـول الرسـول: ((مغضوب مغضـوب مَـن ردّ عـليّ قـولي))، فقـدّم شـبه الجملـة (عـليّ) عـلى المفعـول بـه (قـولي).

٦) تقديـم شـبه الجملـة عـلى الفعـل والفاعـل كـما في قولـه: ((فيّ نزلـت وفيهـم نزلـت - وكذلـك: ولهـم عمّـت)).

وهكـذا نـرى أن لغـة التقديـم والتأخـير تحـوي معنـى بيانيـاً واسـعاً يصعـب انتظامـه في قواعـد محـدّدة لعلاقتـه بالاسـتعمال ولاتصالـه بإبـداع الخطيـب أو النـص النثـري وكذلـك إبـداع المتلقـي ووعيـه.

وغالبـاً فـإنّ مـا يقـدّم في الـكلام هـو موضـع اهتـمام أكثـر أو هـو مـا يـدور



حولـه الحديـث بالدرجـة الأولى مثـل قولـه: ((فيّ نزلـت وفيهـم نزلـت))، فـكان التأكيـد عـلى شـخص الرسـول وشـخوص أهـل البيـت جميعـاً -عليهـم السـلام-.

ب) مظهـر الوصـلُ الفصـل: الوصـل عنـد البلاغيـين عطـف جملـة عـلى جملـة أخـرى بـ(الـواو) حـصراً، والفصـل تـرك ذلـك العطـف[1]، فقـد حـصر الوصـل بـين الجمـل بحـرف عطـف واحـد هـو (الـواو)، وهـذا لا يعنـي انعدام الوصـل بـين التشـكيلات النحويـة الأخـرى وهـي أشـباه الجمـل والمفـردات، ولكـن لنـدرة وضعـف النـكات الجميلـة والدقيقـة فيهـا أهملـت عنـد البلاغيين حـصرا، إذ لا تحتـاج إلى كثير تأمّـل وتدبّـر كالوصـل بـين الجمـل... فأصـل هذا المظهـر مـن أختصـاص النحويـين، وقـد فصّلـوا فيـه، أمّـا البلاغيـون فتعنيهـم العلاقـات الدلاليـة بـين الجمـل فيـما يتعلّـق بالمعنـى ولا يعنيهـم الإعـراب بوصفـه ظاهـرة كـما عنـد النحويـين و (إذا كان النحـاة يرتكـزون عـلى مسـألة الخطـأ والصـواب في التركيبـات الكلاميـة، فـإنّ التوجه الأسـلوبي يـدور تفكيكاً أو تركيبـاً عـلى محـاور الإنتاجيـة مـن أجـل رصـد حركـة الجـمال الفنّـي القائـم عـلى تحريـك مـادة الشـكل فـوق مسـتويات الرقعـة الأسـلوبية، وإنضاجهـا مـع ظاهـرة الوصـل والفصـل وقدرتهـا التوزيعيـة لمقاطـع النـص)[2]، فالأصـل هـو الفصـل لعـدم حاجتـه لأداة ربـط بـين الجمـل، ثـم يـأتي الوصـل الـذي يحتـاج لرابـط معـين – وهـو (الـواو) كـما تقـدّم.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن القزويني: ٢٤٦-٢٧٩.

(٢) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل: ٣٥٤.

ولابدّ من وجود علاقة بين الجمل في المبنى والمعنى للوصل بينها، وسبب كون الوصل بالواو حصراً لأن هذا الحرف يفيد إشراك المعطوف في حكم المعطوف عليه فقط، أمّا حروف العطف الأخرى فإنّها مع الأشراك تفيد شيئاً آخر كالترتيب في (الفاء) والتراخي في (ثم)[1].

وللفصل مواضع ثلاثة هي:

١) كمال الأتصال بين الجملتين: وذلك يتحقق إذا كانت الجملة الثانية تأكيداً للأولى أو بدلاً عنها أو بياناً لها.

٢) كمال الإنقطاع بين الجملتين: وذلك إذا أختلفتا خبراً وإنشاءً أو لا تكون أية مناسبة بينهما.

٣) شبه كمال الإتصال بين الجملتين أي (الإستئناف)، بأن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يدرك عبر الجملة الأولى.

وكذلك للوصل ثلاثة مواضع، هي:

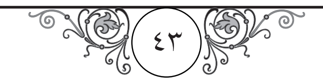
١) إذا اتحدت الجملتان خبراً وإنشاءً دون وجود ما يقتضي الفصل بينهما.

٢) إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً، وكان الفصل يوهم بخلاف المقصود.

٣) إذا أشركت الجملة الثانية بالمحل الإعرابي للجملة الأولى[2].

(١) ينظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين خليل: ١٢٨.

(٢) ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ٢٣٤.



وسنحاول رصد مصاديق معيّنة للفصل والوصل في خطبة (الغدير الغرّاء)، فمواضع الفصل هي:

١) كمال الإتصال:

أ- التأكيد: هو أن الجملة الثانية تؤكد الجملة الأولى تأكيداً لفظياً أو معنوياً، ويرجع ذلك (لزيادة التقرير، أو لرفع توهم المجاز، أو لرفع توهم الغلط)[١].

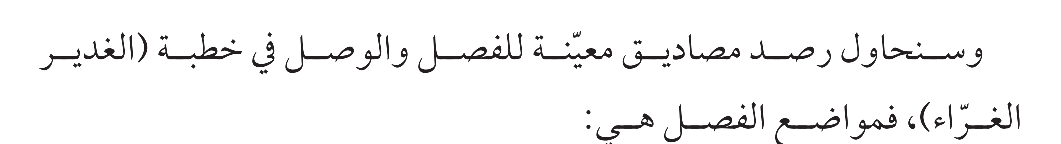
ومن شواهد التأكيد ضمن محور كمال الأتصال في خطبة الغدير قول الرسول: ((متفضِّل على جميع مَن بَرأه، متطوّل على جميع مَن انشأه)).

فقد فصلت جملة (متطوّل على جميع من انشأه)، عن سابقتها ((متفضل على جميع مَن بَرَأه)) لأنّها أكدت الجملة التي قبلها فمعنى الأولى: أنّ كرمَ الله- تعالى- وفضلَه يعمُّ كلَّ المخلوقات وهو معنى الجملة الثانية تماماً، فقد ترادفت الفاظ: متطوّل ومتفضّل، انشأه وبَرَأَه، فكانت الثانية تأكيداً لمعنى الأولى وتقريراً فقط.

وشاهد آخر على الفصل من محور كمال الإتصال الذي ورد بتأكيد الجملة الثانية للأولى، قول الرسول في الأولى: ((ألا إنّ أعداءهم الذين يصلون سعيراً)).

وفي الثانية: ((ألا إنّ أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقا...))،

(١) البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، وصور منتطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن الميداني: ١٠/ ٥٨٣.



فالجملة الثانية فصلت عن الأولى لأنها جاءت توكيداً لها.... فكرّر ألفاظ (ألا إن أعداءهم الذين....)) في الجملتين، ثم جاء في الثانية: ((يسمعون لجهنم شهيقا..))، فتكرّر المعنى نفسه الذي في الجملة السابقة ((يصلون سعيراً))، والسعير هو نار جهنم الموقدة، وشهيق جهنم عندما تكون النار مستقرة...

ب) البدل: عرّف ابن مالك البدل بقوله: (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة)[1]، أوضح ابن مالك في هذا التعريف حدود البدل بأنّه تابع ومقصود بلا وساطة تصله بمتبوعه، فللبدل ركنان:

الأول: المبدل منه، والثاني: البدل ولا وساطة بينهما، مثل: سلمت على صديقك محمد، (فمحمد) بدل من (صديقك).

وللبدل أنواع أربعة هي[2]:

١) بدل مطابق وبدل كل من كل.

٢) بدل غير مطابق (بدل بعض من كل).

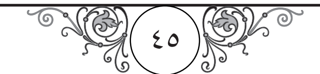
٣) بدل اشتمال، ٤) بدل مبانٍ.

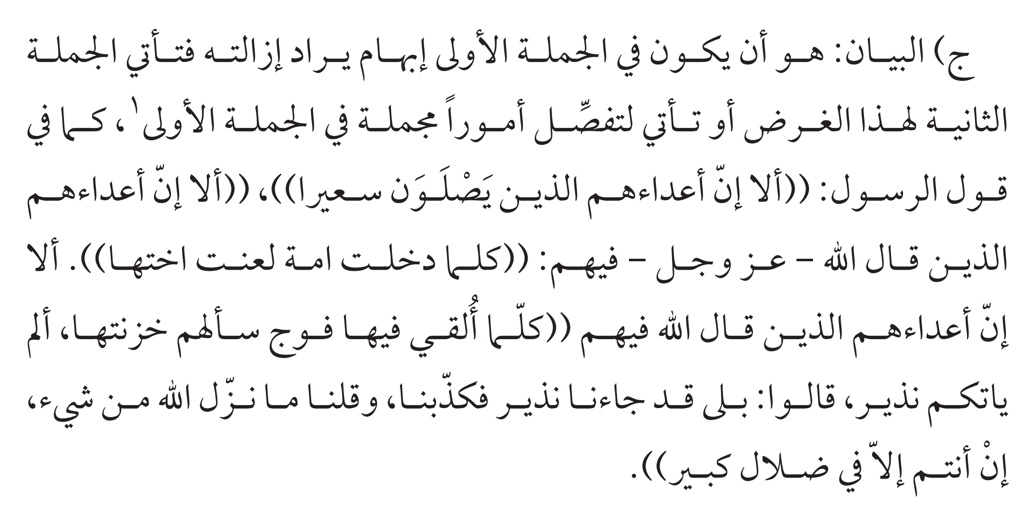
ومثال ذلك في الخطبة المباركة:(وعظتنا بوعظ الله في علي أمير المؤمنين...) فكان (أمير المؤمنين) بدلا من (علي).... والامثلة الكثيرة على ذلك.... (وهو بدل كل من كل).

---

(١) شرح ابن عقي للالفية ابن مالك: ٣/ ٢٤٧.

(٢) موسوعة النحو والإعراب، سعد زياد: ٣/ ٢٤٧.




ج) البيان: هو أن يكون في الجملة الأولى إبهام يراد إزالته فتأتي الجملة الثانية لهذا الغرض أو تأتي لتفصِّل أموراً مجملة في الجملة الأولى[1]، كما في قول الرسول: ((ألا إنّ أعداءهم الذين يَصْلَوَن سعيرا))، ((ألا إنّ أعداءهم الذين قال الله – عز وجل – فيهم: ((كلما دخلت امة لعنت اختها)). ألا إنّ أعداءهم الذين قال الله فيهم ((كلّما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها، ألم ياتكم نذير، قالوا: بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا، وقلنا ما نزّل الله من شيء، إنْ أنتم إلاّ في ضلال كبير)).

المقاطع المتقدمة محتشدة بتبيان صفات أعداء أهل البيت، وقد بدأت الجمل بحرف الإستفتاح (ألا) وهو يفيد التنبيه والتوكيد، وتستفح به الجمل لهذا الغرض.

فهذه الجمل وصفت أعداء أهل البيت، وبيّنت عواقبهم... ووضّحت أن مصيرهم جهنم، وقد جاءت بعد جمل سبقتها لتوضيح مَن هم أولياء أهل البيت، وقد أستفتحت أيضاً بأداة الإستفتاح والتوكيد (ألا)، ومنها قوله: ((ألا إن أولياءهم الذين يدخلون الجنة بسلام آمنين...)).

وقوله: ((ألا إن أولياءهم الذين قال الله – – عنهم: ((يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))، فكانت جملاً لوصف الأعداء ووصف الأولياء تبياناً وتوضيحاً لهم ولمصيرهم وتفصيلاً لمجمل، وتأكيداً وتنبيهاً لهم...، وكل هذه الجمل كانت مفصولة عن بعضها ببعض لكمال الإتصال بينها، أي مجرّدة عن حرف العطف الرابط لأنها متواصلة في المعنى متحدة

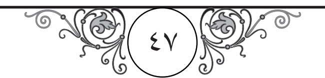
(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٣/ ١٢١.

فيما بينها.

ب) كمال الإنقطاع: وذلك إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً، أو أن لا تكون بينهما مناسبة، مثال ذلك، قول الرسول في الخطبة: (معاشر الناس - ما تقولون؟ فإن الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس ((فمن اهتدى فلنفسه، ومَن ضلَّ فإنما يضلّ عليها))، ومن بايع فإنّما يبايع الله، ((يد الله فوق أيديهم))...)، فقد استعمل الرسول أسلوب الإنشاء بقوله: ((ما تقولون؟))، جملة استفهامية، يسأل الرسول المسلمين عن رأيهم بولاية الإمام علي -عليه السلام-، ثم أردفه بأسلوب خبري، وقد أكّد قوله بـ إنّ التوكيدية، بأن الله - يعلم كل شيء، ما ظهر وما بطن، وقد أبلغهم أمره بالولاية، فلا حجة لهم بعد ذلك بالمخالفة، بقوله: ((فإن الله يعلم كل صوت...))، فهما أسلوبان مختلفان وقد فصل الثاني عن الأول..

جـ) شبه كمال الإتصال: ويسمى (بالإستئناف)، بأن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال توصي به الجملة الأولى، أو يُستشفّ من الأولى ((وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة: إما لتنبيه السامع على موقعه، أو لإغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللفظ - وهو تقدير السؤال وترك العاطف، أو غير ذلك مما ينخرط في هذا المسلك))[1]، وبذلك يكون بين الجملتين شبه كمال الإتصال.. ومثال ذلك قول الرسول - في الخطبة: (معاشر الناس، فاتقوا الله - وبايعوا علياً أمير

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٤.



المؤمنين، والحسن والحسين، والأئمة كلمة طيبة باقية، يهلك الله من غدر، ويرحم من وفى ((فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما))...، فقد أمرهم الرسول عبر الجملتين الأوليين بتقوى الله ومبايعة الإمام علي وولديه والأئمة من بعدهما... ثم أردف ذلك بجملتين: ((يهلك الله مَن غدر))، و (يرحم الله مَن وفى))... فكأن سؤالاً يتبادر إلى أذهان المتلقين عبر الجملتين الأوليين: ((وإن لم نبايع.. ثم ماذا؟))، فكان الجواب ((يهلك الله مَن غدر)) و ((يرحم مَن وفى))، أي أن عاقبة عدم المبايعة الهلاك، لأنّهم إن لم يبايعوا فقد غدروا، ونكثوا عهدهم.

أمّا مَن وفي بالبيعة فيرحمه الله... فكانت الجملتان الأخريان مفصولتين عن الجملتين الأوليين لأن بينهما شبه كمال الإتصال.

أمّا مواضع الفصل[1] فهي:

١) إذا اتحدت الجملتان بالخبرية والإنشاء ولم يوجد سبب للفصل بينهما... وشَكْل ظاهرة الوصل من ذلك قول المصطفى في الخطبة: ((معاشر الناس، هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي، وخليفتي في امتي، وعلى تفسير كتاب الله - والداعي إليه، والعامل بما يرضاه، والمحارب لأعدائه، والموالي على طاعته، والناهي عن معصيته، وخليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله)).

(١) ينظر: سر الفصاحة: ٢٤٣.

نلحظ المعنى البياني في هذا الوصل (بالواو) يصور مدى قرب الإمام علي من النبي، فيصرّح بأنّه أخوه ووصيه وخليفته في أمته وعلى نهجه بالعمل بما يُرضي الله، ومحاربة أعدائه والصفات الأخرى، ثم يبيّن بأن الإمام سوف يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين... وكان الوصل بأداته ((الواو)) هو الرابط بين تلك الصفات وقد اتحدت هذه الجمل جميعاً بالخبرية.

٢) إذا أختلفت الجملتان بالخبرية والإنشاء، وكان الفصل يوهم خلاف المقصود، أمّا الشواهد من الخطبة بهذا الخصوص فلم نتوافر عليها.

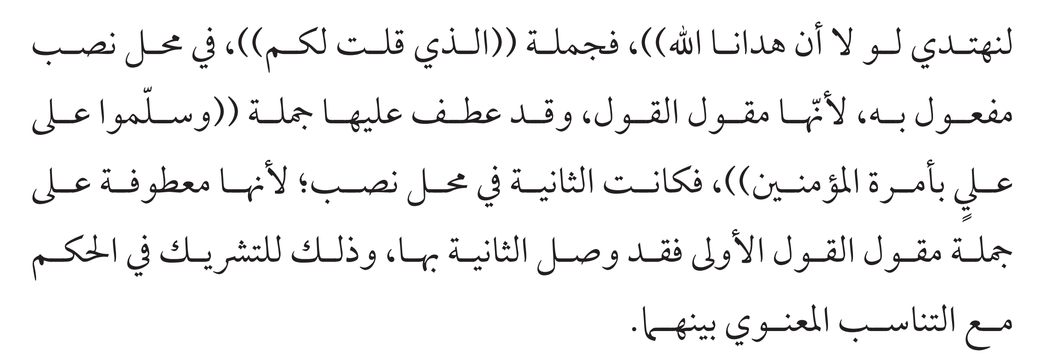
٣)إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد المنشئ إشراك الثانية في هذا المحل الإعرابي، وهذا الطرح شائع متداول في معاني النحو عند البلاغيين، ومعلوم أنّ الجمل التي لها محل من الإعراب واقعة في حكم المفرد، فقد قال الجرجاني: ((أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وكان وجه الحاجة إلى (الواو)، ظاهراً والإشراك بها في الحكم موجوداً))[1].

يتبيّن ممّا تقدّم أن عطف الجمل بعضها على بعض هو ضمن نظرية النظم التي نادى بها الجرجاني.. أمّا شكل ظاهرة الوصل في هذه الحالة، فهي قول المصطفى: ((معاشر الناس، قولوا الذي قلت لكم، وسلّموا على علي بأمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٢٣.







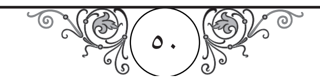
لنهتدي لـو لا أن هدانـا الله))، فجملـة ((الـذي قلـت لكـم))، في محـل نصـب مفعـول بـه، لأنّهـا مقـول القـول، وقـد عطـف عليهـا جملـة ((وسـلّموا عـلى عـليٍ بأمـرة المؤمنـين))، فكانـت الثانيـة في محـل نصـب؛ لأنهـا معطوفـة عـلى جملـة مقـول القـول الأولى فقـد وصـل الثانيـة بهـا، وذلـك للتشريـك في الحكـم مـع التناسـب المعنـوي بينهـما.

وهكـذا نـرى ترابـط هـذه الجمـل بالوصـل وهـي تتنـاول موضوعـاً واحـداً هـو ولايـة الإمـام عـلي وإمرتـه للمؤمنـين.

جـ) مظهـر التعريـف والتنكـير: وسـيكون التركيـز في الشـواهد عـلى المسـند إليـه، لأهميتـه في الجملـة ولمحدوديـة البحـث.

والمسـند إليـه هـو مـا يقـع الحكـم عليـه، وبحسـب المعنـى الـذي يريـد المتكلـم إيصالـه للمخاطـب يتوجـب أن يكـون معرفـة أو نكـرة إسـتناداً إلى واقـع الحـال وتعبـيراً عـن المعنـى المقصـود.

وقـد أسـهب أهـل اللغـة والبلاغـة - إنطلاقـاً مـن علـم المعـاني - في الحديـث عـن التعريـف والتنكـير، والمسـند والمسـند إليـه، إنّ التنكـير أصـل لأنّـه لا يحتـاج إلى علاقـة أمّـا التعريـف فيحتـاج إلى صيغـة معينـة يعـرف بهـا... والأصـل الفـارق بينهـما يبـدو نسـبياً بحسـب فهـم المتكلـم والمخاطـب للمعنـى المقصـود، وإلا فـإنّ كلمتـي (شـمس) و (قمـر) مثـلاً أسـتناداً إلى بعـض القواعـد الخاصـة بالتنكـير همـا نكرتـان، والواقـع أنّهـما معروفتـان شـائعتان، ومـن المعـارف المعنويـة، وقـد وجـدوا تخريجـاً لذلـك فحـواه: أن هـذه الألفـاظ:



(شمس، وقمر، وهلال) وما على شاكلتها نكرات لفظاً معرفات معنى.

يصوغ البلاغيون المسند إليه (المعرّف)، على الأشكال والمحاور الآتية:

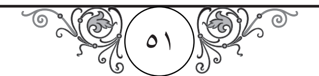
أولاً: محور الإضمار:

ويقصد به المضمر الدال على متكلم أو مخاطب أو غائب في حالة الإفراد أو التثنية أو الجمع ((والتعريف بالإضمار يدلّ على عموم الغائب أو الحاضر، دون تخصيص لغائب أو حاضر بعينه، وهذا الحضور قد يكون حضور تكلم: كأنا، ونحن، وقد يكون حضور خطاب: كأنتَ وأنتِ، والغيبة تكون شخصية: كهو، وهي، وهذه الضمائر في مجملها لا يمكن وصفها بالتعريف أو التنكير في النظام، وإنّما تكون معرفة حين ترتبط بالسياق، وتعين على ذلك القرائن: كالحضور بالنسبة للمتكلم، والمخاطب والمرجع بالنسبة للغائب))[1].

وكما تقدم فإن المعوّل عليه في المعنى البياني هو وعي المتلقي للمقصود.. ونذكر شواهد معينة للضمائر في الخطبة المباركة، منها: ((وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه))، فقد جاء بالضمير البارز المنفصل (هو) في معرض حديثه عن عظمة الخالق وإحاطته علماً بكل شيء، وهو مسند إليه في هذا التشكيل النحوي، و(هو) ضمير شأن لغرض التعظيم.

ثانياً: محور العلَمية:

(١) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٢٦١.





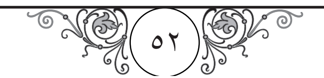
وذلـك بـأن يؤتـى بالعلَـم المسـند إليـه عـبر السـياق اللغـوي لأغـراض بلاغيـة مختلفـة: كالتعظيـم والتحقـير والتلـذذ، والتـبرك، والتفـاؤل، والتشـاؤم وغيرهـا: ((وسـياق التعريـف بالعلميـة يرتبـط أساسـاً بقصـد المتكلـم، ومـن حيـث يريـد بالعَلـم إحضـاره في ذهـن السـامع باسـم يختـص بـه بحيـث لا يطلـق عـلى غـيره باعتبـار وضعـه لهـذه الـذات المعيّنـة أبتـداءً))[1]، إنّ استشراف الغـرض البلاغـي الشـائع للعلميـة يعتمـد عـلى فهـم المتلقـي في تكوينـه للمعنى البيـاني المقصـود، وصُـور العلِميـة في الخطبـة كثـيرة منهـا: أقـوى الألفـاظ تعريفـاً وشـيوعاً هـو لفـظ الجلالـة، إذ اسـتهل الرسـول خطبتـه بقولـه: ((بسـم الله الرحمـن الرحيـم: الحمـدُ لله))، فهـو يسـتفتح الخطبـة بلفـظ الجلالـة، وأول مـا يتحـدث بـه (حمـد لله)، وهـذا عـرف أول مـن صاغـه في الخطـب الرسـول المصطفـى بعـد تـدرّج في افتتاحيـات الخطـب مـن (باسـمك اللهـم)، في الجاهليـة، وقـد اسـتعملها الرسـول في البـدْء وصـولاً إلى البسـملة مهتديـاً بـما يـرد في القـرآن الكريـم إلى أن نزلـت سـورة النمـل فيهـا البسـملة كاملـة: ﴿إنّه من سليمان، وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[2].

ثالثـا: وذلـك بمجـيء المسـند إليـه بصيغـة مـن صيـغ الإشـارة لأغـراض بلاغيـة كثـيرة: كالتمييـز، وتنبيـه المخاطـب بجهلـه أو لبيـان قـرب الموقـع المـكاني، وبُعـده، وغـير ذلـك.

بهـذا السـياق يتحقّـق الإرتبـاط بمقصـد المتكلـم وطبيعـة المخاطـب وحسـيّة

(١) البلاغة والأسلوبية: ٦٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٠.

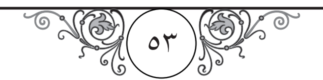


المشار إليه، وكذلك صورة المقام الذي يحدد التمييز والتعيين، وهو ما يتيح للمتلقي تدبّر المعنى البياني نحو باعث على التأمل[1].

ومحل الشاهد في الخطبة قول الرسول: ((مَن كنت مولاه فهذا علي مولاه))، فورد اسم الإشارة (هذا) مبتدأ وأفاد التوكيد بالإشارة إلى الإمام علي بولاية أمر المسلمين، وهذه الجملة مشروطة بموالاة الإمام علي.... وشاهد آخر قوله: ((معاشر الناس: هذا علي أخي ووصيّ، وواعي علمي...))، فقد ورد اسم الإشارة (هذا) مبتدأ ايضاً، ولك أن تتصوّر المشهد المؤثّر بالمؤمنين من الحاضرين والرسول يودعهم في آخر حجة له، ويرفع الإمام علي بيده على المنبر، ويقول: ((هذا عليٌ أخي...)) ياالجفاء من خان العهد... والله إن العينّ لتدمع، وأنّ القلب ليخشع ونحن مجرد نقرأ، فكيف بمن حضر المشهد، وبايع ثم نكث العهد؟!!.

وشاهد آخر قوله: ((معاشر الناس: إنّما أكمل الله -عزّ وجل- دينكم بإمامته، فمن لم ياتم به، وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، والعرض على الله -عزّ وجل-، فأولئك الذين حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون))، ورد اسم الإشارة (المسند إليه)، (أولئك)، في جواب جملة شرطية، أداة الشرط فيها (مَن) وهذا تأكيد آخر للمسلمين، وتحذيرهم من الخسران يوم الحشر، وخلودهم في النار إنْ هم نكثوا البيعة، وقد استشهدوا في آخر المقطع بقول الله تعالى عن العذاب الذي ينتظرهم: ((لا يخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون))، وشاهد آخر لاسم الإشارة

(١) ينظر: نظرية البيان العربي: ٢١١.



في الخطبة، ((معاشر الناس: هذا علي، أنصرُكم لي، وأحقُكم بي، وأقربُكم إلي، وأعزُّكم عليّ..) فاسم الإشارة (هذا) المسند إليه، تأكيد بليغ بجملة صريحة موجزة لموقف عظيم وهو يرفع الإمام بيده الكريمة، وأي تأكيد أقوى من هذا المشهد المؤثر؟... وربما من أسباب ذلك علمه بنقض القوم للعهد سريعاً...، إذ يقول: ((وسيجعلون الإمامة من بعدي ملكاً واغتصاباً، ألا لعنَ الله الغاصبين المغتصبين)) ويكرر النبي بعد ذلك الجملة ذاتها، بقوله: ((معاشر الناس، إنّه ما من قرية إلاّ والله مهلكها بتكذيبها، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة، وهذا علي إمامكم، ووليكم وهو مواعيد الله والله مصدقّ وعده)).

وقد استشهد الرسول في خطبته بآيات كثيرة منها ما ورد فيها اسم الإشارة مسنداً إليه، كقوله -تعالى-:((أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)).

وفي مواضع مختلفة أخرى من الخطبة أورد النبي اسم الإشارة (هذا) واتبعه باسم الإمام تأكيدا وتحذيرا..)) مثل:(وهذا علي يفهمكم بعدي....) فقد أمرهم الرسول بالألتفاف حول الإمام ليفهمهم وليكمل مسيرة الدعوة المحمدية الواجب إتباعها.

رابعاً: محور التعريف بـ(ال):

تناول علماء النحو أنواعاً متعددة من - ال- التعريف، وذكروا مرادفات كثيرة لتلك الأنواع، لكنّ أكثرها شيوعاً والتي سنعتمدها بالبحث هي[1]:

---

(١) ينظر: معاني النحو: ١٢٢ وما بعدها.

١) ال العهد: وهي الداخلة على معهود بين المتكلم والمخاطَب، وهي على ثلاثة أنواع: أ) العهد الذكري: وهو أن يذكر الأسم معرفاً بال وكان قد ذكر قبلاً نكرة مثاله قوله تعالى: ((فعصى فرعون الرسول))، وقد وردت لفظة (رسول) سابقاً بقوله: ((كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً))، فلفظة الرسول معهودة سابقاً لدى المخاطَب.

ب) العهد الذهني: وهو أن يكون في ذهن المخاطَب مسبقاً المعرف بـ ال العهد.. كما لو قلنا: جاء الطالب، وفي ذهن المخاطِب والمخاطُب طالب معين...

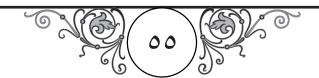
جـ) العهد الحضوري: وهو أن يكون مصحوبها حاضراً أو مشاهداً أو محسوساً، ومنه قوله تعالى:((اليوم أكملت لكم دينكم))، وذلك في يوم الغدير الذي هم فيه....

٢) ال الجنسية: وهي على قسمين: أ. للإستغراق: وهي تفيد استغراق جميع افراد الجنس، وعلامتها صحة دخول (كل) على مصاحبها، مثل قوله - تعالى-: ﴿خُلِق الإنسان ضعيفا﴾[١]. أي كل إنسان بلا استثناء.

ب) أن تكون لتعريف الحقيقة وعلامتها عدم صحة دخول (كل) على مصاحبها ومثاله قولنا: خلق الله آدم من الطين. فليس المقصود أن الطين كلّه استغرق في خلق آدم، بل معناه أن الله خلق آدم من هذا الجنس ومن جزء منه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.



أمّا أمثلة (ال) التعريف في خطبة الغدير، فهي:

١) بدأ الرسول خطبته بعد البسملة بحمد الله، فقال: ((الحمد لله الذي...))، إختلف العلماء في معنى (ال) التعريف في كلمة (الحمد)، ولعل الأرجح جاءت للأستغراق، فالحمد كله بكل أنواعه وأفراده لوجه الله -تعالى-.

٢) وكذلك (ال) التعريف في صفات الله تعالى الواقعة مضافاً إليه وليست مسنداً إليه - كما تعودنا - في كثير من الأمثلة السابقة....، وذلك في قول الرسول: ((بارئ المسموكات وداحي المدحوات، وجبار الأرضين والسماوات...))، وقد أستشهد الرسول بآيات قرآنية، منها: ((يا أيُّها الرسول بلّغ.. والله يعصمك من الناس))، ال التعريف في كلمة (الرسول)، هي من نوع العهد الذهني؛ لأنها تدل على فرد معين حاضر في ذهن السامع وهو الرسول محمد أما ال التعريف في حكمة الناس فجنسية للاستغراق إذ يصح دخول (كل) على مصاحبها، أي معنى الكلام: يعصمه من كل الناس.

٣) وورد في الخطبة: ((معاشر الناس إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد...))، فدخلت ال العهد الحضوري على مصاحبها (مشهد) فحضرته يتحدث عن المشهد الذي هو وهم حاضرون فيه يوم غدير خم، وكذلك قوله: ((وليّكم القائم المخاطِب لكم... ثم الأمانة...)، فـ ال في (القائم) وفي (المخاطب) يمكن أن تكون من نوع العهد الحضوري لأنه القائم المخاطب الحاضر بينهم عند خطبته، أما ال(الأمانة) فيمكن

أن تكـون مـن نـوع (العهـد الذهنـي)، إذ ثبـت في أذهانهـم تأكيـد الرسـول عـلى أن البيعــة أمانــة في أعناقهــم.

٤) وردت لفظـة (الحـلال) و (الحـرام) في الخطبـة، وكذلـك بعدهـا (النـاس) و (الحجـارة) بقولـه: ((فتصلـوا نـاراً وقودهـا النـاس والحجـارة...)).

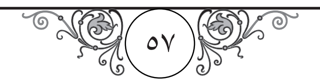
فـ ال التعريـف في (الحـلال) و (الحـرام) مـن نـوع الجنسـية للأسـتغراق لأنّ الله- تعـالى- علّمـه كل جنـس الحـلال والحـرام، أمـا (ال) في (النـاس) و (الحجـارة) فهـي مـن نـوع الجنـس لتعريـف الحقيقـة وهـي التـي لا تخلفهـا (كل) فليـس المقصـود أن النـاس كلهـم اسـتغرقوا وقـوداً للنـار ولا الحجـارة كلهـا اسـتغرقت وقـوداً للنـار، وقـد وردت (ال) التعريـف بكثـرة في الخطبـة لا يسـع المقـام لإحصائهـا جميعـاً.

خامسا: محور الموصولية:

وفيهـا يكـون المسـند إليـه اسـماً موصـولاً معرفـاً لأغـراض بلاغيـة تتصـل بإفصـاح صلـة الموصـول عـن المعنـى الـذي في المسـند إليـه، أو لعـدم التصريـح بالمسـند اليـه، أو لتفخيمـه، أو للتشـويق لمعرفـة الخـبر، أو للإختصـار وأخـيراً للتحقـير، ويبـدو التعريـف بالموصوليـة شـائعاً، لأن المفـرد يتضمـن معنـى الجملـة، وهـو مـا يجعـل رؤيـة تأويـل المعنـى البيـاني أكثـر سـعة وأعمق بعـداً[1].

فالموصـول مفعـول أي موصـول بصلـة، فـلا يتـم المعنـى إلا بوصلـه بصلتـه فعندمـا نقـول مثـلاً: رأيـت الـذي... فـإنّ المعنـى ناقـص ولا يتـم إلا إذا قلنـا

(١) ينظر: نظرية البيان العربي: ٢١١.





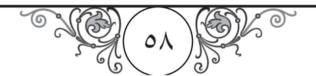
(مثلاً): رأيت الذي فاز بالجائزة.. وأشار إلى ذلك ابن يعيش بقوله: ((معنى الموصول ألا يتمَّ بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده يصله به ليتمَّ اسمًا، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الاسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه))[1].

أمّا الأستشهاد بالاسم الموصول عبر خطبة الغدير، فنحاول الإشارة إلى عيّنات منه كما في قوله: ((... بقبول ما جئت به عن الله عزّ وجل في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده الذين هم منّي ومنه، إمامة فيهم قائمة))، ومثال آخر: (.... الحمد لله الذي علا في توحّده...) وهو في محل جر صفة للفظ الجلالة، وصلته جملة (علا في توحّده).. هذا التشكيل الإعرابي أثبت ديمومة الحمد لله- تعالى-، وقد ورد ايضاً في الخطبة: (... وأشهد أنه الله الذي ملأ الدهرَ قدسُه...) فقد وقع الاسم الموصول (الذي) صفة للفظ الجلالة في محل رفع لأن الاسم الموصول الواقع بعد اسم قبل إتمام المعنى يكون صفة للاسم الذي قبله... وقد تكرّر الاسم الموصول في فقرات أخرى كثيرة.

وقد أستشهد النبي - بآيات متعدِّدة فيها اسم موصول... مثل: ((.... ومنهم الذين يؤذون النبي، ويقولون....)) فكان الاسم الموصول (الذين) مسنداً إليه في محل رفع مؤخر، وكذلك قوله تعالى: ((الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...) فان إعراب (الذين) مسند إليه..

---

(١) شرح المفصّل: ٣/ ١٥٠.



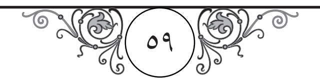
سادسا: محور الإضافة الى معرفة:

وأغراضه البلاغية متعددة كالإختصار والتعظيم، والتحقير وغيرها، وهي اقصر طريق لتوضيح المسند إليه في ذهن المتلقي، وإنّ المعنى البلاغي للإضافة موضوعي مباشر ذو محددات وظيفية، ومن شواهد الإضافة في الخطبة قوله... بعد البسملة وحمدِالله: ((.... بارئ المسموكات، وداحي المدحوّات، وجبار الأرضين والسماوات.....) فجاء المسند مضافاً: (بارئ، داحي، جبار)، والمسند إليه محذوف تقديره (هو) عائد على لفظ الجلالة، وكل ذلك للتعظيم والتفخيم، أمّا في قوله: ((... وأشهد أنه الذي تواضع كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء لهيبته...) فقد جاء المسند إليه (الفاعل) كلّ مضافاً إلى (شيء)، وكذلك الجملة الثانية، والغرض فيهما التعظيم، والتفخيم، أيضاً.

أما تنكير المسند والمسند إليه: فإنّ التنكير لا يحتاج إلى أدوات يُعرف عبرها، فهو مطلق لكنّ التعريف يحتاج إلى ذلك، فهو مقيّد، ومعلوم أنّ تنكير الكلمات يرد استجابة لدواعٍ بلاغية يجري اختيارها بشكل دقيق لتلبّي المقاصد التي اختيرت لأجلها، فمثلاً: يصاغ المسند والمسند إليه النكرة على أشكال منها[1]:

١) الإفراد: أن يأتي مفرداً لمقتضى شمولية الدلالة، وأحتمالية معان متعددة، ومثاله في خطبة (الغدير) قوله: ((إله واحد، أحد سبحانه..).

(١) ينظر: نظرية البيان العربي: ٢١٢.





٢) التعظيم أو التحقير: أن ياتي نكرة لتدل على تعظيم أو تحقير حسب ما يقتضيه سياق النص... ففي مجال التعظيم ورد في الخطبة: ((لم يكن معه ضد ولا ند...، ولم يكن له كفواً أحد))، وردت النكرات (ضد، ند، كفواً) في سياق نص موجه للتعظيم، إذ الرسول يتحدث عن عظمة الخالق ولا يؤمن به إلا مؤمن)، وواضح ورود السياق في مدح الإمام وتبجيله، أمّا في سياق التحقير، فقد ورد لمن يتنصّل عن البيعة، قوله: ((ملعون ملعون، مغضوب مغضوب مَن ردّ عليّ قولي هذا...)) فقد حقّر النبي - الرادَّ عليه بوصفه ملعوناً، مغضوباً عليه، وكرّر كلاً من اللفظتين للتأكيد وللإمعان في التحقير، فهو لا يشتم رائحة الجنة وقد غضب الله عليه لعدم إيمانه بما جاء به الرسول، وكذلك أورد الرسول... نكرات أُخَر في هذا السياق: ((ألا وإنّه لا يبغض علياً إلا شقي..)) للغرض نفسه.

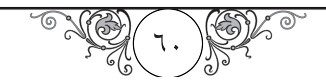
يتبيّن مما تقدّم أنّ ما أوردناه من أساليب بلاغية متعدّدة من خطبة الرسول ما هي الا غيض من فيض، ولا عجبَ فالرسول سيد البلغاء وإمام الفصحاء.

مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم

١- الإتجاه الأسلوبي في النقد العربي، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢- الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدَي، الدار العربية



للكتـاب، تونـس، ط٢، ١٩٨٢.

٣- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل، عمان، الأردن، (د. م)، ٢٠٠٢م.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، (ت ٧٣٩هـ)، تح: لجنة أساتذة كلية اللغة العربية، الأشراف: محمد محي عبد الحميد، (د. ت)، القاهرة.

٥- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: أبو الفضل إبراهيم، (د. مط)، القاهرة، ١٩٥٦.

٦- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد في طريف وتليد، عبد الرحمن حسن الميداني، ط١، دار العلم، والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦.

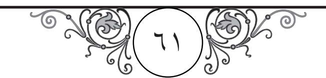
٧- البلاغة الأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، ناشرون لبنان، ١٩٩٤م.

٨- دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (ت ٤٧١هـ).

٩- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، (ت ٤٦٦هـ)، تح: عبد العال الصعيدي، طبع: محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٠- شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ط٢، دار التراث، مصر، القاهرة، ١٩٨٠م.

١١- شرح المفصّل، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تقديم: د.



إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

١٢- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين خليل كيكدي (ت ٦٧١)، التحقيق: حسن موسى الشاعر، ط١، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٠م.

١٣- الكشاف، أبو القاسم محمد بن عمران الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.

١٤- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، حقّقه وعلّق عليه عامر أحمد حيدر، ط١، المجلد الرابع، دار الكتب.

١٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تح: د. أحمد الجوفي، و د. بدوي طبانة، ط١، منشورات دار الرفاعي، ط١، السعودية، ١٩٨٤.

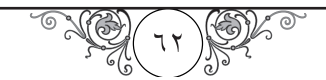
١٦- المصطلح النحوي، نشأته وتطوره، عوض حمد القويزي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

١٧- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد، مط التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٦.

١٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧.

١٩- موسوعة النحو الإعرابية، سعد زياد، دار الرياض للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٣.

٢٠- نظرية البيان العربي، خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي، تنظير وتطبيق، دار الرأي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.



عتبة البداية في خطبة الغدير مقاربة سيمولوجية

د. صباح حسن عبيد كرم التميمي

المقدّمة

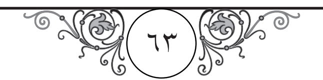
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله جلَّ في عُلاهْ، وصلّى اللهُ على من رفعَ يَدَ عَليٍّ و وَلاَّهْ، وعلى آلِه وصَحْبِه ومن والاهْ، وبعد؛

فإنّ للبدايات منزلةَ القَبْل، وهي منزلةٌ لا ريبَ في أهميتها؛ لأنّها أوّلُ ما يقرعُ الأسماع في الخطاب المسموع، وتتلقاهُ الأبصارُ في الخطاب المقروء، وقد نالت حظّاً وافراً من العناية على مستوى المُخاطِب والمُخَاطَب والخِطَاب في التراث والحداثة، وهي في العَيّنة المقروءة هنا - أعني خطبةَ الغدير -، تتمتّع بأهميةٍ مركزية؛ لأنّها المُبشّر الأول بعلامات المعنى المركزي في المتن الرئيس، والمحفّز عليه، والموجّه لقراءته.

وقد جاء بحثُنا هذا ليكونَ محاولةً قرائيةً للكشفِ - سيميولوجياً - عن وظائف هذه العتبة، ويقفُ على بعدِها التعالقي مع المتن، ومكوّناتِ النص الأخرى، عِبرَ مقاربةِ مستويات الخطبة مقاربةً تُعنَى بـ(العلامة)، وتنقلاتِها، وتحوّلاتِها، في مكوّنٍ مهم منها وهو (البداية).

وقد توزّعَ البحثُ - في ضوء هدفه السابق - على مبحثين أحدُهما





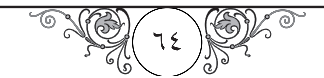
تنظيريٌّ والآخرُ إجرائي، فأما الأولُ منهما فقد خُصِّصَ لفاعلية (عتبة البداية)، ووظائفِها، وقدّمَ قراءةً عامةً لعيّنة البحث: (خطبة الغدير)، وأما المبحثُ الآخر فقد اعتنى بمقاربة عتبةِ البداية في الخطبة سيميولوجياً عِبرَ تحليل مستوياتِها كلِّها، فاشتغلَ على (المستوى المعجمي) في (عتبة البداية) وقرأه سيميولوجياً مفتّشاً عن علاماته الدالة، وأشارَ إلى علائقه بالمتن، وقارب (المستوى التركيبي) فيها فكشف عن علامية التركيب فيه، وبيّن أهميّة تعالقه مع تراكيب المتن، مثلما اشتغل على (المستوى التصويري) الذي اختصّ بقراءة هذه العتبة وعلاماتِها التصويرية وتعالقاتِها مع المتن أيضاً، وكشف عن فاعلية الوسائل التصويرية في إنتاج المعنى، وانتهى المبحثُ بـ(المستوى الايقاعي) في هذه العتبة؛ لما له من أهميةٍ في تحفيز المتلقي، وشدِّ انتباهِه، فضلا عن إثراءِ المعنى.

إنّ هذه القراءةَ هي اجتهادُ المُقِل، وبضاعةٌ مزجاة، يرجو صاحبُها أن يوفّقَ لقبولِها عند صاحب الخطبِة - صلّى الله عليه وآله، وصاحبِ يومِها، أميرِ النحل أبي تراب، سيدي ومولاي، - صلوات الله وسلامه عليه -، وأن يفوزَ برشفةِ قدحٍ من حوضٍ هو ساقيها يوم المَعاد، وآخر دعواه أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوّل

البعد التنظيري في المصطلَح والعَيِّنَة

١- في المصطلح: (عتبة البداية: الفاعلية والوظائف):

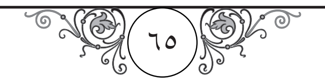


يُعدُّ خطاب البدايةِ المنطقة الأولى التي تشهد اللقاء الأول بين النص و المتلقي، وهي نقطة الشروع في الحوار بينهما، وعبرها يولد النص، وتتفاعل عناصره الهيكلية بنيوياً وعلائقياً مشكّلَةً بنيته الكاملة (بداية – متن – نهاية)، ففاعليتها تنبع من فاعلية البدايات في كلّ شيء؛ فهي (القَبْل) الذي يترتّب على أساسه (البَعْد)؛ لأنّ عناصرَه تأخذ أدوارها، وأماكنها المُخصّصة في ضوء نقطة الشروع الأولى تلك (البداية)، التي تؤسس لبناء معالم النص كلّها، فهل يُعقل أن ندخلَ الدارَ دونَ أن نطأ أعتابها؟، ومن ذاك اكتسبَ هذا الخطاب العتبة أهميةً مركزية في القراءة.

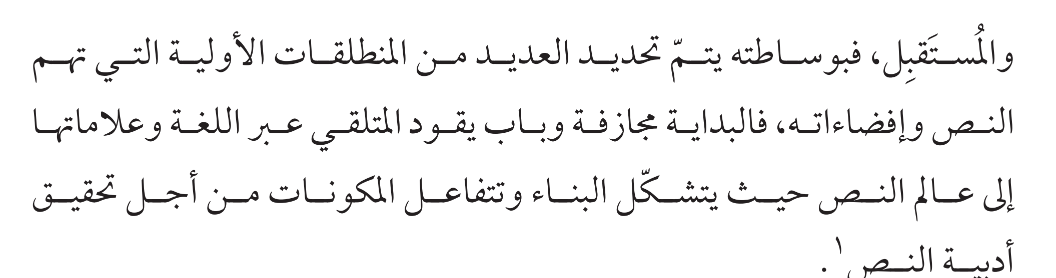
ويُمثّل هذا الخطاب لحظةً حسّاسةً تنعكسُ - بشكل أو بآخر - على أفق انتظار المتلقي، ما دام هو الذي يعمل على تيسير ولوجه لمتن النص المشحون بالمفاجآت والانتظارات، انطلاقا من استجابته لفضول أخّاذ يكون مصدره قراءة المنطقة الماقبلية (ومنها خطاب البداية) الذي يُشكّل معبرا حاسما إلى عوالم النص، أما غياب عنصر الاثارة والتشويق والجذب في عناصر ما قبل النص، فيدفع القارئ إلى الاحجام عن خوض مغامرة القراءة في حالة (البداية) غير المحفّزة على متابعة القراءة، فكل بداية هي بمثابة نوع من عملية ترويض القارئ، وهي احدى رهانات البداية؛ لكسب ثقة القارئ، وتحفيزه على متابعة القراءة[1].

وتأتي أهمية خطاب البداية من كونه حلقة تواصل بين البات

(١) ينظر: البداية والنهاية في الرواية العربية، عبد الملك أشهبون، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م: ٣٢-٣٣.







والمُستَقبِل، فبوساطته يتمّ تحديد العديد من المنطلقات الأولية التي تهم النص وإفضاءاته، فالبداية مجازفة وباب يقود المتلقي عبر اللغة وعلاماتها إلى عالم النص حيث يتشكّل البناء وتتفاعل المكونات من أجل تحقيق أدبية النص[1].

إن هذا الملفوظ الافتتاحي (خطاب البداية) يعمل على تنظيم دخول القارئ السلس في عالم النص، ومناخه الدلالي، وذلك باقتراح تعاقد ضمني للقراءة، يتأسس على أهمية بلاغة البداية المُشَفَّرَة في تلقي النص، والتحفيز على متابعة القراءة، فهو بمثابة العتبة المفضية الى التخييل والتأويل[2].

إن الدخول في خطاب البداية، والشروع في خلق وتآلف معه، يقود المتلقي إلى الانتقال مما هو واقعي نحو ما هو خيالي/ واقعي، فإن كان المتلقي يعيش واقعه بوصفه كائنًا اجتماعيًا على وفق رؤيته الخاصة به، وتعامله معه بوصفه محسوسًا، معاشًا، فهو يَتَمَثَّل النص كعالمٍ موازٍ تلعب فيه الإشارات والرموز دورها للوصول الى دلالاتها العميقة في النص[3].

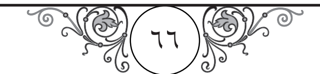
وتمارسُ عتبة البداية تأثيراً خاصاً على المتلقي، فتوَجّه تصرفاته إزاء النص الذي سوف يقرؤه، مما يعني أن إحكام بناء هذه المنطقة يشدُّ

---

(١) ينظر: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل - دراسات في الرواية العربية، شعيب حليفي، ط١، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠١٣م: ٩١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية في الرواية العربية: ٣٤.

(٣) ينظر: البداية في النص الروائي، نور الدين صدوق، دار الحوار، سورية، ط١، ١٩٩٤م: ١٨.



القارئ إلى النص، ويجعله يتابعه إلى النهاية، وعلى العكس من ذلك فإن البداية الرديئة البناء - حتى وإن كانت بقية أجزاء النص جيّد - فإنّها تجعلُ القارئ يعزفُ عن إتمام القراءة، وتصرف عنها، ليتفادى المسار النصّي الشاق[1].

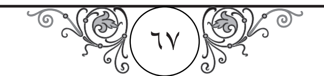
وقد اختلف الدارسون في تحديدٍ نهائيٍّ لوظائف البداية بحسب وجهات النظر، والمتن المقروء، فمنهم من يرى أن لها وظيفتين: الأولى جلب انتباه القارئ او السامع أو المشاهد، وشده الى الموضوع؛ لان غاية النص تضيع بضياع انتباهه، ويتم انتباهه بأدوات كلامية حسنة، وبأسلوب تعبير مثير، ويعدُّ ذلك من أخصِّ أسبابِ النجاح، أما الوظيفة الثانية فهي التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص، وهذه الوظيفة ذات شعب عدة، منها أن البداية لها موقع مهم تُربط به مع بقية عناصر النص برابط عضوي، ومن الشعب الأخرى أن المعنى لا يأتي إلا من الابتداء الحسن، وأن السامع لا يُقبِل إلا متى ما كان الكلام حسنًا، صحيح المعنى، ومن الشعب الأخرى ما يتصل بالغاية من الموضوع[2].

لذلك فإن هذا الخطاب يضطلع بتحقيق وظائف متعددة ومتشعبة؛ إذ تتضافر استراتيجية خطاب البداية بعملية القراءة في أفق تحقيق نوع من

---

(١) ينظر: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م: ١١٥.

(٢) ينظر: الاستهلال - فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣م: ٢٢-٢٤.





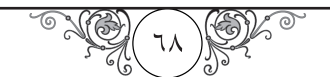
التواصل الخفي المرغوب فيه، وذلك حينما يرتبط خطاب البداية بوعي القارئ، وفي هذا الأفق تُعطى للبداية مزية التوجيه، بشكل مسبق نحو نمط معين من القراءة، وذلك بما يتناسب ودرجة الوعي الثقافي والجمالي لهذا القارئ، وبهذا التواصل الخفي تُحرَّر قوى الأثر الكامنة في البداية (لغوية كانت أو أسلوبية أو دلالية)، وتقدّم نفسها بهذا الشكل أو ذاك، وعلى المستوى التعبيري يضطلع خطاب البداية بدور تخصيصي بوصفه فضاء تتحدد فيه السمات الاسلوبية الخاصة التي ستطبع النص بعد ذلك بطابعها، ومن ثمّ يبني النص منذ البداية بلاغته الكتابية الخاصة، القائمة إما على الشفافية المباشرة، أو النزوع الى التصوير التشخيصي، تُضاف إليها وظيفة تأطير الحدث من حيث: مكان وقوعه، زمانه، وفاعله، وإما على الكثافة بما تحمله هذه الإستراتيجية من تشابك وتداخل[1].

ومن أهم وظائف (خطاب البداية) الوظيفة الاغرائية التي تعمل على جذب انتباه القارئ؛ وذلك بتحفيز رغبة القراءة لديه؛ إذ تسعى عتبة البداية بكل امكاناتها الفنية الى وضع القارئ في حالة ترقّب قصوى، في انتظار ما سيحدث، بحيث تحثّه البداية على الانغماس في تتبع التفاصيل؛ لمعرفة ما يثوي خلف سطور هذه البداية المشوّقة من أحداث ووقائع[2].

ولا تُعدّ بداية النص قضيةً شكليةً / بنيوية فحسب، بل أنها تقوم بوظائف مهمّة أخرى منها ما يتمثّل بإخبار القارئ عن الجنس الأدبي،

(١) ينظر: البداية والنهاية في الرواية العربية: ٣٥-٣٦.

(٢) ينظر: م.ن: ٣٠.

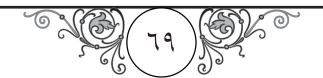


والمتـن المرجعـي لهـذا النـص، وتقاليـد الكتابـة المتعلّقـة بحقبـة كتابيـة معيّنـة، وكـذا حـول العلامـات الثقافيـة التـي تؤطّـر النـص وتوجّـه دلالاتـه، ومـن ثـمّ فإنّهـا – بعملهـا هـذا – تُسـهم في فتـح (أفـق انتظـار) جديـد، وبهـذا المعنـى فـإنّ بدايـة النـص هـي مـكان الانفتـاح الـذي لا يتحـدّد معنـاه إلاّ مـع العتبـة الأخـرى (النهايـة)، التـي تصرفـه إلى العـالم والتـي تغلقـه، وتفتحـه في الوقـت نفسـه، وبمعنـى آخـر إنّ البدايـة تفتـحُ النـصَّ عـلى مرجعيـات الجنـس الأدبي ومخـزون الأفـكار والقواعـد المُتَحَكِّمَـة فيـه، والتـي تسـتمدّ شرعيتهـا مـن النمـوذج النـصّي المُهيمِـن، كـما أنّ البدايـة تُغلِـق النـص عـلى ذاتـه، وتُعطيـه طابـعَ الاسـتقلالية عـن غـيره مـن النصـوص الأخـرى[1].

ومـما يجـب أن نؤكّـده هنـا، هـو أنّ العلاقـة بـين (عتبـة البدايـة) و(متـن الخطبـة) هـي علاقـة الجـزء بالـكل، لكـنّ هـذا الجـزء ليـس غريبـاً عـن جسـد الـكل، ولا هـو منـه في الآن نفسـه، وبتعبـير آخـر إنّ البدايـة – لا سـيما في عيّنـة الدراسـة عندنـا – هـي منطقـةٌ برزخيـة، انتقاليـة، تنقـل المتلقـي مـن منطقـة (مُنَاسَـبَةِ الخطبـةِ) – التـي نعدهـا عتبـةً أيضـاً – إلى المتـن الرئيـس، فهـي مكـوّنٌ تحفيـزي، تبشـيري، جـاذب، يعمـل عـلى تَهْيِئَـةِ المُخَاطَـب للدخـول في فضـاء المتـن الرئيـس الحامـل لبـؤَر المعنـى، ويُبـشّر بعلاماتـه الدالـة، وقـد يتولّـد في الذهـنِ سـؤال فحـواه: هـل يمكـن للبـاث هنـا الاسـتغناء عـن هـذه العتبـة؟ أبـداً، لاسـيما في الخطبـة العيّنـة، لأنّ المنطقـة القَبْلِيّـة (البدايـة) حـاضرة علاماتيـاً بالمنطقـة البَعْدِيّـة (المتـن)، ويرجـع هـذا التعالـق إلى سرّ خصوصيـة الحـدث

---

(١) ينظر: نظرية النص – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ١١٥-١١٦.





المُنتَج في النص، والمتمثّل بإعلان سلطة الولاية، ونقلها رسميًا من الله - جلّ جلاله -، إلى الرسول - صلّى الله عليه وآله - ثم إلى أمير المؤمنين - عليه السلام -، وعتبة البداية مثّلت حضورَ الذات الإلهية بقوّتها، وجبروتها؛ لتمنحَ الفضاء المعنوي بعداً ربانياً، ولتُهيْ الجو للـ(الأنا الباثّة) = الرسول الكريم - صلّى الله عليه وآله -، للإعلان عن الحدث المركزي.

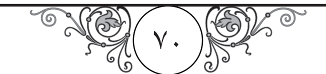
٢- في العيّنة: (خطبة الغدير: عتبة المناسبة وهيكل النص):

هذا النص عتبةٌ قَبْلِيَّةٌ مثيرة، أسميتها بـ(عتبة المناسبة) وهذا النمط من العتبات يأتي بوصفه منطقة برزخ انتقالية في الموروث الروائي غالباً، تُهيئ المتلقي لاستقبال النص، عِبرَ كشفها عن ظروف إنتاجه، والفضاء الروائي المحيط به، من سلسلة رواة، وردود أفعال، ودوافع إنتاج، وهي تقع في حيّز (النصُّ المحيط) الذي هو كيانٌ خارج نصّي، يتمتّع بفضاء متني مستقل عن المتن الذي يُقدّم له، ويُهيئ المتلقي لاستقباله، لكنّه ملاصقٌ له، قريبٌ منه، ويضطلع هذا النمط من العتبات بأداء وظائف جمّة أهمها:

أ- وظيفة التعيين الجنسي للنص: إذ بوساطة عتبة المناسبة نعرفُ أن النص الآتي، هو خطبةٌ أو روايةٌ عقائدية، أو رسالة... الخ

ب- وظيفة الكشف عن فضاء إنتاج النص، ومعناه العام، والهدف من إنتاجه.

ج- وظيفة إغواء المتلقي، وتهيئته للدخول في متن النص.



وفي نصنا العيّنة تتصدر رواية مهمّة جداً تُروى عن أبي جعفر محمد بن علي - عليه السلام -، تختزل الوظائف السابقة كلّها، ونصُّها: ((حجّ رسولُ الله - صلّى الله عليه وآله - من المدينة وقد بلَّغَ جميعَ الشرايع قومه غير الحج والولاية، فأتاهُ جبريل - عليه السلام - فقال له: يا محمّد إنّ اللهَ جلّ اسمه يُقرؤكَ السّلام ويقول لك: إنّي لم أقبضْ نبيًّا من أنبيائي، ولا رسولاً من رُسُلي إلاّ بعدَ إكمال ديني وتأكيد حُجَّتي، وقد بقي عليكَ من ذاك فريضتان ممّا تحتاج تبلّغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإنّي لم أُخْلِ أرضيَ من حُجَّة، ولن أُخليها أبداً... فنادى منادي رسول الله - صلى الله عليه وآله - في الناس: ألا أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وآله - يريدُ الحجَّ... فخرجَ - صلّى الله عليه وآله - وخرجَ معه الناس، وأصغوا إليه لينظروا ما يصنعُ فيصنعوا مثله... فلمّا وقفَ بالموقف، أتاه جبرائيل - عليه السلام - عن الله - عزّ وجل - فقال: يا محمد إن اللهَ - عزّ وجل - يُقرؤك السلام ويقول لك: إنّه قد دنا أجلُك، ومدّتُك، وأنا مستقدمك على ما لابدّ منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدَك، وقدّم وصيتك، واعمد إلى ما عندكَ من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتّابوت وجميع ما عندكَ من آيات الأنبياء، فسلّمه إلى وصيّك وخليفتكَ من بعدِك حُجَّتي البالغة على خلقي عليّ بن أبي طالب - عليه السلام -، فأقمه للناس عَلَماً، وجدِّد عهدَهُ وميثاقه وبيعته... فإنّي لم أقبض نبيّاً من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني [وحُجّتي]، وإتمام نعمتي بولاية أوليائي، ومعاداة أعدائي، وذلك



كـمال توحيـدي وديني، وإتمـام نعمتـي عـلى خلقـي باتّبـاع وليـيّ وطاعتِـه، وذلـك أنّي لا أتـركُ أرضيَ بغـيرِ وليّ ولا قيّـم ليكـونَ حُجّـة لي عـلى خلقـي... فخـشي رسـولُ الله - صـلى الله عليـه وآلـه - قومَـه وأهـلَ النفـاق والشـقاق أن يتفرّقـوا ويرجعـوا [إلى] جاهليـةٍ، لمـا عُـرفَ مـن عداوتهم، ولمـا تنطـوي عليـه أنفسـهم لعـليٍّ مـن العـداوة والبغضـاء، وسـألَ جبرئيـل - عليـه السـلام - أن يسـأل ربَّـه العصمـةَ مـن النـاس، ثـمّ انتظـر أن يأتيـه جبرئيـل بالعصمـة مـن النـاس عـن الله جـلّ اسـمه، فأخّـر ذلـك إلا أن بلـغَ مسـجد الخيـف، فأتـاه جبرئيـل - عليـه السـلام - في مسـجد الخيـف فأمـره بـأن يعهـد عهـده ويقيـم عليًّـا عَلـمًا للنـاس يهتـدون بـه، ولم يأتِـه بالعصمـة مـن الله - جـلّ جلالـه - بالـذي أراد حتّـى بلـغَ كِـراعَ الغميـم بـين مكـة والمدينـة، فأتـاه جبرئيـل وأمـره بالـذي أتـاه فيـه مـن قِبَـلِ الله ولم يأتـه بالعصمـة، فقـال: يـا جبرئيـل إنِّي أخشـى قومـي أن يُكذِّبـوني ولا يقبلـوا قـولي في عـلي - عليـه السـلام -، قـال: فرحـل فلـمّا بلـغَ غديـر خُـم... أتـاه جبرئيـل - عليـه السـلام - عـلى خمـسِ سـاعات مضـت مـن النهـار بالزجـر والانتهـار والعصمـة مـن النـاس، فقـال: يـا محمّـد إنّ اللهَ - عـزّ وجـل - يُقـرؤكَ السـلام ويقـول لـك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾... فأمـر بـأن يـردّ مـن تقـدّم منهـم ويحبـس مـن تأخّـر عنهـم، في ذلـك المـكان ليُقيـم عليّـاً للنـاس عَلَـماً ويُبلغهـم مـا أنـزل الله تعـالى في عـليّ - عليـه السـلام -، وأخـبره بـأنّ اللهَ - عـزّ وجـل - قـد عصمـه مـن النـاس، فأمـر رسـول الله - صـلّى الله عليـه وآلـه -

عندما جاءته العصمة - منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة،... أمره بذلك جبرئيل عن الله - عزّ وجل -، وكان في الموضع سلمات فأمرَ رسول الله - صلى الله عليه وآله - أن يُقَمَّ ما تحتهنّ وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس،... فقام رسولُ الله - صلى الله عليه وآله - فوقَ تلك الأحجار ثمّ حمِدَ الله تعالى وأثنى عليه فقال:...))[1].

إن هذه الرواية تحملُ خطابَ تبليغ وتشريع رسمي عاجل، من باث عالٍ / الله جلّ جلاله، إلى مُبلّغ / رسوله الكريم - صلى الله عليه وآله، بوساطة وحي ناقل، وهو برموزه هذه المتمثّلة بأطراف الرسالة المركزية: البَاث (الله) والمُسْتَقْبِل (الرسول) والنَاقِل (جبرئيل) يحتقبُ أهميةً بالغة، تكشف عن مركزية (الحدث) الذي سيحدث، وعظيم منزلته عند الله - عزّ وجل -، ولاسيما أنّه يُمثّل ختام الرسالة، فاكتمال الوظيفة التي اضطلع بها المُرسَل/ النبي الأكرم منوط بتبليغه، وإعلانه على الملأ، وقد جاءت بأسلوب ضاغط (الأمر = (بَلِّغْ)، والشرط المشتمل على الوعيد والتهديد = (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ...))، ويشتمل نص الرواية على علامات تؤشّر مركزية الحدث، وأهميته العظيمة في الخطاب الإسلامي أهمها:

- جَعْلُ الولايةِ حُجّة، وإن الحُجّة (وتتمثّل بوليّ من أولياء الله) هي

(١) الاحتجاج، تأليف أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبَرْسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق: ابراهيم البَهادُري، والشيخ محمّد هادي به، بإشراف: العلّامة الشيخ جعفر السبحاني، دار الأسوة للطباعة والنشر - قسم التحقيق في منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، ط ٨، ١٤٣٥هـ: ١/ ١٣٣-١٣٨.



السلطة التي تنتقل من الله - عزّ وجل - إلى وليّه، وأنه - عزّ وجل - لا يترك أرضَه خاليةً من حُجة، وفي ذلك إشارة للإمام المُنتظر - عجّلَ اللهُ فرجَه-.

- جَعْلُ الولايةِ فريضة، وهي صنوّ فريضة الحجّ في أهميتها.

- هبوط الوحي وتكرار أمر التبليغ أكثر من مرّة؛ يؤكّد الأهمية القصوى للحدث، وعلاقته بإكمال تبليغ الخطاب الإلهي من جهة، مثلما يؤكد أن جهة البث سماوية وهي أعلى سلطةً من الرسول من جهةٍ أخرى.

- تردّد الرسول في تبليغ الحدث، وحاجته لتوفير حصانة إلهية يؤشّر خطورة الحدث الآتي، وأثره في تغيير مسار الخطاب الإسلامي، وحصول انقلاب فكري.

- ربط الولاية وهي بؤرة الحدث بكمال التوحيد لله، وهذا يمنح الولاية سلطة تشريعية فوقية، وأهمية محورية.

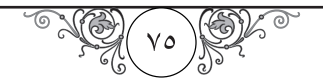
إن كلّ هذه المؤشّرات تعمل على تهيئة المتلقي إلى استقبال (حادثة الغدير) وتغريه للمتابعة، والتقدّم في تتبّع السرد؛ لتتكشّف أمامه ملامح الحادثة المهّمة، فضلا عن أنها تُبيّن مقامَ الحال، قبل وقوع المقال، ومحورية الحدث الآتي، ومركزيته في تبليغ الخطاب الإسلامي الحق، فإنْ لم يُنفّذ المُخَاطَب / الرسول، أوامر المُخَاطِب / الله تعالى في التبليغ سقطت شرعيتُه، وسُحبت صلاحيتَه.

بعد هذا النص البرزخي - عتبة المناسبة -، يأتي نص الخطبة الكامل[1] الذي توزّعَ - بحسب ما نرى - على ثلاث مناطق كتابية هي: (عتبة البداية + المتن + عتبة النهاية)؛ إذ تبدأ منطقة البداية من قول الرسول - صلّى الله عليه وآله -: ((الْحَمْدُ لله الَّذي عَلا في تَوَحُّدِهِ وَدَنا في تَفَرُّدِهِ...)) وتنتهي بقوله: ((وَقَدْ ضَمِنَ لي تَبارَكَ وَتَعالى الْعِصْمَةَ مِنَ النّاسِ وَهُوَ اللهُ الْكافِي الْكَريمُ))، ويبدأ المتن بقوله - صلّى الله عليه وآله -: ((فَأَوْحى إِلَيَّ: بسم الله الرحمن الرحيم...))، وينتهي بقوله: ((أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ في جَنّاتِ النَّعيمِ))، وتبدأ الخاتمة بقوله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، قُولُوا ما يَرْضَى اللهُ بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ))، وتنتهي بقوله: ((وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمينَ))، إن هذا التوزيع لا يعني أبدا انفصال المناطق بعضها عن بعض، بل هي متعالقة، مترابطة دلالياً، لكنّها، - وبحسب (قاعدة الرُّتبة) - تصبح لكلّ واحدةٍ منها وظيفة تضطلع بها، وفي الوقت نفسه تؤدي كلّها الدلالةَ المحورية (الولاية) التي أنتِجَت الخطبة لتأديتها، إلا أن ذلك يجري على نحو تَدَرُّجِي، فالبداية تُهيئ للحدث المحوري وتفتح النص، والمتن يحتقبُ ذلك الحدث، والخاتمة تُنهيه، وتُغلِق النص.

لقد بُني هيكل نصّ الخطبة في ضوء إستراتيجية طبقية تراتبية تراكمية، توزّع المعنى فيها على طبقات، وقد اعتُمِدَ فيها الأسلوب الإقناعي، والتدرّج في الحجاج، عِبرَ طرح الحُجج منطقياً؛ إذ تبدأ منذ عتبة البداية بطرح الحجج التي يُسلّم بها المتلقي، وقد عمِلَت على تحفيز ذاكرته

---

(١) ينظر نص الخطبة كاملا في كتاب: الاحتجاج: ١/ ١٣٨-١٦٠.



بالتركيز على سلطوية الخطاب الإلهي، وتهيئته لاستقبال ذلك الخطاب الذي يستعدّ الرسول لطرحه، ثمّ يأتي المتن ليتّصل مع البداية اتصال تعالق، وتضام، وتكامل، عِبْرَ فتح الخطاب على مسلّمات البداية، وشحن ذهن المتلقّي بمسلّمات إسلامية راسخة عنده، تتّصل باقتصار الرسول على التبليغ، الأمر الذي يجعل الخطاب المطروح خطاباً فوقياً، لا يمكن لأي موحّد أن يتنكّر له، ويُعارضه، فمعارضة خطاب الله كفرٌ محض، وهذا ما رسّخته خاتمة نص الخطبة، التي جاءت لتكمّل ما انفتح عليه الخطاب بوساطة عتبة البداية والمتن، لتغلق هذا الخطاب، وتختم الحدث بتجريم من يقاطع هذا الخطاب، أو يعمل على التحريض ضدّه، فوصمت من لا يمتثل لأوامر الخطاب الإلهي بالكفر، وهو - في ثوابت الخطاب الإسلامي - أعلى درجات الخروج عن السلطة الإلهية العليا، ومن يمارس هذا الفعل، مكانه الحضيض، والتفحّم في قعر جهنّم، ومن هنا فقد كان لعتبة الخاتمة دورٌ فاعلٌ في تأطير نص الخطبة، وتعزيز ما أنتجه العنصران السابقان (البداية والمتن)، وإعلان الانتهاء، وإغلاق النص على مقررّات ذلك المُنتَج، فالخاتمة ((تمكّننا من رسم حدود إطار النص وانغلاقه على ذاته بما هو بنية لها خصوصيتها واستقلاليتها عن البنى اللغوية والتواصلية الأخرى))[1].

إن نصّ الخطبة رسالة خطابية متكاملة، تتداخل فيه الخطابات، والأصوات، فيظهر فيه (الآخر المتعالي الفاعل) = (الله جلّ جلاله) المتجلّي

---

(١) نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ١٢٥.

بضمائر الغيبة، وقد هيمن على نص (عتبة البداية)، ثمّ (الأنا) الناقلة = (الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله) المتجلية بضمائر التكلّم وتُهيمن على نص (المتن) الذي يتخلله حضورٌ ضمائري غائب آخر تمثّل بـ(الآخر المحوري) = (الامام علي عليه السلام) المقصود بالخطاب، وتُسجّل الخاتمة آخرين: هما (الآخر المتعالي الفاعل) و (الآخر المُخَاطَب: الناس)، وتحضر في نص الخطبة الخطابات الاستثنائية المُستدعاة من (القرآن الكريم)؛ تعزيزاً للحُجج، وتقويّة للخطاب المطروح.

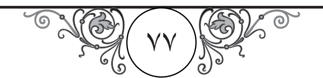
المبحث الثاني

البعد الإجرائي

١- المستوى المعجمي:

لما كانت السيميولوجيا علماً يبحثُ في أنظمة العلامات سواء أكان مصدرها لغوياً أم غير لغوي[1]، فإنّ عنايتنا لمقاربة النص المقروء (عتبة البداية في خطبة الغدير) ستنصبّ على علاماته المتوزّعة على مستوياته كلّها، ابتداءً من المستوى المعجمي وانتهاء بالمستوى الدلالي؛ لأنّ النص ولاسيما الأدبي منه تشكيلٌ من علامات دالة، تمثّلُ دوالاً لمدلولاتٍ انحرفت عن معناها المباشر، إلى معنى فنّي جمالي، توزّعت على مستويات تشكيله كلّها، وأولها المستوى المعجمي الذي هو نواة التَشَكُّل الأولى؛ لأنّه الحيّز

(١) ينظر: محاضرات في السيميولوجيا، د. محمد السرغيني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م: ٥.



الـذي تعـوم فيـه المفـردات (العلامـات) التـي تشـكّل كلُّ مجموعـة منهـا حقـلاً دلاليـاً - عـلى المسـتوى المعجمـي طبعـاً - وبتجميعهـا حقليـاً يُنتِـج النـصُّ معنـاه العـام؛ إذ ((تصـدر مكونـات المعجـم في أي خطـاب عـن حاجـة المعنـى إلى الثـراء، وحاجـة المرسِـل إلى التأثـير والإقنـاع، وكلـما فـاض المعجـم بالتنـوّع وتعـدّد الحقـول الدلاليـة دل ذلـك عـلى تمكّـن المُرسِـل مـن عنـاصر الرسـالة وكيفيـة الإرسـال، وكلّـما انتظمـت عنـاصر المعجـم عـلى وفـق أسـلوب تعبـيري معـيّن دلّ ذلـك عـلى خصوصيـة أسـلوب المُرسِـل مـن جهـةِ الألفـاظ وبعـده عـن الترهُّـل اللفظـي))[1].

إنّ المعجـمَ - في منظـور الـدرس السـيميولوجي الحديـث - قائمـةٌ مـن الكلـمات أو الإشـارات التـي تـتردد بنسـب مختلفـة أثنـاء نـص معـين، وكلـما تـرددت بعـض الكلـمات بنفسـها أو بمرادفهـا أو بتركيـبٍ يـؤدي معناهـا كوّنـت حقـلا أو حقـولا دلاليـة[2]، وقـد تشـابكت في المسـتوى المعجمـي لـ(عتبـة البدايـة) في الخطبـة العيّنـة مفـردات بعينهـا، أو بتراكيـب مؤديـة لمعناهـا خالقـة علاقـات تفاعليـة فيـما بينهـا؛ لتُنتِـج الأثـر الـكلّي لنـص العتبـة، وتـؤدّي وظيفتهـا المنوطـة بهـا؛ إذ تـردّدت أفعـالٌ متقاربـة الدلالـة مُشـكِّلَة حقـلا دلاليّـاً فاعـلاً، وهـي بوصفهـا (علامـات) جـاءت لتهيـئ المخاطـب للحـدث الأعظـم وهـي ولايـة أمـير المؤمنـين - سـلام الله عليـه -، وهـي دوال تـدلّ

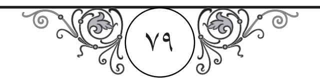
(١) الأسلوبية بوصفها مناهج - الرؤية والمنهج والتطبيقات، د. رحمن غركَان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٤م: ٢٠٧.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م: ٥٨.

على عظمة الله تعالى وجبروته وقوّته، وقد كوَّنَت بتراكمها متتالية فعلية مثيرة، تبعثُ الرهبة في القلوب، وتهيئ لاستقبال الحدث الذي سيأتي في (المتن)، ومنها: (عَلا في تَوَحُّدِهِ، جَلَّ في سُلْطانِهِ، قَهَرَ جَميعَ الْخَلْقِ، جَبّارُ الاَرَضينَ وَالسَّماواتِ، مُتَفَضِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ أَنْشَأَهُ، َلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعُيُونُ لا تَراهُ، جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ، يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِلا مُشاوَرَةِ مُشيرٍ، تَواضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ، يَشاءُ فَيُمْضي، وَيُريدُ فَيَقْضي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصي، وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني، وَيُضْحِكُ وَيُبْكي، وَيُدْني وَيُقْصي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطي، يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ...)[1]، وبعد أن تترسّخ في قلوب المتلقين قدرةُ الله، وعظمتُه، وقوّتُه، ينتقل الخطاب من الفعلية إلى الاسمية الدالة على الثابت، المتجذّر، الراسخ...؛ لأنّ الخطاب أخذ ينعطف إلى الوصف، واستعراض صفات المتجبّر العظيم الذي بيده كلّ شيء، صاحب الصفات الراسخة، والسمات الثابتة، فالاسمية هنا ستكون أكثر انسجاماً من الفعلية؛ لثباتها، ورسوخها، وملاءمة هذا الثبات والرسوخ لصفاته - عزّ وجل -: (حَميداً، مَحْمُوداً، مَجيداً، بارِئُ الْمَسْمُوكاتِ، َداحِي الْمَدْحُوّاتِ، جَبّارُ الاَرَضينَ وَالسَّماواتِ، قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ...).

لا شكّ إن محور (الاختيار والاستبدال) يمارسُ ضغطاً سرِيًّا على ذهنية (الباث = الرسول صلى الله عليه وآله)؛ ليُسقط انفعاله - بعد أن

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٨-١٤١.



أُثير فوقياً (جاءه الأمر الرباني) - على سلسلته المعجمية من (الأفعال - الأسماء - الأدوات الرابطة)؛ ليختار، ويستبدل، بحسب تلاءم المُختار للمعنى المُراد، وما يتساوق مع المقام، وسياق الحال، وهدف الخطاب المتعالي (الإرادة الربانية) = (بَلِّغْ)؛ لذلك نجد أن المُخَاطِب (النبي صلى الله عليه وآله) قد اختار (علا) بدلا من (ارتفع)، و(جلّ) بدلا من (عظُمَ) ليأتي بها مع (سلطانه)، و(أحاطَ) بدلا من (طوّقَ)...؛ لأنّ (علا: من العلو) توحي بالثبات، والرسوخ، وديمومة العلو، وعدم تخلخله، وأن منزلته - جلّ جلاله - عالية منذ الأزل، في حين لو اختار (ارتفع) لغيّرت الفحوى، وشوّهت المعنى المطلوب، ولم تُوظّف إعلاميًا كـ(علا)؛ إذ أنّ (ارتفع) توحي بتقلّب الصاعد بين الطبقات وتنقّله من طبقة إلى أخرى تصاعدياً، والانتقال من التحت إلى الفوق تدريجياً، وهي توحي بحركة صعود ديناميكية فعلية لا ثبات فيها، نقول هذا الشيء ارتفع في السماء، فهو مستمر بالارتفاع، ولم يتوقف، وقد يهبط بعد حين، وقتَ انهيار مقومات الرفع، أما حين نقول: مقامُكَ عالٍ، فهذا يوحي بثبات الصفة، على الرغم من سمة الفعلية في (علا) التي تشير إلى الحركة والاضطراب وعدم الثبات، فضلا عن أنّ دلالة الفعل (علا) تتمتّع بميزات دلالية معجمية يفتقر إليها الفعل البديل المُفتَرَض: (ارتفع)، فهو يدلّ على العظمة والبطش والقَهْر: ((علا فلانٌ فلاناً إذا قهره))[1]، وهذه الدلالات

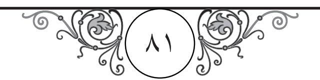
(١) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت٧١١ هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م: مادة (علا).

مـن ألصـق الصفـات بالعظيـم الجبّـار المُتكـبّر - جـلّ جلالـه.

وتهيمـن وظيفـة (إثبـات الصفـات الجبروتيـة العظيمـة للـذات العليـا) - التـي أُنتِجَـت عتبـة البدايـة؛ لتأديتهـا - عـلى المسـتوى المعجمـي فيهـا كلّـه؛ إذ ينتقـل النـصّ بعـد الفقـرة السـابقة لإنتـاج علامـات أخـرى تؤكّـد مـا افتُتِحَـت بـه عتبـة البدايـة مـن دلالات العظمـة والقـوة: ((وَأَشْـهَدُ أَنَّـهُ اللهُ الَّـذي مَـلأ الدَّهْـرَ قُدْسُـهُ، وَالَّـذي يَغْشَـى الأبَـدَ نُـورُهُ، وَالَّـذي يُنْفِـذُ أَمْـرَهُ بِـلا مُشـاوَرَةِ مُشـير، وَلا مَعَـهُ شَريـكٌ في تَقْديـرِ، وَلا تفـاوت في تَدْبـير، صَـوَّرَ مَـا ابْتَـدَعَ عَـلى غَـيْرِ مِثـال، وَخَلَـقَ مـا خَلَـقَ بِـلا مَعُونَـة مِـنْ أَحَـد وَلا تَكَلُّـف وَلاَ احْتِيـال، أَنْشَـأَها فَكانَـتْ، وَبَرَأَهـا فَبانَـتْ، فَهُـوَ اللهُ الَّـذي لا إلـهَ إلاّ هُـوَ الْمُتْقِـنُ الصَّنْعَـةَ، الْحَسَـنُ الصَّنيعَـةُ، الْعَـدْلُ الَّـذي لا يَجُـورُ، وَالأكْـرَمُ الَّـذي تَرْجِـعُ إلَيْـهِ الأمُـورُ))[1]، فعلامـات (المَـلْء الدهـري، والإغشـاء الأبـدي، ونفـي الشِركَـة، والأمـر النافـذ، والتصويـر المُبتَـدَع، والخلـق بـلا معونـة، ونفـي غـيره، وإتقـان الصنعـة، والعـادل، والـذي ترجـع الأمـور إليـه) كلّهـا تـؤشّر عظمـة الله وقدرتـه، وجبروتـه، وأبديتـه، ووحدانيتـه، وهـي معـانٍ تُهـيء المتلقـي لاسـتقبال الحـدث الآتي في المتـن، والصـادر عـن الـذات التـي ترسّـخت فيهـا هـذه الصفـات العظيمـة، والتـي هـي مـن مسـلمات الخطـاب التوعـوي الإسـلامي.

إنّ جميـع العلامـات المُنْتَجَـة في عتبـة البدايـة تعـوم - عـلى المسـتوى المعجمـي - في سـياق دلالي واحـد، يوحّـد طاقتهـا المعنويـة، ويمنحهـا قـوّة ذات أثـر فاعل

(١) الاحتجاج: ١/ ١٤٠.





باجتماعها سياقياً؛ فـ((العلامة لا يمكن أن تعمل بمفردها وإنما بادراجها في سياق متعدد المستويات، فموقعها هو الذي يُحدّد وظيفتها))[1]؛ ومن هنا كان للعلامات المعجمية الدالة على الجبروت والعظمة والقوة أثرٌ فاعل في تحضير المتلقي؛ لاستقبال الحدث الأكبر في (متن الخطبة)، فالموقع الذي استقرّت به هذه العلامات، هيأ لها مناخاً مناسباً، لتشغيل تأثيرها المعنوي، وتحفيز إمكاناتها الرمزية العلاماتية الفاعلة.

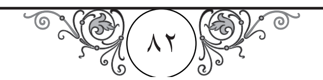
٢- المستوى التركيبي:

يتّسع مفهوم (التركيب) في الحقل السيميولوجي، فيتعدى القواعد التي تحكم العلائق الإفرادية (القواعد النحوية) إلى منطقة أوسع تكون وظيفته فيها إنتاج المعنى العلاماتي الكلّي للنص لا للجمل المُشكّلة له؛ إذ ((يهتم بالقوانين التي تُعطي القول والتأويل، وبهذا المعنى يعني شيئاً شبيهاً جدا بالنحو، ويشير إلى علاقة الكلمات بعضها ببعض في داخل فعل كلامي أو قول معيّن))[2]، أي أنّه يُعنى بالسياقات العامة التي تحكم إنتاج المعنى الكلّي للحدث الكلامي المُتشكّل في حيّز تواصلي معيّن.

وتتشكّل البنية التركيبية لعتبة البداية سيميولوجياً من علامات تركيبية تربطها أواصر عميقة، أسهمت في توليد ظواهر تركيبية جمعية أهمها ظاهرة تغليب الحركة على السكون التي تجلّت في ارتفاع نسبة الفعلية على

(١) مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، دار الآفاق العربية - القاهرة، ط١، ١٩٩٧م: ١٢٢.

(٢) م.ن: ١٢١.

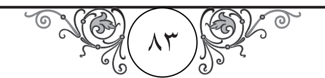


الأسمية فيها؛ فقد غلبت المتتاليات الجملية الفعلية على الاسمية في نص البداية بأكمله؛ ((ذلك أن أسلوب الارتجال في الخطاب عامة يستدعي تحريك الأزمنة وتفعيل أبعادها الدلالية بسبب من حاجة الإقناع إلى تلك النقلات حتى في المعاني الراسخة الأزلية الثابتة))[1]، فضلا عن أن سياق الحال المقامي يستدعي تفعيل الاضطراب، وتحفيز الحركة في ذهن المتلقي عِبرَ ضخ سلسلة متتالية مترابطة من الأفعال الدالة على (الجبروت، والقوّة، والعظمة، والتعالي...) الأمر الذي يجعل الزمن عنده يجري دون توقّف، وكأن الحدث قريب جدا - وهو كذلك - بفعل ما تُثيره سلسلة الأفعال من إحساس بالتحرّك، والاضطراب، والتفاعل، والتأجيج، والتهويل، والتخويف.

إنّ انتاج عتبة البداية بهذه الطريقة التي تُظهرها مسكونة بالحركة، منفعلة، مضطربة، تبعث دلالات عدم الاستقرار في الآخر، كان له أثر فاعل في تفعيل خاصية التعالق التركيبي؛ لذلك أصبح نصُّ البداية سلسلةً كلامية متوالية متّحدة، لا ثغرات مغايرة فيها، تُهيمن عليها الفعلية، وتتراجع نسبة الاسمية؛ لأن السياق لا يسمح بالثبات، والاستقرار، فالأمر الربّاني نزل: (بَلِّغْ)، مما جعل المُبَلِّغ (الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم) يُراكِم المتتاليات الجملية الفعلية التي تُرسّخ في نفس الآخر صفات الذات العليا، صاحبة الأمر والنهي، والتي سيصدر عنها قريباً بيانٌ تبليغي عظيم، إذا لم يتمّ تبليغه سيتزعزع رسوخ قواعد الخطاب

---

(١) الأسلوبية بوصفها مناهج - الرؤية والمنهج والتطبيقات: ٧٤.



الإسلامي، وتُمحى معالم الرسالات كلّها.

ومما يُعزّز هذا التوالي المتسلسل الفاعل (ظاهرةُ الوصل التركيبية)؛ إذ عملت على تشييد شكل السلسلة الكلامية في نصّ العتبة على نحو مترابط، متعالق، ما جعلّ الفقرات يأخذ بعضها برقاب بعض على نحو متماسك، يؤكّد الوحدة، والترابط، والانسجام الجملي عِبرَ أداة الربط والعطف (الواو) التي تُفيد مطلق الجمع بين التراكيب عِبرَ إشراكها لا في الشكل فحسب وإنما في المعنى أيضاً، وبهذا تأتي كل التراكيب الجملية في عتبة البداية على نحو فاعل يُعزّز دلالات خطاب عتبة البداية الموحية بـ(القوة، والعظمة، والعدل، والوحدانية، والجبروت،...)، وقد جاء هذا الجمع والإشراك على مستويين:

- أفقي: ويتجلى في الربط بين التراكيب المختلفة في الفقرة الواحدة، كقوله - صلى الله عليه وآله: ((يَشاءُ فَيُمْضي، وَيُريدُ فَيَقْضي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصي، وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني، وَيُضْحِكُ وَيُبْكي، وَيُدْني وَيُقْصي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطي))[1].

- عمودي: ويتّضح في الربط بين الفقرات المُشكّلة لنص البداية كلّه.

ويجعل هذا الربط الأفقي والعمودي من نص البداية كتلة كلامية واحدة على المستوى الشكلي والمضموني، وتشكّل ظاهرة الوصل التركيبية بذلك إحدى أهم القوانين التركيبية التعالقية التي تحكم علائق التراكيب

(١) الاحتجاج: ١ / ١٤١.

الجملية في عتبة البداية، والتي تتحكّم بسياق المعنى، مؤديةً وظيفة محورية في خطاب نص البداية الهادف إلى التهيئة والتحضير؛ إذ من دونها سيفقد النص خاصية الانسجام والتماسك التي ينتج عنها اتحاد الهدف الخطابي، وتنبثق منها وحدة المعنى.

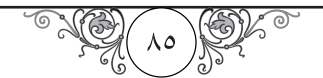
٣- المستوى التصويري:

يمثّل هذا المستوى بؤرة الشعرية في النص، ومصدر الجمال الخلاّق فيه، ولكنّه – عندنا – يفقد مغزاه، وتتراجع قوّة فاعليته؛ إذا تمّ التعامل معه بمعزل عن المستويات الأخرى؛ لأنّ هذا العزل التعسّفي سيسلب (نص البداية) هويته العلائقية التي ((تمثّل أهمية فائقة بالنسبة للتحليل السيميائي والبنيوي لجميع الظواهر الاجتماعية والثقافية؛ لأن من الضروري عند صياغة قواعد النظام، أن نتعرف على الوحدات التي تمارس فيها القواعد عملها، من هنا نستطيع أن نكتشف متى يمكن لموضوعين أو حدثين أن يُعَدَّا نموذجين لنفسِ الوحدة))[1].

إنّ التصوير البلاغي الفنّي سيميولوجياً – بحسب ما نرى – يمثّل (علامةً) دالة، تنتقل بوظيفتها من التحسين، والزخرفة، إلى الترميز والتدليل، فتُسهم عِبرَ نظام علائقي جمعي، بإنتاج الدلالة الجمعية المُرمّزة التي تشترك في إنتاجها مكوّنات النص كلّها.

---

(١) الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية – دراسة في الأصول والمفاهيم، د. بشير تاوريريت، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٩م: ١١٧.





وعلى الرغم من قلّة التشكيلات التصويرية البلاغية في نص البداية - وهذا أمر طبيعي لأن غاية الخطاب فيها حجاجية - إلا أنها جاءت ملائمةً لخطابها الهادف؛ إذ تشكّلت لتُنتِج دلالات (القوّة، والعظمة، والجبروت، والهيمنة...)، فمن التشكيلات التصويرية الواردة في عتبة البداية الاستعارةُ في قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله: ((بارئُ المسموكات، وَداحِي المُدْحُوّاتِ، وَجَبّارُ الأرَض وَالسَّماواتِ))[1]، فقد شبّه (السماء) بالسقف المرفوع؛ إذ أنّ ((السَّمْك يجيء في مواضع بمعنى السقف والسماء مَسْمُوكة أي مرفوعة كالسَّمْكِ))[2]، وهو سقفٌ مُعجِز؛ لأنّه خارج نطاق المألوف عند البشر، فإذا كان السقف بالحالة الطبيعية يقف على جدران أو أعمدة تسنده، فلا يمكن أن يقفَ من دونها، فإن السماء سقفٌ ربّاني بلا عمد، وهو - من ثمَّ - آيةٌ من آيات الله عند عباده، ودليلٌ على عظمته، وقدرته، وهيمنته، وقوّته، وتمكّنه، ولمّا كان هذا المُتَمَكّن العظيم هو رافع السماوات بلا عمد، وجبَ على عباده أن يُسلموا له قيادهم، ويُذعِنوا لحُكْمِه، وأمره الذي أمرَ رسوله أن يُبلّغه، وهو (حدث الولاية).

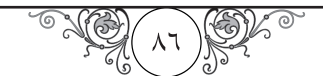
وكذلك الاستعارة في قوله - صلى الله عليه وآله: ((يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ))[3]، فهي فضلا عن كونها تناصا مع الخطاب القرآني، جاءت لتؤدّي وظيفة علامية خارج نطاق الوظيفة

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٩.

(٢) لسان العرب: مادة (سمك).

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٤٠.



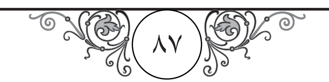
الجمالية، وهي استعارة مكنية؛ إذ تمّ فيها تشبيه الليل والنهار بالعمامة، فـ((يُكَوِّرُ الليلَ على النهار ويُكَوِّرُ النهارَ على الليل أَي يُدْخِلُ هذا على هذا وأَصله من تَكْوِيرِ العمامة وهو لفها وجمعها وكُوِّرَتِ الشمسُ جُمِعَ ضوءُها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة))[1]، وقِيل ((إنّ هذا يكرُّ على هذا كروراً متتابعاً فشُبِّهَ ذلكَ بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض))[2]، وقد حُذف فيها المشبّه به (العمامة)، وبقيت لازمة من لوازمه وهي (فعلُ التكوير) من (كوّر) على وزن (فَعَّلَ) وقد ((شاع استعمال (فَعَّلَ) في الدلالة على التكثير))[3] وهو يُحيل على كثرة تغييره - سبحانه -، وتقليبه لظواهر الطبيعة، مثلما يدلّ قوّة الله الخارقة، فهو - سبحانه - المهيمن على كلّ قوّة، والمسيطر على كلّ ظاهرة طبيعية خارجة عن إرادة الإنسان، يكوّر هذا على ذاك، وكلٌّ مسلمٌ له، وهذه الظواهر الطائعة كلّها تمثّل آيةً بيّنة تدلّ على عظمته، وقوّة سلطانه، وعلوّ مكانه، فلا بدّ لكلّ عبدٍ أن يهيئ نفسَه، لفعل أوامر الله، والانتهاء بما ينهى عنه سبحانه، وهكذا تنتقل وظيفة الصورة في عتبة البداية من التزيين والتجميل، إلى الحجاج والتهيئة؛ لاستقبال الخطاب المركزي الذي سيُعلن عنه في المتن.

٤- المستوى الإيقاعي:

(١) لسان العرب: مادة (كور).

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الارشاد، حمص - سورية، دار ابن كثير - بيروت، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط٣، ١٩٩٢م: ٨/ ٣٩٠.

(٣) أبنية الأفعال- دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م: ٤٨.



تركن معظم الدراسات المشتغلة على هذا المكوّن إلى نظرةٍ جَرسية نغمية موسيقية، تجعله مقتصراً على التأثير الموسيقي والإيقاعي؛ لأنّه - في نظرها - مستوىً حسي، مُدرك بصرياً (كتابةً)، وسمعياً (إلقاء أو قراءةً)، يعمل على إنتاج (جَرْس) الألفاظ، الذي يمثّل ((قيمة جوهرية في الألفاظ وبنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسّي، بما يوحيه للسامع من اتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي، والذي يُشبه إلى حدٍّ بعيدٍ طرب الإنسان باللحن الموسيقي))[1]، على أننا لا نرى في هذا المستوى إلا حركة إبداعية تنبثق عن الخلفيات الوجدانية والانفعالية للنفس المُبْدِعَة، وتتجسّد عبر علاقات سياقية تولّد بدورها حركة لغوية تتوافق مع حيوية النفس المبدعة، وانفعالاتها، فتفصلها عن متطلبات الجمود؛ لتفسح المجال للعاطفة، والانفعال الوجداني؛ إذ يتكامل الجانبان في نفس المبدع، وحين يبلغان النضج، يولد النص في صورة إيقاعية متكاملة[2].

فحركةُ الذات المُنتِجَة، تتأثّر بالموقف الذي أثار انفعالها، وأزمعت على تسجيله لغوياً، تنعكس بدورها على المُنتَج المُسَجَّل (النص) الذي يُشكّل البعد الحسيّ الظاهري الناتج عن البعد المعنوي الباطني للذات، بعد

(١) جَرْسُ الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٩٥)، ١٩٨٠م: ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام أحمد حمدان، دار القلم، سورية - حلب، ١٩٩٧م: ٨٧.

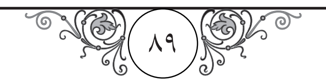
أن يتداخل البعدان في كلٍّ مادي واحد هو النص، وتتجلّى هذه الحركة التفاعلية بين الأبعاد في مظاهر إيقاعية متنوّعة تمثّلها (التشكيلات الإيقاعية البديعية) في النص النثري التراثي كـ(السجع، والجناس، والتوزاي...)، وعِبر ذلك تتجسّد القيم الدلالية للكلّ الجمعي المادي للإيقاع، فتذوب النظرة الأحادية له، وتحلّ محلها النظرة المزدوجة التي تعدّ الإيقاع مكوّنا إيقاعيًّا دلاليًّا.

ويتبيّن بعد التأمّل في (التشكيلات الإيقاعية البديعية) المتجلية في النص النثري التراثي أنّها ((ترتبطُ بعلاقة عميقة تكادُ تسيطر عليها وتوجّه عملية إنتاجها للمعنى، وهذه العلاقة تتمثّل في البعد (التّكراري) الذي تجلّى على مستوى السّطح الصياغي، وعلى مستوى العمق الدّلالي، أي أنّ التكرار هو ممثلُ البنية العميقة، ولا يمكن التحقّق من هذا الفرض إلا بتتبّع البنى البديعية في مستواها السطحي، ومستواها العميق))[1].

وقد تحقّق ذلك في نص (البداية) للخطبة العيّنة عندنا؛ إذ صدرت التشكيلات البديعية الإيقاعية فيها عن هدف معنوي ذات مغزى سيميائي، ولم يمثّل بعدها التكراري، مجرّد ترف موسيقي، ونغم طربي، بل كان عنصراً فاعلاً أسهم في رفد الخطاب المُنتَج بقيمة ثنائية الجانب، أنتجت بعدا إيقاعياً؛ ليؤثر على المُستقبلات السمعية للمتلقي، وآخرَ معنوياً؛ ليؤشّر نقاطاً مركزية على مستوى المعنى المرمّز.

---

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطّلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة – مصر، طُبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م: ٣٥٢.



ويتجلّى (تكرار وحدة لغوية بعينها)؛ ليُشكّل أول ظاهرة إيقاعية فاعلة على مستوى البعدين (الإيقاعي والمعنوي)؛ إذ كرّر الرسول الكريم - صلّى الله عليه وآله - في منطقة البداية على مساحات لغوية متفاوتة، تبتعد تارة، وتتقارب حدّ التجمّع تارة أخرى، مفردة (كل) التي ((يُراد بها الشمول وإفادة العموم واستغراق أفراد الاسم المفرد النكرة... أو المعرفة المجموع... أو استغراق أجزاء المفرد المعرفة))[1]، وقد اختلفت إضافتُها إلى مفردات أُخر، فأضيفت إلى مفردة (شيء)، وقد حازت هذه الإضافة على النسبة الأعلى، مثلما أضيفت إلى (عين - جبار - شيطان - خلق - ما)، على أنّ المفردات التي أُضيفت إليها لم يكن من بينها مفردة معرفة، بل كانت نكرةً كلّها، مما يعزّز الوظيفة الإشارية لهذه المفردة الفاعلة، فهي ترمز إلى (الكلية) التي تستغرق جنس (الشيء) كلّه، ولا تستثني منه أحدا، فقد جاء في الفقرة الأولى من فقرات عتبة البداية في الخطبة العيّنة ما نصّه: ((... وَأَحاطَ [بِكُلِّ شَيْء] عِلْماً وَهُوَ في مَكانِهِ، وَقَهَرَ جَميعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهانِهِ، مَجيداً لَمْ يَزَلْ، مَحْمُوداً لا يَزالُ، بارِئُ الْمَسْمُوكاتِ وَداحِي الْمَدْحُوّاتِ وَجَبّارُ الأَرْضِ وَالسَّماواتِ، قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ، رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ، مُتَفَضِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ أَدْناهُ. يَلْحَظُ [كُلَّ عَيْن] وَالْعُيُونُ لا تَراهُ. كَريمٌ حَليمٌ ذُو أَناة، قَدْ وَسِعَ [كُلَّ شَيْء] رَحْمَتُهُ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ. لا يَعْجَلُ بِانْتِقامِهِ، وَلا يُبادِرُ إِلَيْهِمْ بِما اسْتَحَقُّوا مِنْ

(١) المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، صنّفه: د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزغبي، دار الأمل - إربد، ط٢، ١٩٩٣م: ٢٣٧.

عَذابِـهِ. قَـدْ فَهِـمَ السَّرائِـرَ وَعَلِـمَ الضَّمائِـرَ، وَلَمْ تَخْـفَ عَلَيْـهِ الْمَكْنُونـاتُ وَلاَ اشْـتَبَهَتْ عَلَيْـهِ الْخَفِيّـاتُ. لَـهُ الْاحاطَـةُ [بِـكُلِّ شَيْء] وَالْغَلَبَـةُ عَـلى [كُلِّ شَيْء] وَالْقُـوَّةُ في [كُلِّ شَيْء] وَالْقُـدْرَةُ عَـلى [كُلِّ شَيْء]، وَلَيْـسَ مِثْلَـهُ شَيْءٌ. وَهُـوَ مُنْشِـئُ الـشَّيْءِ حـينَ لا شَيْءَ))[1]، فقـد تكـرّرت (كل) الـواردة مضافـة بـين معقوفـين بخـط غامـق سبع مـرّات في هـذا المقطـع فقـط، تكـرارا فاعـلا عـلى المستويين: (الإيقاعـي) بـما أُنتجـه هـذا التكـرار مـن تتابـع أصـوات (الـكاف + الـلام) و(الشـين + اليـاء المهمـوزة) عـلى نحـو متقـارب، والمعنـوي الـذي يحيـل عـلى شـمولية القـدرة والإحاطـة التـي تتمتّـع بهـا الـذات العليـا (الله عـزّ وجـل)، بالهيمنـة عـلى الأشـياء كلّهـا.

وقـد كانـت إضافـة (كل) الدالـة عـلى الشـمول والعمـوم والاسـتغراق إلى (شيء) إضافـةً فاعلـة عـلى المسـتوى الـدلالي للتكـرار؛ فمفـردة (شيء) أو (الـشيء) تُعبّر((عـن الوجـود، وهـو اسـم لجميـع المكوّنـات عَرَضـاً كان أو جوهـراً،... وفي الاصطـلاح: هـو الموجـود الثابـت المُتَحَقِّـق في الخـارج))[2]؛ إذاً فالمفردتـان تتَّحِـدان في حركـة سـيميائية واحـدة؛ لتأديـة معـانٍ سـيميائية تحيـل عـلى (الكليـة - الاسـتغراقية - الكونيـة - الجمعيـة - العموميـة)، وهـي كلُّهـا تترجـم هيمنـة الـذات الإلهيـة عـلى الموجـودات كلّهـا، وبسـط نفوذهـا، وقوّتهـا، وجبروتهـا عـلى جميـع تلـك الموجـودات والأشـياء دون اسـتثناء، وهـو

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٩.

(٢) معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيّد الشريف الجُرجاني (٨١٦ه)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م: ١١١.



خطـاب تعميمـي يتطلّبـه سـياق نـص البدايـة؛ لبعـث الرهبـة، والخـوف، والوجـل، والترقّـب، والحـذر في نفـوس المتلقـين، لحظـة إنتـاج النـص؛ كـي يُذعنـوا لقضـاء هـذه الـذات المهيمنـة، ويطيعـوا أوامرهـا التـي سـيُبلّغها الرسـول المكلّـف – صـلى الله عليـه وآلـه، وفي ضـوء ذلـك فـإنّ هـذا التكـرار لم يكـن مجـرّد زيـادة تزيينيـة، تحسـينية، بـل كان عنـصراً مركزيـاً في صناعـة النـص المؤثّـر عـلى البعديـن: الإيقاعـي المـادي الظاهـري السـطحي، والـدلالي المعنـوي الباطنـي العميـق.

ومـن الظواهـر الإيقاعيـة المهيمنـة عـلى نـص البدايـة (ظاهـرة التطابـق)، وهـي ظاهـرة ذات طبيعـة إيقاعيـة تكراريـة عـلى المسـتوى العميـق؛ إذ يمكـن ((إضافـة هـذه البنيـة البديعيـة إلى دائـرة (التكـرار) في كيفيّـة إنتاجهـا للمعنى... لأنّ التناقـض يمثّـل تناسـباً عـلى نحـو مـن الأنحـاء))[1]، ويصـوّر ذلـك المُخطّطُ الآتي:

الخط الأفقي: أبيض أسود

الخط الرأسي: أسود أبيض

فهنـاك خطّـان: الخـطّ الملفـوظ، هـو الخـطّ الأفقـي، والخـطّ التقديـري هـو الـرأسي؛ إذ إن البيـاض يسـتدعي السـواد رأسـياً في الذهـن، قبـل مجيئـه في الخـطّ الأفقـي، والسـواد عندمـا يحضر في الخـطّ الأفقـي يسـتدعي البيـاض رأسـياً في الذهـن أيضـاً، دون اعتبـار للخـطّ الأفقـي، وهـو مـا يعنـي أننـا في مواجهـة

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٣٥٥.

بناء تكراري من الطراز الأول؛ إذ يتردّد البياض مرّتين (سطحي في النص) و(عميق في الذهن) والسواد مرتين أيضا، وإن خلص التّردّد التكراري لبنية العمق، في حين احتفظ السطحُ لنفسه بالتقابل الضدّي، أو بمعنى آخر: إنّ التكرار يتحقّقُ بالنظر إلى عملية (الحضور والغياب)، فالطرفان الحاضران على مستوى السّطح متقابلان، لكنّهما يستدعيان طرفين غائبين لإكمال الدائرة التكرارية على النحو التالي:

حضور: أبيض أسود

غياب: أسود أبيض

وتزداد الطبيعة التكرارية في (الطباق) عندما تتعدّد مفرداته؛ ليدخل دائرة (التقابل)؛ إذ تتشكّل البنية بأكثر من طرفين متقابلين[1].

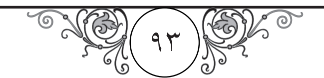
ومن أمثلة البنية التطابقية ذات الطبيعة التكرارية الفاعلة في إنتاج المعنى قول الرسول الكريم – صلى اله عليه وآله – في فقرة من فقرات عتبة البداية في الخطبة العيّنة: ((إلهٌ واحِدٌ وَرَبٌّ ماجِدٌ، يَشاءُ فَيُمْضي، وَيُريدُ فَيَقْضي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصي، وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني، وَيُضْحِكُ وَيُبْكي، وَيُدْني وَيُقْصي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطي، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ))[2].

إن هذه العلاقات التطابقية عملت على تكثيف المعنى المُرمّز الذي يحيل

---

(١) ينظر: م.ن: ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) الاحتجاج: ١/ ١٤١.





على الطاقة الربانية المسيطرة على جميع الثنائيات الضدية المشكّلة للكون؛ عبر تكرار معانيها عميقاً في علاقات الحضور والغياب التي يكشف عنها المخطط الآتي:

حضور: يَمْنَعُ يُعْطي + يُفْقِرُ يُغْني + يُضْحِكُ يُبْكي + يُدْني يُقْصي + يُميتُ يُحْيي

غياب: يُعْطي يَمْنَعُ + يُغْني يُفْقِرُ+ يُبْكي يُضْحِكُ+ يُقْصي يُدْني + يُحْيي يُميتُ

يتبيّن بوساطة المخطّط السابق أن كلَّ وحدةٍ من الثنائيات الضديّة المتطابقة تتكرّر بنفسها على المستوى العميق لها، فهي سطحياً مفردة واحدة، وعميقاً تمثّل مفردين تحملان المعنى وضدّه، والطبيعة التكرارية التي تُهيمن على هذه التطابقات، تتأتّى عبرَ التعالق السطحي/ العميق المتجلي في علاقات الحضور والغياب بينها، فمفردة (يَمْنَعُ) المتجلية سطحيًا في النص، تستدعي – على المستوى العميق مفردة (يُعْطي) التي بدورها تتمظهر سطحياً على المستوى الأفقي بجنب ضدّها (يَمْنَعُ) التي تُضْمَر في البنية العميقة لـ(يُعْطي) أيضاً على المستوى العمودي، وتنشأ من هذا التعالق الثنائي منظومة تكرارية تصبح فيها العلاقة الضدية الثنائية علاقة مزدوجة بتكرار ظلال كل مفردة من الثنائيات الضدية على المستوى العميق، وهذا ينتج لنا انشطارا دلالياً يستدعي تكثير المعنى، وتكثيفه في الآن نفسه، فتُنتَج الدلالة متضخّمة، منشطرة، متّسعة، على المستوى العميق، مع تحقيق خصيصة الايجاز في هذا النمط من التكرار،

فهـو يتفـوّق عـلى أنـماط التكـرار الأخـرى في كونـه يمثّـل تكـرار مضمـراً.

ويبعـث التكـرار المـزدوج لهـذه الثنائيـات في نفـس المتلقـي دلالات: الرهبـة، والخـوف، والحـذر، والوجـل مـن الـذات العليـا المهيمنـة عـلى هـذه الشـبكة العلائقيـة للثنائيـات الضديـة المسـيطرة عـلى الكـون كلّـه بنحـو مضاعـف؛ نتيجـةً لطبيعتهـا الانشـطارية، فلـما كان (الإعطـاء والمنـع) و(الإغنـاء والإفقـار) و(الإبـكاء والإضحـاك)، و(الإقصـاء والإدنـاء) و(الإحيـاء والإماتـة) ظواهـر مسـيطرة عـلى حيـاة المتلقـي، يتعاطـى معهـا يوميـا، وكانـت الـذات العليـا هـي المهيمـن عليهـا، والمؤثّـر الوحيـد في تحـرّك حضورهـا وغيابهـا كانـت النتيجـة الطاعـة العميـاء للمهيمـن عـلى ذلـك كلّـه، فـإذا أمـر - عـزّ وجـل - رسـوله - صـلى الله عليـه وآلـه - أمـرا مـا صـار عـلى كلّ مكلّـف واجـب الإتّبـاع؛ لـذا فـإن الحضـور اللافـت للثنائيـات الضديـة التطابقيـة في عتبـة البدايـة، لم يكـن مقتـصرا عـلى التطابـق فحسـب، بـل أسـهم إسـهاماً فاعـلاً في تضخيـم المعـاني المرمّـزة ذات الهـدف السـيميولوجي الفاعـل.

خاتمةُ البحث ونتائجُه:

١- مثّلـت عتبـة البدايـة في الخطبـة العيّنـة محطـةً برزخيـة مهمّـةً عمِلـت عـلى تنظيـم دخـول القـارئ إلى متـن النـص، ومناخِـه الـدلالي، بعـد عبـورِه مـن خلالهـا إلى الحـدث المركـزي الـذي اشـتمل عليـه متـن الخطبـة الرئيـس.

٢- انتقلـت عتبـةُ البدايـة مـن الهامـش الـذي كانـت فيـه في نصـوص أخـرى إلى شـبه المركـز في الخطبـة العيّنـة، فأصبحـت عتبةً ضروريـةً لا يمكـن الاسـتغناء

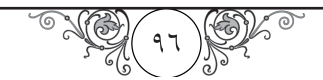


عنها؛ لأنّها شكّلت منطقة قَبْلِيّة بؤرية حاضرة علاماتياً بالمنطقة البَعْدِيّة (المتن)، ويرجع هذا التعالق إلى سرّ خصوصية الحدث المُنتَج في النص، والمتمثّل بإعلانِ سلطة الولاية، ونقلِها رسميّا من الله - جلّ جلاله -، إلى الرسول - صلّى الله عليه وآله - ثم إلى أمير المؤمنين - عليه السلام -.

٣- تمكّنت عتبةُ البداية على المستوى المعجمي في الخطبة العيّنة من التركيز على (مركزية الذات العليا) التي نظّمت الانتقال الرسمي للسلطة الإلهية من النبي إلى الوصي، عبر تكرار مفردات بعينها، أو بتراكيب مؤدية لمعناها خالقةً علاقاتٍ تفاعلية فيما بينَها؛ لتُنتِج الأثر الكلّي لنص العتبة، وتؤدّي وظيفتَها المنوطةَ بها؛ إذ تردّدت أفعالٌ متقاربة الدلالة مُشكِّلَةً حقلا دلاليّاً فاعلاً، وهي بوصفها (علاماتٍ) جاءت لتُهَيّئ المخاطبَ للحدث الأعظم وهو ولاية أمير المؤمنين - سلام الله عليه -، وقد هيمنت وظيفةُ (إثبات الصفات الجبروتية العظيمة للذات العليا) على المعنى المُنتَج في المستوى المعجمي.

٤- عملت التراكيبُ الجمليةُ في المستوى التركيبي في عتبة البداية عملاً تضامنياً على نحو فاعل عزّزَ دلالاتِ خطابِ هذه العتبة الموحية بـ(القوة، والعظمة، والعدل، والوحدانية، والجبروت،...) الرباني، التي أنتَجَها المستوى المعجمي قبل ذلك؛ وهي بفعلها هذا أسهمت في تفعيل المستوى التعالقي بين عناصر المستويات كلّها، ومحوَرَة المعنى على هدف واحد.

٥- على المستوى التصويري انتقلتِ الصورةُ في عتبة البداية من وظيفة التزيين والتجميل الى وظيفة الإشارة والترميز والحجاج والتهيئة؛ لاستقبال



الخطبِ المركزي الذي أُعلِنَ عنه في المتن... فأصبحت بذلك ذاتَ وظائفَ متشعبةٍ ولم تقتصرْ على الجمال فحسب.

٦- أصبح المستوى الإيقاعي في ضوء النمط التكراري المتجلي في عيّنات عتبة البداية المدروسة وسيلةً من وسائل تمكين المعنى في نفس المتلقي وغادرَ بذلك مقولةَ التنغيم والموسقة التي تحصرُ أثرَه في الإيقاع فقط وتُبعدُه عن إنتاج المعنى المُرمّز.

المصادر والمراجع:

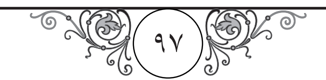
أبنية الأفعال- دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

الاحتجاج، تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبْرَسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق: ابراهيم البَهَادُرِي، والشيخ محمّد هادي به، بإشراف: العلّامة الشيخ جعفر السبحاني، دار الأسوة للطباعة والنشر - قسم التحقيق في منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، ط ٨، ١٤٣٥ه. ق.

الاستهلال- فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣م.

الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام أحمد حمدان، دار القلم، سورية - حلب، ١٩٩٧م.

الأسلوبية بوصفها مناهج - الرؤية والمنهج والتطبيقات، د. رحمن



غـركَان، الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون، ط١، ٢٠١٤م.

إعـراب القـرآن الكريـم وبيانـه، محيـي الديـن الدرويـش، دار الارشـاد، حمـص - سـورية، دار ابـن كثـير - بـيروت، اليمامـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع - دمشـق، ط٣، ١٩٩٢م.

البدايـة في النـص الروائـي، نـور الديـن صـدوق، دار الحـوار، سـورية، ط١، ١٩٩٤م.

البدايـة والنهايـة في الروايـة العربيـة، عبـد الملـك أشـهبون، رؤيـة للنـشر والتوزيـع، ط١، ٢٠١٣م.

البلاغـة العربيـة قـراءة أخـرى، د. محمـد عبـد المطّلـب، الشركـة المصريـة العالميـة للنـشر - لونجـمان، الجيـزة - مـصر، طُبـع في دار نوبـار للطباعـة، القاهـرة، ط٢، ٢٠٠٧م.

تحليـل الخطـاب الشـعري (اسـتراتيجية التنـاص)، د. محمـد مفتـاح، المركـز الثقـافي العـربي - الـدار البيضـاء، ط٤، ٢٠٠٥م.

جَـرْسُ الألفـاظ ودلالتهـا في البحـث البلاغـي والنقـدي عنـد العـرب، د. ماهـر مهـدي هـلال، الجمهوريـة العراقيـة، وزارة الثقافـة والاعـلام، دار الرشـيد للنـشر، سلسـلة دراسـات (١٩٥)، ١٩٨٠م.

الحقيقـة الشـعرية عـلى ضـوء المناهـج النقديـة المعـاصرة والنظريات الشـعرية - دراسـة في الأصـول والمفاهيـم، د. بشـير تاوريريـت، عـالم الكتـب الحديـث، إربـد، ٢٠٠٩م.

لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت٧١١ هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

محاضرات في السيميولوجيا، د. محمد السرغيني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.

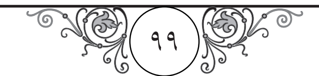
معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيّد الشريف الجُرجاني (٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، صنّفه: د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزغبي، دار الأمل - إربد، ط٢، ١٩٩٣م.

مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، دار الآفاق العربية - القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل - دراسات في الرواية العربية، شعيب حليفي، ط١، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠١٣م.





شعر الغديريات في العصر المملوكي الأول غديريات صفي الدين الحلي (٧٥٢هـ) اختياراً

د. علي عيسى محسن

مقدمة

كانت سيطرة صلاح الدين الأيوبي على مقاليد الحكم في مصر ايذاناً بانتهاء الدولة الفاطمية التي امتدت سلطتها قرابة مائتي عام، ومنطلقاً لإبطال كل الرسوم الادارية والسياسية والمذهبية الفاطمية، واتخاذ السواد شعاراً والدعاء للخليفة العباسي في الصلوات[١]، ومن تلك الرسوم مثلاً إهمال الجامع الأزهر ومشهد الإمام الحسين (عليه السلام) وهما من درر العمارة الفاطمية ومنع إقامة صلاة الجمعة والتدريس فيهما، حتى زالت الدولة الأيوبية بعد سبعين عاماً وجاءت دولة المماليك لحكم مصر وأعادت الاعتبار للجامعين وعينت لهما الشيوخ والدروس وارتفع صوت الأذان ثانية فيهما[٢].

ان هذا المثال يصلح للتعريف بالمدى الذي وصلته السماحة الدينية

(١) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١/ ١٥٠ و ١/ ١٦٣، والخطط المقريزية ٣/ ٣٨٩.

(٢) ينظر: صبح الاعشى للقلقشندي ٣/ ٣٦٤ و ٣/ ٣٦٦، والخطط المقريزية ٣/ ٢١٨-٢١٩ و ٣/ ٢٦٢



للحكم المملوكي الساعي لإرضاء أبناء الشعب المصري في محاولة للتغطية على عوار الشرعية السياسية والدينية التي يفتقدها هذا الحكم، وقد استنتج هؤلاء الحكام مدى حب المصريين وتقديرهم العظيم لأهل البيت (عليهم السلام) فبالغوا في الاحتفاء ببعض المناسبات الدينية التي تتصل بأهل البيت مثل يوم عاشوراء وهي ذكرى مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ويحيي المصريون هذه الذكرى بزيارة مشهد الإمام زين العابدين في القاهرة، ويقومون بطهي الوجبة المعروفة شعبياً بـ(عاشوراء) وهي مكونة من حبوب القمح، ويذبحون الدجاج ويستخدمون البخور بكثرة لجلب الفأل الحسن[1]، ويحتفي المصريون أيضا بليلة النصف من شعبان وهي ذكرى مولد الإمام المهدي (عج) وذلك بشراء الحلوى للأطفال وانارة المساجد ليلاً لاستقبال جموع المصلين من الرجال والنساء والأطفال[2].

وفضلا عن ذلك تم تأسيس نقابة للأشراف الطالبيين منذ العصر الفاطمي واستمرت في العصر المملوكي والعثماني وحتى عصرنا الحاضر، وكانت تقتصر على ذرية الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)[3]، وكان النقيب يُصطفى لجلالة قدره، ويتولى النظر في أمور طائفته وعيادة مرضاهم، والتأكد من أدعياء النسب العلوي، والضرب على يد المتعدي

---

(١) ينظر: عصر سلاطين المماليك لقاسم عبده قاسم ١١٧ – ١١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١١٨.

(٣) ينظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي ٣/ ٣١– ٣٢.



منهم وغيرها من المهمات[١]، وبرزت عبر التاريخ شخصيات عظيمة بين الأشراف في مصر منهم مثلاً السيد عمر مَكْرَم أبرز زعماء المقاومة الشعبية ضد الغزو الفرنسي لمصر، والشيخ رفاعة رافع الطهطاوي زعيم النهضة العلمية في عهد محمد علي، والزعيم الكبير احمد عُرابي قائد الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق[٢].

- الأدب الشيعي في العصر المملوكي الأول

برز في هذا العصر جملة من الأدباء الموالين لأهل البيت، ويكفي أن نذكر هنا أحد هؤلاء الذين طوت كتب التراجم الشيعية ذكره ككتاب نسمة السحر للصنعاني والطليعة من شعراء الشيعة للسماوي وموسوعة أعيان الشيعة للسيد الأمين وموسوعة الغدير للشيخ الأميني وأدب الطف للسيد جواد شبر، ونقصد به الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد ابن الحسين بن زيد بن الحسين بن مظفر بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله العَوْكَلاني بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن قاضي العسكر المتوفى سنة ٧٦٢ه[٣]، وهو قاض ومحدث وخطيب وكاتب في ديوان الانشاء بالقاهرة، وكان

---

(١) ينظر: صبح الاعشى ٣/ ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٢) ينظر: الشيعة في مصر من الإمام علي عليه السلام حتى الإمام الخميني ٨٢.

(٣) تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٣/ ٣٣، وأعيان العصر وأعوان النصر ٢/ ٢٨٣، وألحان السواجع ١/ ٢٩٠، والدرر الكامنة ٢/ ٦٦، والمنهل الصافي ٥/ ١٦٩.

معاصراً لصلاح الدين الصفدي الذي خلد لنا مجموعة من الرسائل والمقطوعات الشعرية المتبادلة بينهما، ومن ذلك مثلا افتخار ابن قاضي العسكر بنسبه الشريف:

نحنُ ابناءُ الطُهرِ فاطِمة الزَهْـ   راء الكِرامُ الأصولِ والأعراقِ
وعلى جَدِنا تُسلِم شَمسُ الـ   أُفقِ عند الغُروبِ والإشراق
وأبونا علي بن أبي طا   لب مُردي العِدى ببيض رِقاق
أنا من سادةٍ كِرامُ السَجايا   في العُلا ما لسِبقِهم من لَحاق
جدنا اختار دار اخرى على دنـ   يا غرورا وراعها بالطلاق
وهُما ضُرتانِ ماجتمعا عِنـ   د امرىءٍ والخيارُ للحُذاق[1]

وقوله ايضا في رسالة أخرى:

أنا سِبطُ النَبي وابنُ علي   شرفٌ شامِخٌ لأرفعِ ذَروهْ
وإذا ماعتراني الدهرُ بالعُد   وان امسكتُ مِنهُما أيَّ عُروه[2]

وفضلا عن هذه الرسائل الأخوانية أورد القلقشندي مجموعة من رسائل ابن قاضي العسكر الديوانية التي حرص في خطبتها على ذكر الإمام علي (كرم الله وجهه) ضمن الخلفاء الراشدين الاربعة وذكر آل النبي وعترته[3]، وهي السُنة التي جدت في العصر المملوكي الأول.

ونذكر ايضا في هذا العصر شاعراً كبيراً هو جمال ابو الحسين يحيى

---

(١) الحان السواجع ١/ ٣١٤.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥.

(٣) ينظر: صبح الاعشى ١١/ ٢٩٥ و ١١/ ٣٠٤ و ١١/ ٤٣١ و ١٣/ ١٨٨.

بن عبد العظيم الجزار المصري[1]، وكان يعمل جزاراً للحوم في القاهرة، ويغلب على شعره الطابع الشعبي، وقد ذاع صيت شعره وطلبه الملوك والأكابر، وعده بعضهم من أشعر شعراء زمانه ومن فحول الشعراء المتأخرين[2].

وللجزار شعر كثير يمدح فيه أئمة الشيعة ويدافع فيه عن مذهبهم ويبكي مصارعهم، كقوله في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام):

ويَعودُ عَاشوراء، يُذكرني رُزءَ الحُسين فليتَ لمْ يعُدِ
أو أن عيناً فيهِ قد كُحِلتْ بِمَسرةٍ لمْ تخْلُ مِن رَمَد
ويداً بِهِ لِشَماتَةٍ خُضبتْ مَقْطوعَةً مِن زَنْدِها بِيدي
يومٌ سَبيلي حينَ أذْكُرهُ أنْ لايدور الصَبرُ في خَلَدِي
أمَّا وقد قُتلَ الحُسينُ بِهِ فأبو الحُسينِ أحقُّ بالكَمَد[3]

وله غديرية مشهورة ذكرتها المصادر مطلعها:

حُكمُ العيونِ على القُلوبِ يَجوزُ ودَواؤُها من دائِهنَ عَزيزُ

ومنها قوله ذاكرا واقعة الغدير:

يُهْنيكَ ياصهرَ النبيِّ مُحمدٍ يومٌ بهِ للطيبين هَزيزُ
أنتَ المُقدمُ في الخِلافةِ ما لَها عن نَحوِ مابِكَ في الوَرى تَبريز

(١) تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٨/ ١٨٣، ونسمة السحر فيمن تشيع وشعر ٣/ ٣٥٦، والطليعة من شعراء الشيعة ٢/ ٤٣٤، وأعيان الشيعة ١٠/ ٢٩٩

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ٢٨/ ١٨٥.

(٣) نسمة السحر ٣/ ٣٥٦، والطليعة ٢/ ٤٣٦.

صب الغدير على الأُلى جحدوا لَظىً يُوعَى لَهَا قبلَ القيامِ أَزِيز
إن يَهمِزوا فِي قَولِ أحمدَ أنتَ مَو لىً لِلوَرى، فالهَامِزُ المَهموز[1]

- شاعرية صفي الدين الحلي وتشيعه

إذا كان من البديهي أن تأتي المصادر الشيعية على ذكر الحلي وترفع من ذكره وتُحله مكانا رفيعاً بسبب امتداحه لأمير المؤمنين (كرم الله وجهه) خاصة واهل البيت عامة ومنافحته عن حقهم والتعريف بمظلوميتهم[2]، فإن المصادر غير الشيعية ونعني بها المصادر المملوكية المعاصرة للحلي قد أسهبت هي الأخرى في الثناء على شاعريته، واصطفت العشرات من قصائده ومقطوعاته لبيان علو كعبه، وللتدليل على ذلك نورد ماقاله ابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ) تعليقاً على بيتي الحلي الأتيين:

(قوم يُعزون النزيلَ، فطَالمَا بَخِلَ الحَيا، وأكُفُّهُم لم تَبخلِ
يَفْنى الزمانُ وفيهِ رونقُ ذِكرِهم كبِلَى القَميصِ، وفيه عَرفُ المَنْدل [3]

قلت: هذا هو العذب المنسجم الذي لاكلفة عليه، ولاتقعر فيه. قوي التركيب، حسن الاساليب، لاكما رغب فيه أهل العصر من حب اللين الذي لايتماسك رغبة في التورية، التي لاتسع أفهامهم سواها من البديع،

---

(١) الطليعة ٢/ ٤٣٥، واعيان الشيعة ١٠/ ٢٩٩، وأدب الطف ٤/ ٧٨.

(٢) ينظر مثلا: الطليعة ١/ ٥٠٧، وأعيان الشيعة ٨/ ١٩، وموسوعة الغدير للعلامة الأميني ٦/ ٥٨.

(٣) ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، ٢٥.

ولا تعرف غيره من الحسن)[(١)].

وهذه لفتة نقدية مهمة باتجاه واحد، لأن المطلع على شعر الحلي يجد فيه اتجاهاً يتخذ من الطبع مذهباً وينافس فيه النماذج الشعرية العربية الملهمة في الجاهلية والاسلام والعصر العباسي وهذا مايشير إليه العمري، واتجاهاً اخر يساير فيه شعراء عصره باتخاذ البديع والالعاب اللغوية وكل ماهو متكلف وغث يهبط بالشعر الى مهاوي سحيقة، وقد اشار الى الاتجاهين معاً اكبر نقاد العصر المملوكي الأول وهو صلاح الدين الصفدي(٧٦٤هـ)[(٢)] الذي عاصر الحلي والتقى به اكثر من مرة، ويضيف الصفدي ان الحلي كان متفوقاً في الاتجاهين ولذلك اطلق عليه شاعر العصر على الاطلاق[(٣)].

وفضلا عما سبق من اطراء نجد ان الترجمة الوافية للحلي والاختيارات العديدة المتنوعة والمطولة من شعره في كتب العمري والصفدي وهما يمثلان المزاج النقدي للعصر المملوكي الأول، هي نتيجة طبيعية للموهبة الفذة للحلي من جهة، ومن جهة اخرى مرتبطة بشكل او بأخر بالوسطية المذهبية التي انتهجها الحلي، فهو من جهة يعلن بشكل صريح تشيعه ومناصرته لأهل البيت ومنافحته عنهم عبر قصائد ومقطوعات كثيرة منها مثلاً قوله:

---

(١) مسالك الابصار في ممالك الانصار لابن فضل الله العمري ١٦/ ٢٦١.

(٢) اعيان العصر واعوان العصر للصفدي ٣/ ٦٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، وكرر الحكم نفسه في كتابه الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٨٢.

يا عترة المختار يا من بهم | يفوز عبد يتولاهم
أُعرف في الحشر بحبي لكم | إذ يُعرف الناس بسيماهم[(١)]

وقوله ايضا:

أمير المؤمنين أراك أما | ذكرتك عند ذي حسب صغا لي
وإن كررت ذكرك عند نغلٍ | تكدر ستره وبغى قتالي
فصرت إذا شككت بأصل أمرىءٍ | ذكرتك بالجميل من المقال
فليس يطيق سمع ثناك الا | كريم الأصل محمود الخلال[(٢)]

وغيرها من المقطوعات والقصائد، ومن جهة أخرى يرى للصحابة فضلاً وتقدماً ولايذهب الى سبهم وقد اشار الى ذلك في اكثر من مورد في شعره كقوله مثلاً:

ولائي لآل المصطفى عِقدُ مذهبي | وقلبي من حب الصحابة مفعمُ
وما أنا ممن يستجيز بحبهم | مسبة اقوام عليهم تقدموا
ولكنني أعطي الفريقين حقهم | وربي بحال الافضلية أعلمُ
فمن شاء تعويجي فإني معوج | ومن شاء تقويمي فإني مقوم[(٣)]

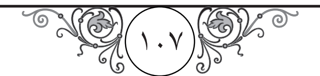
وقال ايضاً في احدى مدائحه للنبي (صلى الله عليه واله وسلم):

فآلُك خيرُ الآل والعِترة التي | محبتُها نُعمى قليلٌ شكورُها
إذا جولست للبذل ذل نظارها | وإن سوجلت في الفضل عز نظيرها

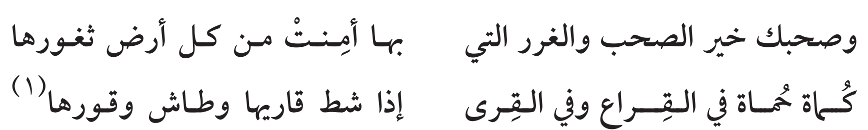
(١) ديوانه ٨٧.

(٢) المصدر نفسه ٨٩.

(٣) المصدر نفسه ٩١.







وصحبك خير الصحب والغرر التي بها أَمِنتْ من كل أرض ثغورها

كُماة حُماة في القِراع وفي القِرى إذا شط قاريها وطاش وقورها[1]

وقد نالت هذه الوسطية اعجاب الرجلين فنقلا بعضاً من هذه الابيات[2]، هذا فضلاً عن اجواء التسامح التي سادت إبان العصر المملوكي التي سبق التنويه إليها، وقد تكون الوسطية هي التي رفعت من حظوظ الحلي لدى معاصريه، في حين نجد شعراء شيعة كبار لم يحظوا بالأهمية التي حظي بها الحلي في كتب العمري والصفدي مثل دعبل الخزاعي والسيد الحميري[3]، أو تغييباً تاماً لذكر شعراء اخرين مثل الشريف الرضي الذي لم نجد له ترجمة ضمن الشعراء العباسيين في موسوعة مسالك الابصار لابن فضل الله العمري، ومعنى ذلك ان التوجه المذهبي كان له دوره في تسليط الضوء على شاعر ما أو غض النظر عنه أو المرور به مرور الكرام، بعيدا عن المعايير الفنية السائدة انذاك كجودة الشعر والكثرة والتنوع والطبع والتصنع وغيرها.

- غديريتا صفي الدين الحلي

يحوي ديوان الحلي طائفة كبيرة من الموضوعات، وهو مقسم تقسيماً موضوعياً طريفاً، فهو يتكون من أثني عشر باباً تمثل الموضوعات التي طرقها الحلي في شعره، ويقع تحت كل باب مجموعة فصول، وتحت كل

---

(١) المصدر نفسه ٧٨.

(٢) ينظر: مسالك الابصار ١٦/ ٢٦٧ واعيان العصر ٣/ ٩٨.

(٣) ينظر: مسالك الابصار ١٤/ ٤٥٠ والوافي بالوفيات ٩/ ١٩٦، ١٤/ ١٢.



فصل مجموعة أقسام، ويحوي الباب الثاني اشعار المدح والثناء والشكر، وفيه قسم عن المدائح النبوية ومدائح أهل البيت، وثمة مقطوعة شعرية وقصيدة طويلة تذكران حادثة غدير خُم المشهورة.

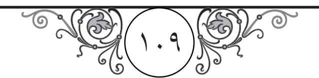
أما المقطوعة الشعرية فهي:

تــوالِ عـلـيـاً وابـنــاءهُ	تـفـز في المـعـاد وأهـوالـهِ
إمـام لـه عـقـد يـوم الـغـديـر	بـنـص الـنـبـي واقـوالـهِ
لـه في الـتـشـهـد بـعـد الـصـلاة	مـقـام يخـبر عـن حـالـهِ
فـهـل بـعـد ذكـر إلـه الـسـماء	وذكـر الـنـبـي سـوى آلـه[1]

ويبدو ان هذه الغديرية قيلت ارتجالاً، فليس فيها من سمات التروي والتمعن الشيء الكثير، ويدلنا الديوان على موارد كثيرة قال فيها الشاعر قصائد ومقطوعات شعرية ارتجالاً تلبية لطلب أو معارضة لشاعر معين، وقد سمحت قريحة الشاعر الكبير بالارتجال دون أن يبدو على هذا الشعر علائم الضعف.

ان المقطوعات الشعرية - كما جرت العادة- إنما هي ردة فعل أنية لحدث ما، أو تنفيساً لحالة غضب أو ردا لجميل، ويمتحن فيها الشاعر نفسه أو يختبرهُ مجالسوه، وكثيرا ماكانت تنظم في البحور الخفيفة أو الاوزان الشعرية المجزوءة ذات التفعيلات القليلة، وتتخذ من الألفاظ السهلة والمعاني البينة طريقاً للانتشار السريع والتأثير الناجع، وهذا مانجده في هذه الغديرية، فهو يلجأ الى الأدبيات الشيعية الشائعة عند عامة الناس

(١) ديوانه ٩٠.



وخاصتهم، دون الولوج الى أصولها وتفسيراتها فليس مقام المقطوعة الشرح والمنطق والايضاح، فموالاة أمير المؤمنين (كرم الله وجهه) وابنائه سفينة نجاة يوم المعاد، لأنه وصي النبي وخليفته بدلالة يوم الغدير، ويكفيه من عظم الشأن أن يذكر في كل أذان، وهذه المعاني تتردد يوميا بين العامة ولاتحتاج الى طول تأمل لصياغتها في أبيات.

وقد عمد الشاعر هنا الى استخدام أحد البحور الغنائية الصافية، وهو بحر المتقارب ليضمن ذيوع مقطوعته بين الناس، فهي سهلة الترديد والحفظ والدلالة، وللتأكيد على ذلك ذهب الى حذف السبب الاخير من تفعيلة القافية فتحولت من (فعولن) الى (فعو) وذلك لينوع في ايقاع البحر ويخلق موسيقى جديدة.

اما القصيدة فهي مدحة نبوية قالها الحلي في ذكرى المولد النبوي الشريف، وقد تطور هذا النمط من المدائح تطورا لافتاً في العصر المملوكي، وكثر النظم فيه حتى خصص الشعراء دواوين كاملة له، ويعود ذلك الى تعاظم التحديات التي مرت بها ديار المسلمين وأهمها غزو المغول واسقاطهم لبغداد وحلب ومدن أخرى وتهديدهم بغزو مصر، وكذلك الغزوات الصليبية المتتالية التي اسفرت عن احتلال مدن كثيرة وشكلت تحديا وجودياً للاسلام والمسلمين.

وقد شكل المديح النبوي ألية نفسية لجأ اليها الشعراء المتأخرون للبوح عما في دواخلهم، وليكونوا ايضا لساناً ناطقاً باسم المجتمع المهدد الذي لم يجد سبيلاً للخلاص سوى الالتجاء للدين وطلب المغفرة والصفح من

الذات الالهية والتشفع بمقام الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وأله الاطهار كي يغفر الله سبحانه خطاياهم ويدفع عنهم شر المغول والصليبيين واصلاح احوال المسلمين، وتتضمن المدائح النبوية ذكر مناقب النبي ومعاجزه، ومسير نطفته الطاهرة عبر الأصلاب والتبشير بولادته، وشيئا من سيرته العطرة وأفضليته على الانبياء والمرسلين... الخ.

وتدور المدحة النبوية لصفي الدين الحلي في الاطار المذكور، وهي مكونة من (٥٧) بيتا وتبتدىء بقوله:

خمدت لفضل ولادك النيرانُ ... وانشق من فرح بك الايوانُ

وتزلزل النادي وأوجس خيفة ... من هول رؤياه انوشروان

فتأول الرؤيا سطيح وبشرت ... بظهورك الرهبان والكهان[١]

ويلاحظ ان هذه المدحة قد حوت كثيرا من المبالغات التي تسربت الى الشعر من خطب الوعاظ في العصور المتأخرة كقوله مثلاً:

وغدت تكلمك الأباعرُ والظُبا، ... والضبُّ والثعبان والسرحان

والجزع حن إلى علاك مسلما ... وبباطن كفك سبح الصوان

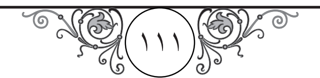
وهوى إليك العذق ثم رددته ... في نخلة تُزهى به وتزان[٢]

ويأتي صفي الدين الحلي على ذكر حادثة الغدير حين يذكر أل النبي عامة وامير المؤمنين (كرم الله وجهه) خاصة في سياق سلامه على النبي الأكرم:

---

(١) ديوانه ٧٩.

(٢)) المصدر نفسه ٨١.





فعليك من رب السلام سلامهُ والفضلُ والبركاتُ والرضوانُ

وعلى صراط الحق آلك كلما هب النسيم، ومالت الاغصان

وعلى ابن عمك وارث العلم الذي ذلت لسطوة بأسه الشجعان

وأخيك في يوم الغدير وقد بدا نور الهدى وتآخت الاقران(١)

وتختتم القصيدة بطلب الحلي الشفاعة من النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) على عادة شعراء المديح النبوي، حتى يغفر الله ذنوبه ويثيبه الجنة:

ياخاتم الرسل الكرام وفاتح الـ نِعم الجِسام ومن له الإحسانُ

اشكو اليكَ ذنوبَ نفسٍ هفوها طبعٌ عليهِ رُكبَ الإنسانُ

فاشفع لعبدٍ شانهُ عِصيانهُ انَ العَبيدَ يُشينها العِصيان

فلكَ الشفاعةُ في محبيكم إذا نُصب الصراط وعُلِق الميزان

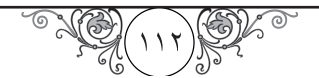
فلقد تعرض للاجازة طامعاً في أن يكون جزاؤهُ الغفران(٢)

وثمة ملاحظات موضوعية وفنية يمكن تسجيلها على صفحة هذه المدحة النبوية بالمقارنة مع مدحتين نبويتين نظمهما الحلي، وبالمقارنة ايضا مع فن المدائح النبوية الذي راج كثيرا في العصر الوسيط:

١- استغرق المدح النبوي جُل القصيدة وغاب عنها المطلع الغزلي او وصف الطبيعة كما هو حال القصيدتين الاخريين التي استغرق المطلع فيهما شطرا كبيرا من بنية القصيدتين، وفيما عدا المطلع نجد الحلي يتخذ النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) شفيعاً عند الله سبحانه في ختام

(١) المصدر نفسه ٨٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.



القصائد الثلاث.

٢- لا يسير الحلي في هذه القصيدة على هدي المدائح النبوية الشائع، وهي غصن في شجرة المديح، نما وتفرع في أواخر العصر العباسي، واصبح له شعراؤه ودواوين خاصة به في العصر الوسيط، وقد احتوى هذا الغصن على الشكوى من الاهوال والويلات التي أصابت المسلمين، من ظلم الحكام وطمع الغزاة من التتار والصليبيين، والابتهال الى الله سبحانه أن يدفع هذه الأهوال، فضلا عن امتداح النبي الأكرم وذكر شيء من سيرته ومعاجزه وفضائله والتشفع به الى الله سبحانه وغير ذلك من موضوعات، وقد اقتصرت مدحة الحلي على امتداح النبي والتشفع به، وهذا قد يدل على أن بنية المدائح النبوية في العصر الوسيط ليست واحدة، فمدائح شعراء مصر والشام حوت الموضوعات السالفة، فيما اقتصرت مدحة الحلي على ماذكرناه، فهي أقرب الى المديح التقليدي الذي يبالغ فيه الشاعر في اوصاف الممدوح وصولا الى غايته الرئيسة وهي التكسب، ويمثل التشفع بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) بديلا عن الكسب المادي في هذه القصيدة.

٣- يتلمس متلقي هذه القصيدة بوضوح أنها من شعر صفي الدين الحلي المتقدم، قبل أن تنضج قريحته الشعرية وتبلغ مداها الاقصى، ويتجلى ذلك في ضعف السبك، وترديد المعاني السابقة دون منحها حياة جديدة، وايراد كل ماجاء في السيرة النبوية والحديث الشريف دون ان يُخصِّبها بالمخيال الشعري الذي يصنع عوالم جديدة، انظر مثلا هذه الابيات



المتفرقـة:

خمـدت لفضـل ولادك الـنـيران	وانـشـق مـن فـرح بـك الايـوانُ
وتـزلـزل الـنـادي وأوجـس خيفة	مـن هـول رؤيـاه انـو شروان
- فـرأت قـصـور الـشـام آمـنـة وقد	وضـعـتـك لا تخـفـى لهـا اركـانُ
- وغدت لك الارض البسيطة مسجدا	فـالـكـل مـنـهـا لـلـصلاة مكـانُ
ونصرت بالرعب الشديد على العدى	ولـك المـلائـك في الـوغـى اعـوان
وسعـى اليـك فتى سـلامٍ مسلما	طـوعـا وجـاء مسلـما سلـمـان

٤- يتجـلى الصـدق الفنـي وحـرارة العاطفـة لـدى الشـاعر فيـما يتعلـق بموضوعـة الغديـر، فموالاتـه لأمـير المؤمنـين (كـرم الله وجهه) لاشـك يعتريها، فقـد جاهـر بهـا غـير مـرة في ديوانـه، ونافـح عـن أئمـة الشـيعة ومذهبهـم[١]، ويكفـي للتدليـل عـلى ذلـك معارضتـه لقصيـدة ابـن المعتـز التـي هاجـم فيهـا الشـيعة ورأى ان لاحـق لهـم بالخلافـة ومطلعهـا:

ألا مَـن لَـعـينٍ وتَـسـكـابِـهـا،	تشكـي الـقـذى، وبـكـاهـا بهـا[٢]

فـكان ان رد الحـلي عليـه بقصيـدة (مرتجلـة) قوامهـا (٣٤) بيتـا يفنـد فيهـا كل ابيـات ابـن المعتـز ومطلعها:

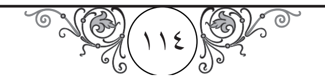
ألا قُـل لـشَر عَـبـيـدِ الإلـه	وطـاغـي قـريـش وكـذابهـا[٣]

ويـبـدو ان حـرارة العاطفـة الشـيعية قـد وصلـت الى الحـلي بعـد أجيـال

(١) ينظر مثلا في ديوانه ٩٠، ٨٨، ٨٧.

(٢) ديوان ابن المعتز، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧، ١/ ١٧.

(٣) ديوان صفي الدين الحلي ٩٢.



من شعراء الشيعة الذين تناقلوها عبر الزمن، وزاد من أوارها الكُرب والظلامات التي مرت بها الطائفة، ولذلك ليس غريبا أن يذكر الحلي حادثة الغدير التي تعد مؤسِسَة لأهم اركان المذهب الشيعي، والكثير من الادبيات الشيعية، سعياً منه الى تثبيتها في الاذهان، حتى لو كان ذلك في بيت واحد:

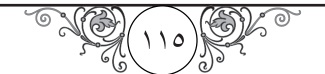
وأخيك في يوم الغدير وقد بدا نور الهدى وتآخت الأقرانُ[(١)]

٥- يبدو أن الحلي لم يكن على دراية بالتصوف ومفاهيمه ومصطلحاته، كما هو حال كبار شعراء المديح النبوي كالشهاب محمود الحلبي وابن نباتة المصري والبوصيري، ولذلك لانلمح النزعة الصوفية في هذه القصيدة عبر استخدام لغة الإشارة والتلميح المعتمدة على الغموض والأغراب والإكثار من الاستعارة والمجاز والكناية، وهذا يدل على صحة رأي الصفدي المذكور سلفاً في أن شعر الحلي نمطان: الأول يصدر عن فطرة وطبع سليم وهو يقلد فيه الأنموذج الشعري القديم في الجاهلية والإسلام والعصر الاموي ومنه هذه القصيدة، ونمط أخر يغلب عليه التكلف والصنعة ويجاري فيه شعراء عصره الذين قيدوا شعرهم بالبيان والبديع[(٢)].

٦- لم يكن مصادفة أن يصطفي الحلي لقصيدته أكثر بحور الشعر انتشارا واستعمالاً وهو الكامل، وهو بحر غنائي كثير الجلبة، أقرب الى الانشاد

(١) المصدر نفسه ٨٢.

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر ٣/ ٦٩.



والتغني منه الى الهدوء والتأمل والتعمق[١]، وهذا يشايع ماقلناه سلفا أن القصيدة من النظم المتقدم للشاعر قبل ان تنضج قريحته، ويلاحظ أن هذا البحر يكون عادة معرِضاً للعواطف كالفخر والغضب والفرح والحزن[٢]، وجُل ما في قصيدة الحلي افتخار بسيرة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) ومعاجزة وسنته الشريفة مثل قوله:

بفضائلٍ شَهِدت بِهِن السُحبُ والـ ... تَـوراةُ والانجيـلُ والفُرقَـانُ
فوُضِعتَ للهِ المُهيمنِ سَاجِداً ... واستبشرتْ بظُهورِكَ الأكوان
مُتكمِلاً لم تَنقطعْ لـكَ سُرةٌ ... شَرفاً ولمْ يُطلقْ عليكَ خِتان[٣]

الخاتمة:

يمكن استخلاص جملة نتائج فيما يخص غديريات العصر المملوكي الأول وغديريتا صفي الدين الحلي وهي:

١- اتسم العصر المملوكي الأول بالتسامح الديني بخلاف ماتسم به العصر الايوبي من معاداة لكل المظاهر الشيعية التي جاء بها الفاطميون، وقد انعكس تسامح المماليك في نشوء أدب يلتزم الدفاع عن ظلامة الشيعة والتذكير بحقهم والاعلاء من شأن أئمتهم، وقد خلف لنا هذا العصر شعرا كثيرا في هذا الاتجاه ومنه مجموعة من الغديريات التي تؤرخ لتلك

(١) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الكويت، ط٣، ١٩٨٩م، ١٤٠٩ه١/ ٣٠٢- ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٦.

(٣) ديوانه ٨٠.

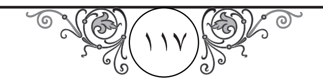
الحادثـة المفصليـة.

٢- يعـد صفـي الديـن الحـلي أبـرز شـعراء عـصره بشـهادة النقـاد المجايلـين لـه كالصفـدي وابـن فضـل الله العمـري، وانـماز عـن غـيره مـن الشـعراء الشيعة بالتـوازن، فقـد أعلـن صراحـة عـن تشـيعه ودافـع بقـوة عـن مذهبـه، وفي الوقـت نفسـه لم يـك متعصبـاً ضـد صحابـة الرسـول الأكـرم (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم)، ماجعـل شـعره مقبـولاً لـدى الجميـع وفتـح لـه أبـواب السـلاطين المماليـك.

٣- يحـوي ديـوان الحـلي غديريتـان، الأولى مقطوعـة مـن اربـع أبيـات يبـدو عليهـا أنهـا قيلـت ارتجـالاً، لمـا فيهـا مـن سـهولة الألفـاظ والمعـاني، وتعمـد اختيـار أحـد البحـور الغنائيـة التطريبيـة وهـو المتقارب لضـمان انتشـار المقطوعة وذيوعهـا بـين النـاس، والأخـرى قصيـدة مـن المديـح النبـوي قوامهـا(٥٧) بيتـاً، وهـي تخالـف نهـج المديـح النبـوي الشـائع في حينهـا، مـن جهـة افتقارهـا للنزعـة الصوفيـة والفلسـفية، وعـدم التطـرق للـصراع مـع التتـار والصليبيـين، وقـد جـاء الحـلي عـلى ذكـر حادثـة الغديـر كجـزء مـن العاطفـة الدينيـة التـي أبرزهـا في كثـير مـن شـعره، ويمكـن عـد هـذا الجانـب مـن شـعر الحـلي أحـد الجوانـب التـي أهلتـه كـي يكـون ابـرز شـعراء عـصره.

المصادر:

١- أدب الطـف أو شـعراء الحسـين (عليـه السـلام)، جـواد شـبر، دار المرتـضى، لبنـان، بـيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.





٢- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

٣- أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ه)، حققه الدكتور علي أبو زيد وأخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط١/ ١٤١٨ه - ١٩٩٨م

٤- ألحان السواجع بين البادىء والمُراجع، تأليف خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ه)، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٢٥ ه - ٢٠٠٤م.

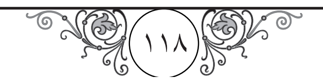
٥- الحاوي للفتاوي، الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ه)، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م

٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني: شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (٨٥٢ه)، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ط٢، دار الكتب المصرية (د. ت).

٧- ديوان ابن المعتز، دار المعارف بمصر، (د. ت).

٨- ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، (د. ت).

٩- السلوك لمعرفة دول الملوك، تأليف تقي الدين أبي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي (٨٤٥ه)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.



١٠- الشيعة في مصر من الإمام علي عليه السلام حتى الإمام الخميني، صالح الورداني، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط١، ١٤١٤ه - ١٩٩٣م.

١١- صبح الاعشى في صناعة الإنشا، تأليف الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (٨٢١ه)، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، طبعتها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

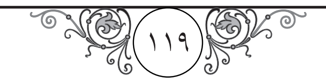
١٢- الطليعة من شعراء الشيعة، تأليف العلامة المؤرخ محمد السماوي ١٢٩٢ - ١٣٧٠ه، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه - ٢٠٠١م.

١٣- عصر سلاطين المماليك، د. قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٥ه - ١٩٩٤م.

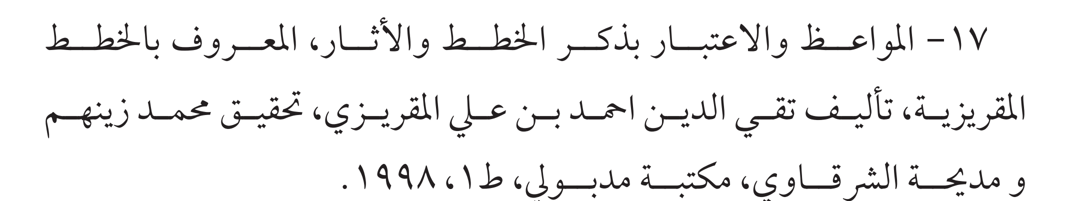
١٤- المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الكويت، ط٣، ١٩٨٩م-١٤٠٩ه.

١٥- مسالك الابصار في ممالك الانصار، لابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩ه)، أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.

١٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تأليف يوسف بن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن (٨٧٤ه)، حققه ووضع حواشيه دكتور محمد محمد أمين وأخرون، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، طبع بين عامي١٩٨٤ و ٢٠٠٩.







١٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، المعروف بالخطط المقريزية، تأليف تقي الدين احمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٨.

١٨- موسوعة الغدير في الكتاب والسُنة والأدب، تأليف الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٤ه - ١٩٩٤م.

١٩- نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، تأليف الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني(١١٢١ه)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م.

٢٠- الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك، باعتناء هيلموت ريتر وأخرون، جمعية المستشرقين الالمانية، دار فرانز شتاينر، المانيا، فيسبادن، ط٢، طبع بين عامي ١٩٦٢و ٢٠٠٤ م.

التناص في حوار الغديريات

د. بشرى خضير شمخي العبودي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد

إنَّ موضوع دراستنا هو شعر الغديريات وما تأثرت به من تناصٍّ حواريٍّ؛ ولذا لا بُدَّ لنا أنْ ننظر إلى التناص من جهة كونه ذا مزايا درامية أو قصصية باعتبار ما تناص معه من موروث دينيٍّ وتاريخيٍّ، وقد فصلنا القول في هذا البحث؛ لذا سنعكف على تبيين مزايا الحوار في شعر الغديريات وما تناصت معه من مصادر نثرية.

واقتصر بحثي على شعراء الغديريات من القرون الستة الأُولى الذين استعملوا الحوار في شعرهم بشكل بارز بدءاً من حسان بن ثابت (٤٠هـ) إلى الملك الصالح (ت٥٥٦هـ) وهم سبعة عشر شاعراً.

فإنْ وفقني الله سبحانه لذلك فهي منّة منه، وإنْ أخطأت أو قصّرت فالخطأ والتقصير من طبيعة البشر، وأشكر من نبّهني لما فاتني مع وعد التبديل لما أرشد إليه الدليل، وحسبي أنِّي حاولت والله من وراء القصد.



الحوار في اللغة:

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (أنَّ الحَري هو النقصان بعد الزيادة، والقمر يحري الأول فالأول حتى ينقص حرياً... والحور: الرجوع إلى الشيء وعنه، والغصَة إذا انحدرت يقال: حارت تحور وأحار صاحبها، وكلُّ شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حوراً، والمحاورة مراجعة الكلام... والمحور: الحديدة التي يدور فيها لسان الإبزيم في طرف المنطقة...)[1].

وأشار الجوهري إلى: (أنَّ الحُور هو الاسم من قولك: طحنت الطاحنة فما أحارت شيئاً، أي: ما ردّت شيئاً من الدقيق... ويقال: كلمته فما أحار إليّ جواباً، وما رجع إليّ حويراً، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حواراً، أي: ما ردَّ جواباً، واستحاره، أي: استنطقه... وتحيّر الماء: اجتمع ودار والحائر: مجتمع الماء وجمعه حيران وحُوران... وتحير المكان بالماء واستحار، إذا امتلأ)[2].

فالمحاورة لا بُدَّ أنْ تشتمل على التواصل أخذاً وردّاً.

الحوار في الاصطلاح:

هو أُسلوب من أهمّ أساليب القص مثل الوصف والسرد... كما

(١) معجم العين (حرى) و(حور) و(حير)٣/ ٢٨٦-٢٨٩.

(٢) الصحاح، مادة (حور) ٢/ ٥٥٣ و٢/ ٥٥٤-٥٥٥ (حير) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٣٤-١٣٥.



يعدّ موطناً من أهم مواطن تعدد الأصوات في النص السردي... ينهض بوظائف متعددة كالإيهام بالواقع والوصف والإخبار، ورسم ملامح الشخصيات ودفع الحركة القصصية والإسهام في بناء الحكاية فليس الحوار غرضاً بذاته، إنَّما هو وسيلة يلجأ إليها المبدع لشدّ المتلقي وإبقائه ضمن دائرة التواصل[1].

وأعجب أنَّ المعجم الفلسفي لم يذكر الحوار مستقلاً، بل ذكره ضمن طرائق الجدل فقال في تعريفه: طريقة في المناقشة والاستدلال. وقد أخذ معاني متعددة في المدارس الفلسفية المختلفة ومنها عند سقراط: مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب[2].

وقد أحسن مارتن استن إذ جعل الحوار حدثاً يغيّر هوية الجنس الأدبي فقال: (الحوار فعل دراميٌّ يخرج القصيدة من دائرة السكونية إلى دائرة الحركة)[3].

فالحوار هو حدث يضعه المبدع في نصه ليحدث تشويقاً للمتلقي وكسراً للرتابة والجمود في النص، وهو يحصل بين طرفين مختلفين غالباً ليقدم وجهات نظر متنوعة من خير وشر، أو ذكر وأُنثى أو قوي وضعيف وهكذا دواليك؛ ولذلك بحسب تعبير د. جلال الخياط (لا يكاد يخلو أثر

---

(١) ينظر: معجم السرديات، ١٥٨-١٥٩.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٥٩.

(٣) ينظر: تشريح الدراما، مارتن أستن، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٤، ط٢



شعري من نزعة دراميـة)[1].

وتعدُّ لغة الحوار مفتاحاً لمعرفة الشخصيات التي تقوم به عبر الرؤية والانفعال، كما يعدُّ الحوار عاملاً مهماً يسهم إسهاماً بعيداً في كسر الرتابة السردية وجذب المتلقي، ليكون متواصلاً عبر الحوار كأنَّه يعيش أجواء عرض مسرحيٍّ. ولا بُدَّ للحوار أنْ يكون مختصراً، فالإفراط في طوله يعدُّ إفراطاً سلبياً لا نفع فيه، كما يجب أن يكون مفصحاً ومبيناً لا يشوبه الغموض والعجمة، والمطلوب من الحوار أنْ يكون تواصلياً[2].

ويعدد محمود إسماعيل وظائف الحوار إذ يحمل الأفكار، ويصوّر محاور ثنائية متضادة أو متناظرة، يكشف المواقف المتناقضة، يسبر أغوار النفس لإحداث حركة تصادميّة، يؤجج الصّراع، ويستقطب الانتباه[3]، ويزيد باحث آخر وظائف أُخرى، إذ إنَّه يعمّق الحدث، ويقيم علاقة تواصل وتأثير بين النص والمتلقي؛ لأنَّه يقوم على إبراز التفاصيل المتعلقة بجوهر القضية المبتغى إيصالها[4].

لذا فمعظم الغديريات مليئة بالحوارات التي تشدُّ المتلقي في الإصغاء

---

(١) الأصول الدرامية في الشعر العربي، د. جلال الخياط، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢(د. ط)، ١٤١.

(٢) التناص الديني في شعر السيد الحميري، عبد الأمير ماذي مذكور، ٢٠٢، ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، ٢٦٢.

(٤) ينظر: أساليب مستعارة من الفنون الأخرى في شعر الوطن المحتل، د. صالح أبو أصبع، ٥، مجلة الأقلام عدد١٢، أيلول ١٩٧٧.

لهم والتواصل معهم.

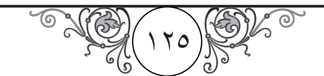
١- ومن ذلك ما جاء في ما نُسب لحسان بن ثابت (٤٠هـ)[(١)] (الكامل):

فقال: فمن مولاكمُ ونبيكم؟ فقالوا، ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلقَ منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا[(٢)]

إذ استدعى الشاعر في نصه من أحداث السيرة ما تضمن حواراً ينبئ عن حدث خطير كان النبيُّ بصدد اتخاذه والإبلاغ عنه فـ(قال: «**أيّها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه...**») مستعملاً تقنية الحوار بوصفه مقدمة ضرورية لإقناع أصحابه بما أمر الله، فاستعمل الفعل (قال) ليكشف نقطة الانطلاق في الحوار الذي يدور بين رسول الله صلَّى الله عليه وآله وأصحابه، فالرسول صلَّى الله عليه وآله هو المحاور الرئيس الفاتح للجلسة الحوارية، والصحابة هم المستمعون المجيبون، ولكنَّ الشاعر عطف على الفعل (فقالوا) جملة فعلية منفية (ولم يبدوا هناك التعاميا) جاء بها الشاعر ولم يرد ذكرها في نص السيرة لاستعمالها بآلية التمطيط لإيصال الفكرة في الكشف عن حال أصحابه، إذ بادروا بالإجابة كما يظهر من

(١) لم أجدها في ديوانه.

(٢) للاطلاع على إثبات نسبة هذه الأبيات لحسان ينظر: موجز الأدب العربي وتاريخه د. محمد علي آذرشب، ٢٩، ٣٠، ولم أجده في ديوانه.



استعمال أُسلوب النفي لتأكيد الإجابة بوساطة نفي التهرب من الإجابة، فضلاً عن لفظة (التعامي) وما تدلُّ عليه من ادّعاء العمى، إذ هي مصدر للفعل (تعامى) الدال على الادعاء ولعلَّه قصد الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[1] ولكنَّ الشاعر استعمل آلية التكثيف أو الإيجاز ولم يفرط في سرد الأحداث كما ورد في نص السيرة، ولا بُدَّ للحوار أنْ يكون مختصراً، فالإفراط في طوله يعدُّ إفراطاً سلبياً لا نفع فيه، حيث صور الشاعر الفعل الدراميَّ الحاصل بينه وبين الصحابة حواراً تواصلياً أُريد به الانتهاء إلى نتيجة وهي الإيجاب بـ(فقالوا... إلهك مولانا وأنت نبيّنا ولم تلقّ منا في الولاية عاصيا) وكشف أيضاً في قوله (إماماً وهاديا) متناصاً مع لفظ قرآنيٍّ يحيل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]، إذ لفظة (هاد) بحسب كثير من المفسرين يقصد بها الإمام عليٌّ عليه السلام فاتخذها الشاعر إشارة إلى الإمامة.

٢- وقال قيس الأنصاري (ق١هـ) مستعملاً التناصَّ الحواريَّ: (الخفيف)

قلتُ لمّا بغى العدوّ علينا:	حسبنا ربّنا ونعم الوكيل
حسبنا ربّنا الذي فتح البصـ	ـرة بالأمس والحديث طويل

إذ استدعى الشاعر في صدر البيت الأول لفظة (بغى) التي وردت في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى

(١) سورة البقرة، آية: ١٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٧.

تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1]، ووردت في الحديث النبويِّ في قوله صلَّى الله عليه وآله: (عمار تقتله الفئة الباغية) فيتشرب هذه النصوص لتصبح علامة في ذاكرته، وتذوب في معارفه المتنوعة فيعود لاستدعائها مازجاً إياها في نصه الجديد لتكسبه قوة في المعنى، ثمَّ كشف في بيان قوله وهو ردٌّ على بغيهم متناصاً الآية القرآنية: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[2] بآلية الاجترار فجاء الحوار في نصه مختصراً يماثل ما جاء في نص الآية إلَّا بتحوير بسيط، (ويكون التناص ظاهراً، عندما تكون النصوص التي تتداخل في نص أو خطاب المؤلف جزءاً من الموروث الثقافي الجمعي لجماعة بشرية معينة، كالنصوص الدينية، والأساطير المحلية، والأمثال والأقوال السائرة، كما يكون صريحاً عندما يشير المؤلف صراحة إلى الخطابات أو النصوص التي ضمنها في خطابه، ومع ذلك فإنَّ (الظاهر) يبقى نسبياً وغير مطلق)[3].

والتحمت الآية القرآنية بنصِّ الشاعر التحام تلاصق وتجاور، إذ: (الكلام المقتبس دخل في كلام الشاعر جملة واحدة غير مفكك، ولا فرق في أنْ يظهر في أول البيت أو في حشوه أو في نهايته)[4] إلَّا بتغيير طفيف ففي نصِّه حيث استعمل الفعل (قلت) المقترنة (بتاء الفاعل) لتأكيد حضور

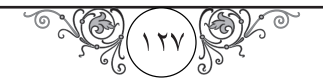
---

(١) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٣) قراءات أسلوبية في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، ٧٥، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

(٤) فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، ٣٢٧.



شخصيته في المعركة فانزاح الشاعر عن الفعل الوارد في النص القرآني (قالوا) المقترن بـ(بواو الجماعة) وأيضاً أزاح في نصِّه الشعريِّ من لفظ الجلالة (الله) في النص القرآني إلى لفظة (ربنا) المشتمل على ضمير للدلالة على انتسابهم لدينه من جهة والتربية والمتابعة من جهة أُخرى، أي: إنّ الله لا يتركنا وهو يتابعنا باستمرار، فالشاعر لم يبتعد عن صياغة الآية الكريمة ودلالتها في التوكل على الله، بل جعلها حجة وتوثيقاً لكلامه في البيت الشعري موظفاً إياها لتوصيل ما يسعى إليه من فكرة أراد أنْ يقررها، وقد وفق الشاعر في هذا الاقتباس الذي لا نحسُّ معه بالصنعة أو التكلف أو إيراد النص في غير محله.

٣- ويقول السيد الحميري (ت١٧٣هـ) (الرجز):

وجاءه مشيخة يقدمهم ... شيخ يهني حيدراً مثالها[(١)]

قال له: بخ بخ، من مثلكا؟ ... أصبحت مولى المؤمنين يا لها

متناصاً الأحداث التاريخية التي رافقت يوم الغدير بآلية التكثيف، إذ أشار إليها بألفاظ موحية استخلصها بعبارات مكثفة مثل (وجاءه مشيخة) الدالة على كبر السنِّ من جهة والزعامة في قومه من جهة أُخرى، مستعملاً اسم الإمام عليٍّ عليه السلام الخاص بأراجيز القتال «**أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرة**» فذكْر اسم إحدى الشخصيات في الأعمال الأدبية يجعل ذهن المتلقي مستدعياً للحوادث المكثفة بأسمائها[(٢)]، وقد

(١) في الديوان وردت (جاءهم)، ١٥٦-١٥٧.

(٢) ينظر: التناص في الأدب والنقد، شعر محمد جميل شلش أُنموذجاً، بشرى محمود إبراهيم

يـأتي التكثيـف بلقـب الشـخصية أو كنيتهـا أو اسـمها الصريـح[1].

وقـد تـرد آليـة التكثيـف - في بعـض الأحيـان ملازمـة لآليـة التمـدد، وهـذا مـا نلحظـه في قـول الشـاعر (يقدمهـم شـيخ يهني حيـدراً مثالهـا) فعمـد عـبر آليـة التمـدد إلى رفـد نصـه وتدعيمـه لإثبـات فكـرة أراد أنْ يسـتخلصها مـن النـصِّ التاريخـي، وهـي تهنئـة أكابـر القـوم للإمـام عليـه السـلام إشـارة لموافقتهـم عـلى توليتـه ورضاهـم بهـا.

وتنـاص الشـاعر في بيتـه الثـاني مـع نـصِّ السـيرة بقولـه: (قـال لـه بـخ بـخ مـن مثلـكَ)؟ مكثفـاً للحـوار بإشـارته الموحيـة إلى الحادثـة التاريخيـة بلفظـة (بخ بـخ) التـي تعـبر عـن فكـرة القبـول مـن المتحاوريـن بوضـوح، وقـد دخلـت معهـا ضمـن هـذه الآليـة مـا يسـميه لـورون جينـي (الإضـمار أو القطـع)[2].

وقـد عمـد الشـاعر في عجـز البيـت إلى رفـد نصـه وتعزيـز موقفـه مسـتعيناً بنصـوص سـابقة تكـون داعمـة لقضيتـه، وكثّـف بتناصـه مـع قولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[3] فقـال: (أصبحـت مـولى المؤمنـين يـا لهـا) بغيـة إنتـاج نـصٍّ ينسـجم ومـراده وإضافـة معنـى جديد يتوافـق والدلالـة السـابقة التـي تخـدم رؤاه.

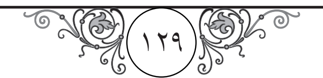
وهـذا التوسـع يرفـد النـص الجديـد معنـى إضافيـاً ويؤكـد الفكـرة المـراد

القيسي، ١٩.

(١) ينظر: أشكال التناص الشعري-دراسة في توظيف الشخصيات التراثية أحمد مجاهد، ٢١.

(٢) ينظر: أدونيس منتحلًا، ٥٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥٥.



تعزيزها من المتلقي، وفي هذا النوع من التناص يتوافق النص الغائب مع النص الحاضر إلى حدٍّ ما، وهذا ما يسمى بتناص الموافقة والاقتداء[1].

٤- وقال أحمد بن علوية الأصفهاني (ت٣٢٠هـ)[2]:

نادى: ألستُ وليكم؟ قالوا: بلى	حقاً فقال: فذا الولي الثاني
ودعا لهُ، ولمن أجاب بنصره	ودعا الإلهَ على ذوي الخذلان
لمن الخلافة؟ والوزارة؟ هل هما	إلّا لهُ؟ وعليه؟ يتفقان

مستعملاً الفعل (نادى) للدلالة على رفع الصوت بما يتناسب مع الجمع الغفير، وصاغهُ ماضياً للدلالة على الوقوع والتحقق، وصاغ أَوّل كلامه استفهاماً منفياً (ألست وليّكم؟) ليستقطب الانتباه؛ ولذا بادروا بالجواب مباشرة من دون تأخير بما يكشف عن مشاركة الجمع في الحوار، فهو ليس مجرد خطبة يلقيها القائد ويتلقاها من لم يكن شارد الذهن من الجماهير، ولا صوت لهم كأنَّ على رؤوسهم الطير، بل محاورة فيها أخذ وردٌّ تكشفه الأفعال المتوالية: (نادى، قالوا، فقال، ودعا) مع ملاحظة تكرار الفعل الأخير (دعا) لأهميته ولكشف التنوع في استعماله، فقد بين في الجملة الأُولى الجهة التي كانت محلَّ دعائه باستعمال الضمير العائد على الإمام، والجهة التي عطفت عليه وهم من أجابوا بمعنى من استجابوا لولايته، وبيَّن في الجملة الأُخرى الجهة التي كان يتوجه إليها في دعائه

(١) ينظر: التناص مرجعياته المعرفة ع٤٧٦.

(٢) معجم الشعراء الناظمين في الحسين لمحمد صادق الكرباسي دائرة المعارف الحسينية ط١، ٣/ ٢٧١ مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٢ الطليعة ١/ ١٠٩.

وهــو الله ســبحانه.

ثــمَّ اسـتعمل الجمــل القصــيرة في الاســتفهام بــما يتناســب مــع الحــدث حيــث يقتـضي إنجـاز الأمـر عـلى وجـه السرعـة قبـل أنْ يتعجـل الحجيـج في الانـصراف، معتمـداً الحـذف في عطـف (الـوزارة) عـلى (الخلافـة) مـن دون تكـرار لأداة الاسـتفهام، ومعتمـداً الإيجـاز في الإشـارة إليهـما في الضمـير (همـا) ولكــنّ السرعـة والإيجـاز لم تمنعـه مـن الإجابـة عـن السـؤال بنفسـه ولم ينتظـر إجابتهــم.

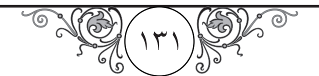
وكــما كان موجــزاً في اســتفهامه بقــي عــلى ســياق الإيجــاز في الإجابــة، مسـتثمراً القـصر بالنفـي والاسـتثناء (هـل همـا إلَّا لـه) حيـث (هـل) خرجـت لمعنـى النفـي، وبالتقديـم: للجـار والمجـرور المتعلـق بالفعـل عـلى الفعـل (لـه وعليـه يتفقــان).

٥- وقال الصنوبري (ت٣٣٤هـ) مستعملاً التناص الحواري[1]:

قـال الـنبيُّ لـه: أشـقى الـبريّـة يا	عـليُّ- إذ ذُكـر الأشـقـى- شقيّان
هـذا عـصا صـالحـاً في عَـقـر ناقته	وذاك فـيـك سيـلقـاني بـعصيان

عـلى أنَّ الحـوار هنـا كان بـين النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه والإمـام عـليٍّ عليـه السـلام بـما يذكـر بالحـوار بـين معلـم وتلميـذه، حيـث يـضرب لـه الأمثـال لتقريــب الفكــرة وتفهيمــه وتوعيتــه ولا ســيما إذا كان المثــل حــاضراً لــكلِّ المتلقـين للنصـين: النـص القـرآني، والنـص الشـعري باعتبـاره لاحقـاً لـه،

(١) أدب الطف لجواد شبر ٢/ ٢٣.



فيخرج الحوار من الدائرة الضيقة بينهما إلى دائرة أوسع، وهم الأتباع والموالون فاستدعى الشاعر نص الآية ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[1]، متناصاً معها فقصة النبيِّ تشير إلى عصيان القوم لنبيِّ الله صالح على نبيّنا وآله وعليه السلام بعقر الناقة من أشقاهم والرضا بذلك، أمَّا العصيان في النصِّ الشعري فيحدث بعدم تمسكهم بولاية الإمام عليٍّ؛ فالنتيجة واحدة حيث قتل الإمام عليٌّ عليه السلام بعد ذلك، ويلاحظ استعمال اسم التفضيل (أشقى) للدلالة على التناهي في الشقاء.

واتخذ آلية التمطيط في شرحه لحالة (الأشقى) مفصلة، لغرض التوضيح وإيصال الفكرة للمتلقي ولرفد نصه وتقويته، حيث يفرق بينهما في كون الأول -وهو عاقر الناقة - أشقى أهل زمانه، وكون الآخر أشقى الأولين والآخرين مشيراً إلى زمان انبعاثه بحرف السين في الفعل (سيلقاني) بما يدلُّ على المستقبل القريب، كاشفاً عن حبه للإمام عليٍّ عليه السلام وخوفه عليه، وإنَّما كان الحديث أصلاً لتخويف أعدائه من الإقبال على هذه الجريمة العظيمة بما ينتظرهم من عقوبة شديدة عند الله.

حيث اتخذ الشرح لتفصيل المشهد باستعمال أسماء الإشارة (هذا) و(ذاك) لتصوير محاور ثنائية قريبة وبعيدة، والمفارقة إشارته للقديم باسم الإشارة الدالّ على القرب، وإشارته للجديد باسم الإشارة الدال على البعد (ذاك)، ومما يخففها خلو اسم الإشارة من لام البعد حيث لم يستعمل

(١) سورة الشمس، الآية: ١٤. سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

(ذلك)، ولعل الشاعر عبَّر بها عن مشاعره بتمني البعد في هذه الحالة حباً للإمام عليٍّ عليه السلام

٦- وقال الناشئ الصغير (ت٣٦٥هـ) في حوار افتراضيٍّ مع أهل البيت عليهم السلام[1]:

يا آل ياسين، من يحبكم - بغير شك - نصحا

حيث استدعى لفظة (آل ياسين) من النص القرآني ومزجها في بيته الشعري ليزيد من قوة المعنى في نصه اللاحق الذي إنَّما يُستمد من النص السابق، ثم مطط بزيادة من عنده: (من يحبكم بغير شك نصحا) بأُسلوب الشرط المتضمن لفعله وجوابه، فاصلاً بينهما بالاعتراضية من الجار والمجرور، والملاحظ أنَّ فعل الشرط كان مضارعاً للدلالة على الاستمرار، بينما صيغ الجواب ماضياً للدلالة على الوقوع والتحقق، وقد ساعدت ألف الإطلاق الفعل على التمدد، عاكساً الحالة النفسية للشاعر كأنَّه يتنفس الصعداء.

٧- وقال ابن حماد العبدي (ق٤هـ) (الطويل):

أما قال فيه أحمد وهو قائم — على منبر الأكوار والناس نُزّل

عليّ بأمر الله بعدي خليفة — وصيّي عليكم كيف ما شاء يفعلُ

ألا إن عاصيه كعاصي محمد — وعاصيه عاصي الله والحق أجمل

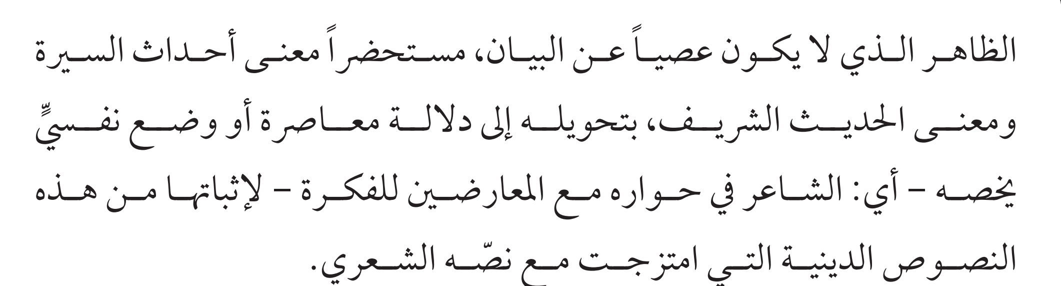
ألا إنه نفسي ونفسي نفسه — به النص أنبا وهو وحي منزل

إذ تناص الشاعر تناصاً حوارياً مع أحداث السيرة بآلية الامتصاص

(١) الغدير ٤/ ٢٤.







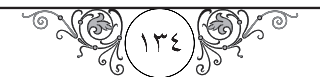
الظاهر الذي لا يكون عصياً عن البيان، مستحضراً معنى أحداث السيرة ومعنى الحديث الشريف، بتحويله إلى دلالة معاصرة أو وضع نفسيٍّ يخصه - أي: الشاعر في حواره مع المعارضين للفكرة - لإثباتها من هذه النصوص الدينية التي امتزجت مع نصّه الشعري.

والحوار جاء ملازماً للوصف، إذ استدعى في نصِّه الأحداث التاريخية فامتصها ومزجها ليخرجها بنص جديد، محدثاً تغييراً سطحياً لا يمحو مرجعية النص المتناص معه، بل يشير إلى عائديته الصريحة، فجاء الحوار مكثفاً؛ لأنَّ الحوار تقنية شديدة التركيز والكثافة. واستعمل آلية التمدد في قوله: (عليٌّ بأمر الله) موسعاً في المعنى، إذ جاء في نص الحديث (خليفتي) معرفة بالإضافة إلى ضمير المتكلم (الياء)، أمّا في النصِّ الشعريِّ فاستعملها (خليفة) نكرة ومدد بعدها في قوله: (كيف ما شاء يفعل) لتأكيد الفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي وتوضيحها، وهذا يكشف عن مدى قدرته على استيعاب الثقافة الدينية وكيفية استدعائها في لحظة الإنتاج.

وتناصّ في صدر البيت الأخير مع آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، مشيراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه نفساً لرسول الله صلَّى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فكان مظهراً لإبداع الشاعر ولباقته إذ أوجز الفكرة في جملة قصيرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.



أمَّا في عجز البيت فتناص في قوله (به النص أنبا وهو وحيٌ منزل) تناصاً إشارياً بسيطاً يحيل إلى قوله تعالى في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهذا النوع من التناص يكون الأجمل ببساطته إذ يضفي قوة ورصانة للنص، فلجوء الشعراء إليه تزييناً وجمالية للنص، وهكذا فالشاعر قد استعمل التكثيف بآيتين لتقوية الأفكار والمعاني التي يبتغي إيصالها إلى المتلقي.

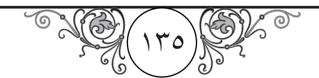
٨- ويبرز التناص نفسه عند أبي القاسم الزاهي (ت٣٥٢هـ)[١] (الطويل):

أُقيم بخم للخلافة حيدر	ومن قبل قال الطّهر ما ليس ينكر
غداة دعاه المصطفى وهو مُزمع	لقصد تبوك وهو للسّير مضمر
فقال: أقم عنّي بطيبة واعلمن	بأنّك للفُجّار بالحقّ تقهر

فالشاعر يعيد تشكيل الملفوظ الديني وحمولاته الدلاليّة المثبتة في النص الأول، فلا يزيد عليه أيّة دلالة من عنده بما يتوافق ومزاجه النفسي، وهذا ما يقلل مساحة الشعرية، إذ يكتفي بصوغ النثر شعراً وينظمه حتى كأنّه لم يتأثر بالمدّة الزمنية في أصل الحادثة، ويكثر الحوار فيها بوعي وقصدية، لكي لا يشعر المتلقي بالملل، مغرياً إياه بتقنية الحوار التي تكسر الرتابة، ليعرض مشهد الحوار بينهما حيث الرسول صلَّى الله عليه وآله هو المحاور الرئيس والإمام هو الطرف المستمع.

إذ تناص في قوله: (فقال: أما ترضى تكون خليفتي...) تناصاً حوارياً،

(١) علي في الكتاب والسنة والأدب لحسين الشاكري ٤/ ٧٨.



محوراً مع حديث الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله: (أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلَّا أنّه لا نبيّ بعدي)[1]، إذ يحور الشاعر النّص؛ ليخدم غايته المتعلقة بفكره وإحساسه، فيوجز مرَّة حينما يحذف حرف (أن) من نصه، ومرَّة يمطط حينما يضيف لفظة (خليفتي) ليخدم غايته المتعلقة بفكره ومعتقده، وقد انزاح من لفظة (بمنزلة) إلى حرف التشبيه (الكاف)، معمقاً البناء الدرامي بالاستفهام، فالاستفهام في ذاته يحمل طابعاً حوارياً؛ وبذا تتعمق قيمته داخل النص، وهو في السيرة: (لما سار جيش الإسلام بقيادة الرسول صلَّى الله عليه وآله في غزوة تبوك وقد استخلف الرسول صلَّى الله عليه وآله علياً عليه السلام لإدارة المدينة المنّورة ولرعاية أهله صلَّى الله عليه وآله، على أنَّ عليّاً أراد صُحبة الرسول صلَّى الله عليه وآله في غزوته إلَّا أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أمره بالبقاء في المدينة المنوّرة، وخاطبه بقوله...)[2].

٩- وقال أبو فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ)[3] (الكامل):

أتراهمُ لم يسمعوا ما خصّهُ … منه النبيّ من المقال أباه؟

---

(١) ينظر: مسند أحمد بن حنبل، ٣٣، النّسائي، ١٤، وطبقات ابن سعد١٣/ ٤، وحلية الأولياء٧/ ١٩٥، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٧/ ٤٥٢، وفي كنز العمال، للمتقي الهندي٣/ ١٥٤، والإرشاد، المفيد، ٨٣.

(٢) ينظر: مسند أحمد بن حنبل، ٣٣، النّسائي، ١٤، وطبقات ابن سعد١٣/ ٤، وحلية الأولياء٧/ ١٩٥، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٧/ ٤٥٢، وفي كنز العمال، للمتقي الهندي٣/ ١٥٤، والإرشاد، المفيد، ٨٣.

(٣) ديوان أبي فراس دار الكتاب العربي ٣٤٧.

إذ قـال يـوم غـديـر خـمّ معلناً: مـن كـنـت مــولاه فــذا مــولاهُ؟
هــذي وصـيّـتـه إلـيـه فـافـهـمـوا يـا مـن يـقـول بــأنّ مـا أوصـاه

في ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام مستفظعاً ما جرى يوم الطف ولّما يمضِ على وفاة النبيِّ نصف قرن من الزمان وقد خص النبيّ أباه، أي الإمام عليٍّ عليه السلام بالوصية يوم غدير خم، إذ تناص تناصاً إشارياً عميقاً في قوله: (لم يسمعوا)، وهي إحالة إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[1]، ثمَّ إنَّ الاستفهام يمنح مؤدّيه سلطة محاكمة الآخر الراضي بالجرم، بل لعلَّه يمنحه تجهيله واستهجانه، وأكد سيبويه (ت ١٨٠هـ) هذا النوع من الاستفهام الذي أُطلق عليه الاستفهام التوبيخي حين قال: (وليس يسأل مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبّخه بذلك)[2]، وجاء الحوار في نصه الشعري بطريقة المناقشة والاستدلال، مناقشة تقوم على الحوار، إذ يعمق البناء الدرامي بالاستفهام.

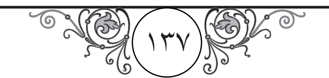
فالاستفهام في ذاته يحمل طابعاً حوارياً، كقوله: أتراهمُ لم يسمعوا؟

ولذا تتعمق قيمته داخل النص، والملاحظ هنا بروز شخصية الشاعر فهو المحاور ولا سيما في البيتين الأخيرين، وهذه ميزة له أبعدته عن النثرية ووسعت مساحة الشعرية في القصيدة، إذ استدعى في نصه الشعري

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨. وينظر: سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٢) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) ط٣ ١/ ١٧٢، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.



حديث الولاية في قول الرسول صلَّى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» بآلية الاجترار، وتشمل هذه الآلية الاقتباس الحرفي التي لا تمرَّ وتهضم في ذاتية الأديب ليجري عليها بعض التحويرات حينما انتقلت النصوص من النص السابق إلى النص اللاحق فلم تجرِ عليها بعض التغيرات، فالشاعر ضمَّن نصَّه بتناصٍّ من الحديث ومزجه في نصه لإثبات فكرته، إلَّا أنَّنا نجده استعمل تغييراً طفيفاً حينما حذف (هاء التنبيه) في لفظة (فذا)، فعند الإحالة إلى السياق الذي استمدّ منه الاستشهاد أو التلميح، يصبح في الواقع من الممكن إدراك كلِّ ثرواته[1].

١٠- ومن الحواريات البديعة القصيدة المشهورة للصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) حيث بنى الخمسة والعشرين بيتاً في قصيدته على الفعل (قالت) في صدر كلِّ بيت، والفعل (فقلت) في أول العجز المقابل له، بفائه الدالة على الترتيب والتعقيب، ومن آخرها (البسيط):

قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غداً؟ فقلتُ: من بيتهُ في أشرف الحللِ

قالت: فمن ذا لواء الحمدِ يحمله؟ فقلتُ: من لم يكن في الروع بالوجلِ

ويلحظ استعمال التاء الساكنة الدالة على التأنيث مع فعل السؤال، فهو وإنْ جعل الجواب من حصة الرجل لكنَّ فضيلة السؤال هي التأسيس، ولم أجد فيما اطلعت عليه من أشرك المرأة في قضية فكرية بمثل هذا النص، حيث يحسب له رفع شأنها بالمشاركة، ولعلَّ الشاعر من

(١) ينظر: مدخل إلى التناص، ناتالي بييقي غروس، ترجمة: عبد الحميد بورايو، ١٢٩.

القلائل الذين أجابوا عن الأسئلة المفترضة بهذه البنية الفنية المحبوكة.

١١- ومن الحوار مع الإمام عليه السلام في قبره قول ابن الحجاج البغدادي (ت٣٩١هـ)[١]:

إنِّي أتيتك يا مولاي من بلد	مستمسكاً من حبال الحق بالطرف
لأنَّك العروة الوثقى فمن علقت	بها يداه فلن يشقى ولم يخف
وإنَّ أسماءك الحسنى إذا تُليت	على مريض شفي من سقمه الدنف

حيث استدعى الشاعر في أبياته أكثر من آية قرآنية فتداخلت في نصوصه الشعرية بآلية التكثيف، فاستدعى الشاعر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[٢] بمزج النص القرآني في نصه الشعري، وأعاد بناءه وتوظيفه ليقول ما يريده، لا ما كان يقوله النص القرآني، وفي الاستدعاء مسارات تتعدد ودلالات تتنوع حسب قدرة استخدامها، ويتضح ذلك في تلاصق الصورتين واندماجهما في بنية واحدة (السابق واللاحق)، أي عن طريق المحاكاة الذي تتضمنه كلَّ كتابة، ليس هناك نصٌّ لا يمتح تماماً ممَّا سبقه، ليس هناك أي كاتب يمكن أن يدّعي خلقاً غير مسبوق، حيث ذاكرة قرّائه لا تنتقل لأية جهة[٣].

---

(١) الغدير ٤/ ٨٨.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٢، ووردت أيضاً في سورة البقرة، الآية: ٢٥٦ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

(٣) مدخل إلى التناص، ناتالي بييقي-غروس، ١٥٦.



ويشترط في الاستدعاء والاستلهام: التوظيف والتضام[1]. ونجد أَنَّ دلالة قوله: (مستمسكاً... لأَنَّك العروة الوثقى) مطابقة لدلالة قوله تعالى: ﴿ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ وهي التمسك بآل البيت الأطهار عليهم السلام، ووفق الشاعر باستخدامه آلية التوليد التي تقوم على إضافة معنى جديد، يعني أنّ النصَّ اللاحق يستولد النص السابق معنى إضافياً ويتحرك من خلاله، وأيضاً نجده قد كشف في نصه حينما مزج بين آيتين مختلفتين في مضمونهما، أولاهما قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ والأُخرى في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[2]، إذ يمزج الشاعر بين آيتين في مكان واحد بغية الوصول إلى الحد الأقصى من التوتر في المجال الدلالي، فاستدعى الشاعر هذه الآية في صدر البيت الثاني بعد تحويرها بالمعنى، إذ دلالتها في النص القرآني تختلف عن دلالتها في النص الشعري، ففي النص القرآني يأتي الدعاء بأسماء الله الحسنى، أي دلالة عامة، أمَّا في النص الشعري فيأتي الدعاء بأسماء الإمام عليه السلام، أي: أصبحت دلالة خاصة.

١٢- وقال أبو محمد طلحة العوني (ق ٤هـ)[3]:

(١) ينظر: التناص والأجناسية في النص الشعري، خليل الموسى، ٨٥، الموقف الأدبي، مجلد ٢٦، ع٣٠٥، ١٩٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ ووردت أيضاً في سورة الإسراء، الآية: ١١٠ وسورة طه، الآية: ٨.

(٣) الغدير ٤/ ١٨١.

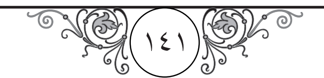


فقال رسول الله: هذا لأُمَّتي هو اليوم مولى، ربّ ما قلتُ فاسمع
فقام جحودٌ ذو شقاق منافقٌ ينادي رسول الله من قلب موجع

أحال الشاعر في نصه الحواري الشعري إلى نص الآية القرآنية الكريمة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[(١)]، إذ قيل إنَّ السائل وهو الحارث بن النعمان الفهري، لَّما بلغه قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام: «**من كنت مولاه...**»، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح، ثمَّ قال: يا محمد أمرتنا عن الله أنْ نشهد أن لا اله إلَّا الله وأنَّك رسول الله فقبلناه منك... إلى قوله: ثمَّ لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمّك علينا، أفهذا شيء منك أم من الله؟ فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «والله الذي لا إله إلَّا هو، ما هو إلَّا من الله»، فولى الحارث وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، وائتنا بعذاب أليم، فو الله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله، فنزلت: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[(٢)].

فما عرضته السيرة في هذا النص يشبه إلى حد كبير (العمل الدرامي الذي تتعاون البنية فيه بمختلف أركانها، فيما بينها عبر تصوير فني وعبر خيط دراميٍّ نامٍ، تمتزج فيه العاطفة بالفكرة، والشكل بالمضمون)[(٣)]، وقد بنى الشاعر نصَّه على متابعة هذه العناصر الدرامية مجتمعة، فإنْ لم

(١) سورة المعارج، الآية: ١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨/ ٢٨٧، ٢٨٩.
(٣) ينظر: البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي، ١٠.



تجتمع تلك العناصر؛ لا تبرز الحركة ولا يشتد الصراع، فلا ريب أنَّ الدراما القائمة على التناص تستمد سمة درامية من المصدر الذي استلهمت منه، فالشاعر إذ استمد الصراع من أحداث السيرة، وبنى قصيدته بناءً دارمياً سردياً، يكتسب ملامح السيرة، ويتناص معها لفظاً ومعنى كان ذلك سبيلاً لإقامة الصراع داخل النص الشعري.

ويلاحظ أنَّ الشاعر استعمل الفعل (ينادي) للدلالة على رفع الصوت من جهة وتنويعاً من جهة أُخرى، لئلا يتحول الأمر إلى قال وقلت، ثمَّ صاغ نداءه بصيغة الاستفهام وهو في ذاته يحمل طابعاً حوارياً، وتتعمق قيمته داخل البناء الدرامي ويعمق هو البناء.

١٣- وقال البشنوي الكردي (ت٣٨٠هـ)[(١)]:

وقد شهدوا عيد الغدير وأسمعوا　　　مقال رسول الله من غير كتمان

مستعملاً أكثر من مؤكد: حرف التحقيق (قد) لتأكيد ما ورد من أفعال، استعمال الفعل (أسمع) مزيداً بالهمز في أوّله للدلالة على التعدية فهم قد أسمعوا، أي: بالتأكد من سماعهم، ثمَّ أكد كلامه بتأكيد ثالث وهو نفي الكتمان، ويلاحظ تسميته خطبة النبيِّ يوم الغدير (مقالاً)، ويوم الغدير بما ليس معتاداً إذ سماه (عيد الغدير) واصفاً ما جرى في أصل الواقعة، ولعلَّه يعكس ألفاظ زمانه على الزمن السابق.

---

(١) الطليعة من شعراء الشيعة للسماوي محمد ١/ ٥٣.

١٤- ومن الحوار قول أبي النّجيب الطاهر (ت١٠٤هـ)[١] (الرجز):

يا جاحدي الموضع واليوم وما	فاه به المختار، تبّاً لكمُ
فأنـــزل الله تعالى جدُّه:	اليوم أكملت لكم دينكمُ
واليوم أتممتُ عليكم نعمتي	وإنّ من نصب الإمام النِّعمُ

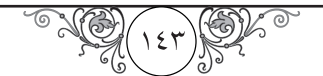
مفتتحاً بالنداء وهو باب للحوار، مخاطباً الجاحدين والجحود يعبّر عنه بقول من الحوار، وإنّما جحدوا أُموراً ثلاثة: مكان الغدير وزمانه وقول النبيِّ فيه، وقد عبّر قوله بالفعل (فاه) للدلالة على الصيغة الصوتية للبلاغ وهي ممَّا لا يسع إنكارها مجتمعة وتواتر نقلها، فإذ كان الجحود من رأس، فقد قطعوا الحوار من جهتهم؛ ولذا دعا عليهم بالمصدر (تباً) كأنَّه يذكرهم بما أَنزل في أبي لهب من دعاء: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وقد ألمح إلى تناصِّ النصِّ القرآني في تركيب: ﴿تَعَالَى جَدُّهُ﴾ موحياً بقول الجن: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إذ ندر استعمال لفظة (جَدٌّ) بمعنى: حظ، مع هذا الفعل إلَّا ما ورد في القرآن ثمَّ ذكّرهم بنصّ من القرآن قاطعاً لحوار لن يؤدي إلى نتيجة.

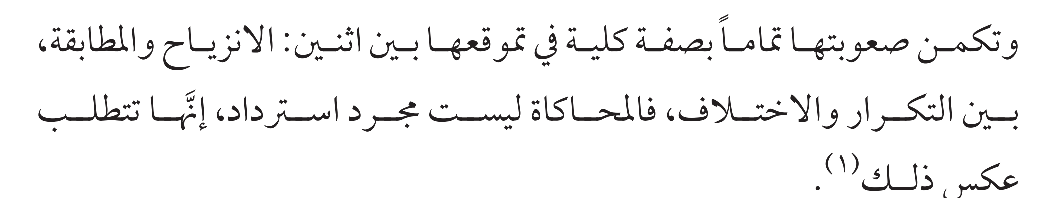
مستدعياً نصَّ الآية القرآنية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢] مازجاً إياها بالنصّ الشعري، متلاحماً ومتلاصقاً ليؤدي الغرض الذي من أجله يسعى الشاعر في إيصال فكرة أراد أنْ يقررها، فحاكاها إذ (المحاكاة ليست مجرد استنساخ،

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ١/ ٥٢٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.





وتكمن صعوبتها تماماً بصفة كلية في تموقعها بين اثنين: الانزياح والمطابقة، بين التكرار والاختلاف، فالمحاكاة ليست مجرد استرداد، إنَّها تتطلب عكس ذلك[١].

ولذا وسع الشاعر مفسراً النعمة وتأثيرها بقوله: (وإنَّ من نصب الإمام النعم) مؤكداً ومحتجاً بأنَّ (النعم) سببها نصب الإمام ولا تأتي إلَّا بتنصيب عليٍّ عليه السلام إماماً، فالشاعر حين يستلهم التراث لا بُدَّ أَنْ يمتصه ويتمثله ويعيد صياغته بما يلائم متطلبات عصره، ولكنْ قد يلجأ الشعراء في بعض الأحيان إلى اقتباس آيات قرآنية وأبيات شعرية وشعارات سياسية وحكم وأمثال وتضمينها في قصائدهم كما هي بلفظها ومعناها، سواء وضعها بين أقواس أَم لم يضعها لأسباب التمثل والإعجاب، وإنَّ هذه الآلية لا تمرَّ أو تهضم في ذاتية الأديب ليجري عليها بعض التحويرات، وإنَّما انتقلت النصوص المضمنة حرفياً من النص السابق إلى النص اللاحق دون إجراء أي تغيّر فيها، ومتى ما تم التصرف في المادة المقتبسة خرجت من هذه الآلية ودخلت في آليات أُخرى سنتحدث عنها لاحقاً، وتشمل هذه الآلية الاقتباس الحرفي وهو (أنْ يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنَّه منه)[٢].

---

(١) مدخل إلى التناص، ١٥٧.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الإمام الخطيب القزويني، تحـ: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، ٥٧٥.

١٥- ومن الحوار قول أبي محمد الصوري(ت٤١٩هـ)[(١)]:

جحدتم موالاة مولاكم	ويوم الغدير بها مؤمنونا
وأنتم بما قاله المصطفى	وما نص من فضله عارفونا
وقلتم: رضينا بما قلتهُ	وقالت نفوسكم: ما رضينا

معبراً عن القول المستبطن للحوار بأفعال تؤدي القول بطريقة غير مباشرة فالجحد قول وقد جعلها في أوّل البيت، والإيمان قول وقد جعله في آخر البيت ولا يخفى ما بينهما من مطابقة تكشف البون الشاسع بين الموقفين: الجديد بعد النبيِّ والقديم قبلهُ، ولعلَّ الشاعر قصد التمهيد للمطابقة الأُخرى بطباق السلب وهي الأساس؛ لأنَّها تفسر ما أظهروه من طاعة يوم الغدير، فطابق بين قولهم الظاهري بالرضا وقولهم الباطني بالسخط أو نفي الرضا، وكان تناقضهم جلياً، وربما استعمل الفعل (نصّ) للتعبير عن القول في عطفه على الفعل (قاله) ليؤكد الحوار ويقدمه بصيغ متنوعة.

ولعلَّ الشاعر آثر استعمال صيغة الجمع (نفوس) دون (أنفس) المستعملة بكثرة في الموروث الديني، للدلالة على كثرة المخاطبين بما يتناسب مع ذمِّ الكثرة في ذلك الموروث نفسه، أي أنَّه خالف الموروث في اللفظ ولكنَّه طابقه في المعنى.

١٦- ومن الحوار قول ابن جبر المصري (ق٥هـ)[(٢)]:

---

(١) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٨/ ٩٨.

(٢) الغدير ٤/ ٩٨.



قالوا: أغثنا يا بن عم محمد	فالماء يؤذننا بوشك هلاك
فأتى الفراتَ فقال: يا أرض أبلعي	طوعاً بأمر الله طاغي ماك
فأغاضه حتى بدت حصباؤه	من فوق راسخة من الأسماك

متناصاً مع الآية المباركة: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾ بفعلها المتعدي ومفعوله الواضح ﴿مَاءَكِ﴾ من غير فصل بما أثار إعجاب الجرجاني بهذا التركيب فضربه مثلاً في جمال النظم، محوراً إلى تركيب غلب عليه التكلف بالفصل بين الفعل ومفعوله بعد تسهيل الهمز حتى صارت (ماك)، وجعلها مضافة لصفتها (طاغي) حيث أصل الكلام: ابلعي ماءك الطاغي طوعاً بأمر الله.

وبهذا الفصل بين الفعل ومفعوله ظهرت آلية التمطيط: هو عملية توسيعٍ للنص وتمددٍ في وحداته البنائية اللفظية أو التركيبية فالتمطيط يفجر مركز النصِّ ويخصبه.

وإنْ كان قد حوّر ذلك المقطع من النصّ القرآني فلم يدعه فيما بقي، فجاء بالفعل المجرد (غاض الماء) مزيداً بالهمز في أوّله للدلالة على تدخله المباشر في إنجاز الأمر، واستعمل آلية التمطيط في المبالغة بتصوير مشهد غيض الماء، وكان بدو الحصباء وهي الثقيلة، فترسب في القاع علامة على زوال الماء تماماً أو يكاد.

١٧- وقال الملك الصالح (ت٥٥٦هـ)(١) (البسيط):

---

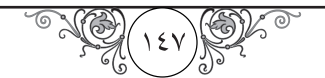
(١) الغدير ٤/ ٤٥٥ ٤٥٦.

فقال: هـذا وصيّـي والخـليفـةُ من بعدي وذو العلم بالمفروض والسننِ
قالوا: سمعنا، فلمّا أن قضى غدروا والطهرُ أحمدُ ما واروه في الجَبَنِ[1]

مستعملاً الحوار مختصراً مكثفاً يحيلنا إلى أحداث تاريخية مفصلة استدعاها الشاعر في نصه بآلية التكثيف التي تناسب قصيدة الحوار، فالمحاور الرئيس هو شخص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والصحابة هم المستمعون، وعدد رسول الله صلَّى الله عليه وآله في هذا الحوار بعض مناقب الإمام، وأَوَّلها كونه وصياً وخليفة من بعده فكان الجواب منهم، أي: الحوار الإرجاعي من الصحابة مقتضباً مقطوعاً، حيث اعتاد العرب استعمال عبارة جاهزة في مثل هذه الحال تجمع بين الفعلين: سمعنا فاطعنا، فاقتصروا على الفعل الأَوَّل وليس شيئاً إلَّا أنْ يتبعه آخر تعقيباً بما يكشف عن نية العصيان فأشار الشاعر لـ (بيعة الغدير) بالفعل (غدروا) المشترك معه في المادة المعجمية نفسها، وكان لهذه الأبيات دوافع حجاجية استعمل فيها الشاعر وسيلة الحوار للبرهنة على صحة ما يذهب إليه في اعتقاده.

بدا الحوار الإرجاعي مقطوعاً بطريقة غير اعتيادية حتى أنَّهم لم يقولوا شيئاً، بل فعلوا وتركوا، فعلوا ما كان محرماً عليهم وهو الغدر ونكث البيعة، وتركوا واجباً عليهم وهو دفن النبيِّ، جامعاً بين الأمرين للدلالة

(١) الجبن: بفتحتين جمع جبانة: الصحراء وتسمى بها المقابر، لأنها تكون في الصحراء، تشبيه للشيء بموضعه، ينظر: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥) مادة (جبن)، ٢٢٤.





على السرعة.

فامتصَّ الشاعر نصَّ الحديث في قوله: (هذا وصيي..) ومزجه في نصه ليخرج لنا نصاً جديداً يتناسب وما أراده الشاعر من إيصال فكرة أو رؤية تتناسب مع موقفه، وجاء بعد ذلك بآلية التمديد حينما وسع في المعنى في قوله: (وذو العلم بالمفروض والسنن) إذ تقسم الأعمال في الفقه إلى فرائض وسنن، أي: واجبات ومستحبات، ولعلَّه استبدل لفظة الفرائض بالمفروض مسايرة للوزن من جهة، وإشعاراً بكونها مفروضة باستعمال اسم المفعول من جهة أُخرى.

المصادر والمراجع

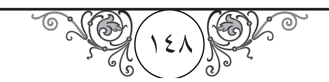
١ - القرآن الكريم.

٢- أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأَوَّل الهجري حتى القرن الرابع عشر تأليف: السيد جواد شبر منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الأولى ١٩٦٩.

٣- أدونيس منتحلا - دراسة في الاستحواذ الأدبي - كاظم جهاد، مكتبة مدبولي ١٩٩٣م.

٤- أساليب مستعارة من الفنون الأُخرى في شعر الوطن المحتل، د. صالح أبو أصبع، مجلة الأقلام عدد١٢، أيلول ١٩٧٧.

٥- إشكال التناص الشعري-دراسة في توظيف الشخصيات التراثية-



أحمـد مجاهـد.

٦- الأُصـول الدراميـة في الشـعر العـربي، د. جـلال الخيـاط، دار الرشـيد للنـشر، بغـداد، ١٩٨٢(د. ط).

٧- أعيـان الشـيعة، السـيد محسـن الأمـين العامـلي (ت١٣٧١هــ)، مطبعـة الإنصـاف، بـيروت- لبنـان، ط٢، ١٩٤٨م.

٨- الإيضـاح في علـوم البلاغـة -المعـاني والبيـان والبديـع- الخطيـب القزوينـي محمـد بـن سـعيد (ت٧٣٩هــ)، تحقيـق: د. محمـد عبـد المنعـم خفاجـي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٩٨٥م.

٩- تشريـح الدرامـا، مارتـن أسـتن، ترجمـة يوسـف عبـد المسيح ثـروت، منشـورات مكتبـة النهضـة، بغـداد، ١٩٨٤، ط٢.

١٠- التنـاص الدينـي في شـعر السـيد الحمـيري، رسـالة ماجسـتير في الجامعة المسـتنصرية/ كليـة الآداب لعبـد الأمـير مذكور العبـودي ٢٠١٣م.

١١- التنـاص في الأدب والنقـد، شـعر محمـد جميـل شـلش أُنموذجـاً، بشرى محمـود إبراهيـم القيـسي رسـالة ماجسـتير جامعـة بغـداد، كليـة التربيـة للبنات، ٢٠٠٣.

١٢- التنـاص والأجناسـية في النـص الشـعري، خليـل الموسـى، الموقـف الأدبي، مجلـد ٢٦، ع٣٠٥، ١٩٩٦.

١٣- حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصفيـاء، لأبي نُعيـم الأصفهـاني أحمد بـن عبـد الله (ت ٤٣٠هــ)، السـعادة - مـصر، ١٣٩٤هــ - ١٩٧٤م. ودار الكتـاب



العربي - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٤- ديوان أبي فراس الحمداني شرح الدكتور خليل الدويهي دار الكتاب العربي - بيروت ط٢ ١٩٩٤م.

١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت٥٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠٠٥م.

١٦- صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠٠٣م.

١٧- الطليعة من شعراء الشيعة للشيخ محمد السماوي، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي ط١، ٢٠٠١م.

١٨- عليٌّ عليه السلام في الكتاب والسنة والأدب حسين الشاكري، مراجعة فرات الأسدي، نشر المؤلف، مطبعة ستاره، قم المقدسة، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للعلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م.

٢٠- قراءات أُسلوبية في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

٢١- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي

(ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد- العراق، ١٩٨٤م.

٢٢- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) ط٣ تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٣- كنز العمال عن أحاديث الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد- الهند، ١٣١٢هـ، وط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٥هـ.

٢٤- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩م.

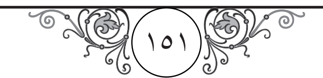
٢٥- مدخل إلى التناص، ناتالي بييقي غروس، ترجمة: عبد الحميد بورايو.

٢٦- مسند أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) طبعة مصر (٦) تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٢٧- معجم الشعراء الناظمين في الحسين لمحمد صادق الكرباسي دائرة المعارف الحسينية ط١.

٢٨- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (ت٥٠٢هـ)، أعدّه للنشر وأشرف على الطبع، محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

٢٩- مناقب آل أبي طالب محمد بن علي بن شهر آشوب السروي





(ت٥٨٨هـ)، تحقيق لجنة من الأساتذة في النجف الأشرف، سنة النشر ١٩٥٦م المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، وطبعة إيران.

٣٠- موجز الأدب العربي وتاريخه في العصر الإسلامي والأُموي د. محمد علي آذرشب، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، ط١، ١٤١٦م.

الحِجاج في شعر الغديريات (دراسة لغوية)

د. رياض ساجت سالم الزركاني

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين وصلِّ اللهم على محمَّد وآله الطيبين الطاهرين

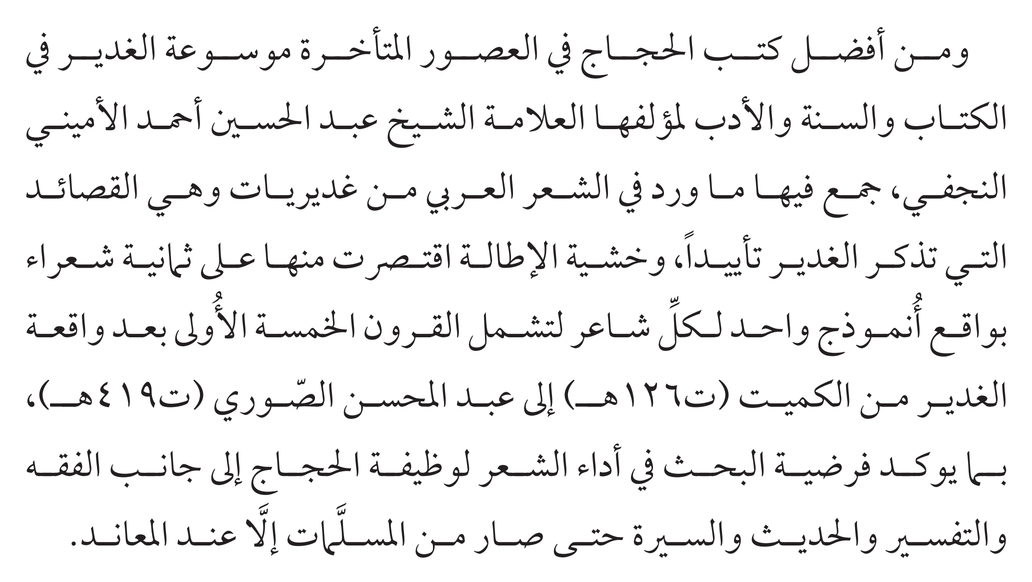
وبعد

فالحجاج مصدره البلاغة الجديدة، وأَوَّل ظهور له كان في «مقال في البرهان» لـ(بيرلمان) وقد اعتمده محاولة لإعادة البرهان وتأسيسه أو للحاجة الاستدلالية، حيث يقدم (بيرلمان) تعريفاً للحجاج يركز فيه على وظيفة هذا الحجاج وهي (حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع).

وحقل الحجاج هو الخطاب، إذ الحجاج يوصف بأنَّه طبيعة في كلِّ خطاب، والأصل في الحجاج هو صفته المجازية، بناءً على أنَّه لا حجاج بغير مجاز.

ويغدو الحجاج سمة في الخطاب وطابعاً فيه ووظيفة له ووسيلة لتحقيق هدفه، وهذا الشيء الذي دفع البلاغة الجديدة للاهتمام بالحجاج، بوصفه (وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته، وانتقاداته وتوجيهاته).





ومن أفضل كتب الحجاج في العصور المتأخرة موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب لمؤلفها العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، جمع فيها ما ورد في الشعر العربي من غديريات وهي القصائد التي تذكر الغدير تأييداً، وخشية الإطالة اقتصرت منها على ثمانية شعراء بواقع أُنموذج واحد لكلِّ شاعر لتشمل القرون الخمسة الأُولى بعد واقعة الغدير من الكميت (ت١٢٦هـ) إلى عبد المحسن الصّوري (ت٤١٩هـ)، بما يوكد فرضية البحث في أداء الشعر لوظيفة الحجاج إلى جانب الفقه والتفسير والحديث والسيرة حتى صار من المسلَّمات إلَّا عند المعاند.

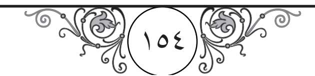
فإنْ وفقني الله سبحانه لذلك فهي منّة منه، وإنْ أخطأت أو قصّرت فالخطأ والتقصير من طبيعة البشر، وأشكر من نبّهني لما فاتني مع وعد التبديل لما أرشد إليه الدليل، وحسبي أنِّي حاولت والله من وراء القصد.

الحجاج في اللغة:

جعل ابن فارس مادة(ح، ج، ج) في أربعة أُصول، أولها القصد، وكلُّ حجّ قصد... ثمَّ اختصّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك... ومن الباب المحجّة وهي جادّة الطريق وممكن أن تكون الحجّة مشتقة من هذا؛ لأنَّها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب، يقال: حاججت فلاناً فحججته، أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج، والمصدر الحجاج)[1].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، رتبه



ويظهر من هذا أنّ الحجاج يكونُ لخصومة، وهذا ما دّلت عليه كلمة «غلبة» وتكون الغلبة في الكلام والخطاب للذّي يقيم الحجة على صحة ما يدّعي.

وقد ورد في أساس البلاغة (حاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمهُ محجُوج)[1] ومعنى «محجوج» أي: مغلوب، والشخص المتكلم الغالب المُحاجِج، والسامع المُحاجَج، المغلوب، أي أنَّه اقتنع بحجة المتكلم، وما يزيد هذا المعنى قوة ما أتى به ابن منظور في لسان العرب: (فالحجة ما دُفع به الخصمُ، ورجلٌ محجاج أي: جدل، والتّحاج التخاصم، واحتجّ بالشيء اتخذه حجّة[2].

وهكذا دأبت المعجمات العربية على إيراد الحجاج بمعنى (غلبه بالحجة حاجّه محاجة وحجاجاً جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكراً فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجّة الدليل والبرهان)[3].

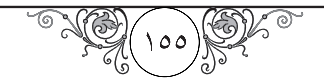
وإذ كان القرآن الكريم كتاب حجاج من الطراز الأول فمن الطبيعي أنْ يستعمل لفظة (حاجّ) ومشتقاتها بكثرة، حيث أورد صيغاً فعلية متعددة

وصححه: إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م، ط١.

(١) أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحيم محمود، ٧٤، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٨

(٢) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور، ٣٨، مادة(ح ج ج)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ١/ ١٠٦-١٠٧، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، ط٢



مثل (تحاجّون)[١] و(يُحاجُّوكُم)[٢] وأفعال أُخرى بما نحن بصدده ثلاث عشرة مرّة في آيات عدّة منها: قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ...﴾[٤]، والصيغة الاسمية الوحيدة (حُجَّة) سبع مرات[٥]، حيث لم ترد صيغة اسمية أُخرى فيه؛ وبهذا يتضح أنَّ استعمال الصيغ الفعلية كان ضعف الصيغ الاسمية، ولعلَّه يعكس صورة الفعل الحجاجي واحتدامه، وقد اتخذه شعراء الغديريات مثلاً في الحجاج في أُسلوبه وحججه وبراهينه.

الحجاج اصطلاحاً:

لقد انتبه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى أهمية الإقناع بوصفه ثمرة للحجاج مبكراً فسماه سلطان الكلام وعارضة الاحتجاج، بما له من مفعول قويٍّ في الاستمالة وجلب انخراط المستمعين[٦]، لذلك ربط البلاغة بالإقناع، إذ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٥-٦٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٦، وسورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٠، وفي سورة الشورى، الآية: ١٦، وفي سورة غافر، الآية: ٤٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٠، سورة النساء، الآية: ١٦٥، سورة الأنعام، الآية: ١٤٩، سورة الشورى، الآية: ١١٥، ووردت (حجتنا) في سورة الأنعام، الآية: ٨٣ و(حجتهم) في سورة الشورى، الآية: ١٦ وسورة الجاثية، الآية: ٢٥.

(٦) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ٦٤.

يقول: (جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة)[1].

وبين الدكتور محمد العمري غرضه من تأليف كتابه الأساس في البلاغة العربية مقرراً: (أنَّ تحليل استراتيجية كتاب البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكلٍّ وضوح أنَّ الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللغوي الشفوي)[2]، ثمَّ لخص الأغراض الإقناعية التي يحققها القول على وفق تصور الجاحظ: وهي (استمالة القلوب وميل الأعناق والتصديق وفهم العقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار والتحريك وحلّ الحبوة)[3].

ولا بُدَّ من توافر شروط معينة عند المحاجِج بيَّنها العمري استناداً إلى خطاب الجاحظ في أنْ يسلّم من العي والحبسة، وتوقف اللسان وضيق الصدر، ومتى وفّر لقوله مقومات الإبلاغ والصحة والإيضاح ووضوح الدلالة والحجة والترتيب.. بعبارة مركزة، لا ينجز مهام الاحتجاج والمناظرة والمنازعة إلّا قول مقنع أي (فصل الخطاب)[4]، فما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذّي يُجسد صورة الخطاب الحجاجي.

أمّا ما يثبت السمة الإقناعية لمشروع ابن وهب البلاغي، أنَّه لا يفتأ

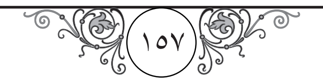
---

(١) ينظر: البيان والتبيين، ١/ ٨٨.

(٢) ينظر: المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، ١١.

(٣) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ١٩٨، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- بيروت١٩٩٩.

(٤) ينظر: بلاغة الإقناع، ٦٥.



على امتداد البرهان يردد بأنَّ الحجة هي الوسيلة المتاحة في تحصيل المعرفة أو تحقيق الاعتقاد، في «التثبت» أو «النفي» وفي «تصديق المشتبه» أو «اكتشاف الباطل» لا غرو أن يكون لفظ (الحجة) ومشتقاته الأكثر تواتراً في الجهاز المفاهيمي الذي توسله، ممَّا يصح معه أنْ يسمى بيانه بيان الحجة[1].

أَمّا السكاكي فقد جعل طالب الصورة البيانية يتوخى في مسلكه، المسلك الذي يتوخاه صاحب الاستدلال، وغير خافٍ أنَّ ربط البيان بالادعاء والفاعلية الاستدلالية، اتجاه ستركز عليه المباحث الحجاجية المعاصرة ولاسيما بيرلمان، وإِنَّ الدكتور طه عبد الرحمن في متابعته للاستعارة، بوصفها أبرز وجه بياني سينتهي إلى أنَّ (القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي)[2]، فضلاً عن أنَّه عَدَّ الادعاء الأساس الحجاجي لأيِّ وجه بياني[3].

و(الحجة في معناها السائر هي إمَّا تمشٍ ذهني بقصد إثبات قضية أو دحضها، وإمَّا دليل يقدَّم لصالح أُطروحةٍ ما أو ضدّها)[4]، وعلى العموم فإنَّ الاستدلال، والبرهان، والإقناع هي مصطلحات تمثل وجوه الحجاج من جهة، وتعرف سمات الخطاب الحجاجي بهم من جهة أُخرى، بالنظر

(١) ينظر المصدر نفسه، ٧٣.

(٢) ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط١، ١٩٩٨، ٣١٠.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٣٠٤-٣١٣.

(٤) التداولية والحجاج مداخل نصوص، صابر الحباشة، ٦٨، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠٠٨

إلى المتكلم أهو يستدل؟ أو يبرهن؟ أم أنَّه يقنع[1]؟

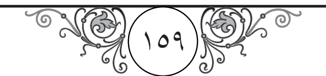
والحجاج يُطلب به الإثبات والإقناع، والحجاج لا يتم توجيهه إلَّا في سياق نفسيٍّ اجتماعيٍّ، إنَّ الحجاج ينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة قوية أو ضعيفة، موافقة للخطاب الذي نتوجه إليه، ولا يقوم التفكير الحجاجي على حقائق عامة ولكن على آراء تهتم بأُطروحات من كلِّ طائفة، فمجال تطبيق نظرية الحجاج يتجاوز مجال تطبيق نظرية البرهنة أيّما تجاوز، ذلك أنّ الحجاجات تنهض على كلِّ ما يمكن أنْ يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم قيمة أو حكم واقع أو موافقة نظرية أو مناسبة قرار، توفر البرهنة أدّلة ضرورية، أمّا الحجاج فيقدّم أدلة لصالح أُطروحة محدودة أو ضدّها)[2].

ومن بواعث الحجاج التي تُعدّ المحرك الأَوَّل له، وهو الاختلاف، فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فلا نحاجج في أُمور حقيقية يقينية راسخة نحو الحقائق الرياضية مثلاً، أو في أمر مأخوذ على أنّه أمر صارم واجب النفاذ، وإنّما يكون الحجاج كما يقول بيرلمان: فيما هو مرجح، وممكن، ومحتمل، وأنَّ الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أنْ تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، بحيث تقرر ما تقرره

---

(١) مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، أ. عباس حشاني، ٢٧٥، مجلة المخبر، العدد التاسع، ٢٠١٣

(٢) التداولية والحجاج، مداخل نصوص ٦٨، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.



أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة، التي لا تقبل شكاً، أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحة ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقة واحدة أو مطلقة، بل لها حقائق متعددة ومتدرجة، وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأُخرى أو أنْ تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب[1].

فكانت تقسيمات (بيرلمان) لوظائف الحجاج هي: الإقناع الفكري الخالص ثمَّ الإعداد لقبول أطروحة، وأخيراً الدفع إلى الفعل.[2] ومن هنا كان الحجاج عملية تشتغل في منطقة بعيدة عن الإكراه والأخذ بالعنف، إذ إنَّ ذلك يخرجه من دائرة المحاججة التي تعتمد في أغلبها على الحوار، أو إلقاء الحجة في القول الذي يؤدي إلى الإقناع[3].

ثمَّ إنَّ منطقة الاشتغال الحجاجي يقع على المتلقي وتكمن في جانبه العاطفي، حتى إذا تمكنت منه وأرضخته بالحجة إلى ما تريد، استطاعت أنْ تقوده حيث تشاء من التصديق والإذعان[4].

إذ لا يعتمد الحجاج بالمطلق على التأثير بالفعل، بل الوجدان والنفس،

---

(١) البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، ١٠٦، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد أمين الطلبة، ٢٤، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: التناص الديني في شعر السيد الحميري، عبد الأمير العبودي، ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه ١٣٢.

لأنَّ الإنسـان متشـكل مـن الأحاسيس[١].

فالحجـاج: لا بُـدَّ أنْ يسـتند (إلى أقـوال هـي شـواهد، وترتبـط تحديـداً في الـتراث العـربي الإسـلامي بالآيـات القرآنيـة والحديـث النبـويِّ والأبيـات الشـعرية والأمثـال والحكـم)[٢]، وهـي عـلى وفـق الدكتـور محمـد العمـري (حجـج جاهـزة تكتسـب قوتهـا مـن مصدرهـا ومـن مصادقـة النـاس عليهـا وتواترهـا).

إذ يـرى الدكتـور عبـد اللطيـف أَنَّ الحجـاج كان في الـتراث القديـم بالقـرآن والشـعر أكثـر، أمَّـا الحديـث فلـم يكـن اسـتدعاؤه إلَّا لمامـاً[٣]، أَمَّـا الدكتـور طـه عبـد الرحمـن يسـمي الحجـاج بـالقرآن بـ(الحجـة العليـا)، ممَّـا يجعـل الفعـل الحجـي الـذي يتـم بـه أكثـر إقناعـاً، فـكان الشـاهد القـرآني في أعـلى السـلم الحجاجـي، فهنـاك حجـاج قـرآني يعـم المناظـرات السياسـية والدينيـة والعلميـة[٤]، فهـذه الآراء نجدهـا تناقـض مـا ذكـره الإمـام عـليٌّ عليـه السـلام حينـما بعـث ابـن عبـاس إلى الخـوارج فقـال: «لا تجادلهـم بالقـرآن فإنَّـه حمّـال وجـوه» أراده أنْ يحتـج بالحديـث، لأنَّ القـرآن فيـه المحكـم والمتشـابه.

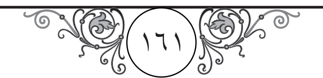
---

(١) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى ٧: باتريك شارودو، ترجمة د. أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط١.

(٢) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ٢٣٣، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣م

(٣) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، ٢٣٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٢٣٣- ٢٣٥.



فالحجاج في التراث العربي لم يكن غائباً، بل هو حاضر بقوة، إذ يعرّفه الزركشيّ(ت٧٩٤هـ) فيقول: (وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه)[١]، (فالحجاج إذا ما تتبعنا معناه في البلاغة العربية فهو يطابق معنى البيان، كما يطابق المقولتين الشهيرتين (لكلِّ مقام مقال) و(مطابقة الكلام لمقتضى الحال)[٢]، والاحتجاج محور عقلي يقوم على إيراد الحجج والبراهين للاستدلال على صحة الفكرة وإبطال ما يضادها بالأدلة العقلية والنقلية.

وقد انبثق عن هذا المحور الموضوعي محور إبداعيٌّ في الشعر، وتجلى الاحتجاج في الغديريات بصورة واضحة بوصفه طريقاً لإثبات أحقية الإمام عليٍّ عليه السلام في الوصاية والخلافة والولاية، وهذا المحور يكاد يكون من المحاور المهمة لأنَّها تعالج قضية خلافية، ويختلف ذلك من شاعر إلى آخر[٣]، فكان للحجاج حضور كبير في شعر الغديريات بوصفها أشعاراً تتحدث في واقعة كثر الجدال فيها، فكان من الواجب على الشعراء وهم جزء من معركة الجدل التي شغلت مساحات واسعة من الفكر العربي أنْ يستندوا إلى العقل والمحاججة؛ لذا كان شعراء الغدير يصرون على انتهاج سبيل الحجة لإثبات حق أهل البيت عليهم السلام، فلم

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد عبد الله الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، ٣/ ٤٨٦، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د، ت).

(٢) ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، أ. عباس حشاني، ٢٤٨، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر.

(٣) ينظر: الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، ٩١.

يدعـوا بابـاً مـن أبـواب الـذود عنهـم إلَّا اقتحمـوه، كـما لم يدعـوا مثلبـة مـن مثالـب خصومهـم إلَّا نشروهـا وأعلنوهـا، فـكان ارتكازهـم في الحجـاج يعتمـد عـلى القـرآن الكريـم والحديـث النبـويِّ الشريـف.

وبحلـول القـرن الثـاني الهجـري كانـت الحاجـة إلى الحجـاج كبـيرة، فهـو السـلاح اللفظـي الـذي يـذود عـن الأحـزاب والفـرق التـي انتـشرت عـلى امتـداد السـاحة الإسـلامية آنـذاك، ولاسـيما بعـد اتضـاح آرائهـا وأفكارهـا في هـذا القـرن اتضاحـاً كبـيراً، فـكان الشـيعة والأُمويـون والزبيريـون والخـوارج وغيرهـم يدافعـون عـن عقائدهـم بحـدِّ اللسـان كـما هـو بحـدِّ السـيف[1].

- ومن الحجاج قول الكميت (ت١٢٦هـ)[2] (الطويل):

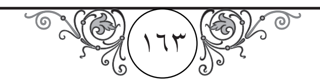
وردّم أبـوابَ الـذيـن بنـى لهـمْ بـيـوتـاً سـوى أبـوابـه لم يُـردَّمِ

احتـج في هـذا البيـت بحديـث سـدِّ الأبـواب عـن زيـد بـن الأرقـم، قـال: (كان لنفـر مـن أصحـاب رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه أبـواب شـارعة في المسـجد، فقـال يومـاً: (سـدّوا هـذه الأبـواب إلَّا بـاب عـليٍّ، قـال: فتكلـم في ذلـك أُنـاس، قـال: فقـام رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه فحمـد الله وأثنـى عليـه ثـم قـال: «أمَّـا بعـد، فـإنِّي أمـرت بسـدِّ هـذه الأبـواب غـير بـاب عـليٍّ بـن أبي طالـب، فقـال فيـه قائلكـم: وإنِّي والله مـا سـددت شـيئاً ولا فتحتـه، ولكنِّـي أُمـرت بـشيء فاتّبعتـه»[3]، ليسـتدل بـه في محاججتـه، إذ احتـج عـلى خصومـه

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي- د. شوقي ضيف، ٢٩٠-٣٤٦.

(٢) بحثت عنه في الديوان ولم أعثر عليه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٦٩، وفي فضائل الصحابة رقم ٩٨٥، وفي مناقب علي رقم١٠٩



بالحديث الصحيح للبرهنة على صحة ما ذهب إليه من تفضيل الإمام عليٍّ عليه السلام وأحقيته بالخلافة.

ويلحظ أَنَّ الشاعر أَزاح من الفعل سدّ إلى ما يقاربه في المعنى وهو الردم، ثمَّ استعمل الفعل الجديد مضّعفاً للدلالة على التكثير والمبالغة في التشديد مستثمراً الطباق السلبي في (لم يردّم) ولم يكُ في هذه الحالة إلَّا باب عليٍّ عليه السلام وهو واحد، ولعلّه قد استعمل التضعيف هنا أيضاً للمشاكلة، أو لم يكُ معنياً بسبب النفي فهو نفيٌ للردم مرة واحدة أو مرات كثيرة، ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الشاعر ألمح إلى سبب الاختلاف بين الحالتين ناظراً إلى آية التطهير التي حكمت بطهر أهل البيت عليهم السلام في كلِّ حال وليس كذلك غيرهم وهم يجنبون في بيوتهم بما يجعل وجودهم في المسجد من دون طهر محلَّ حرج.

- ومن الحجاج قول دعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ)[(١)]:

أخي خاتم الرّسل المصفى من القذى	**ومفترس الأبطال في الغمرات**
فإن جحدوا كان الغدير شهيده	**وبدر واحد شامخ الهضبات**

إذ يحتج الشاعر بالأحداث التاريخية والمواقع التي شهدت بطولة الإمام

والنسائي في خصائص علي: ١٣ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٥، وأخرجه الديلمي في فردوس الأخبار في حرف السين بلفظ: (سدّوا الأبواب كلّها إلَّا باب عليٍّ) ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣٤١ و٣٤٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١١٤.

(١) ديوان دعبل الخزاعي ٣٩.

عليٍّ عليه السلام ومآثره في موقعة غدير خم وبدر وأُحد، بغية الوصول إلى الحدِّ الأقصى من التوتر في المجال الدلالي.

- ومن الحجاج قول المفجع (ت نيّف و٣٢٧هـ):

كان في علمه كآدم إذ عُلّـ | مَ شرح الأسماءِ والمكنيا
وكنوح نجا من الهلك لما | سيّر في الفلك إذ علا الجوديّا

إذ استدعى في البيت الأول قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ...﴾[1] فالنص هنا اعتمد على الاقتباس الضمني اعتماداً على نصِّ الآية، واستدعى في البيت الثاني نصَّ قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[2]، واستدعى الآية الكريمة ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[3].

- ومن الحجاج قول أبي القاسم الزاهي (ت٣٥٢هـ):

من قال فيه النبيُّ: كان مع الـ | حق عليّ والحقّ كان معه؟
من سلّ سيف الإله بينهم | سيفاً من النور ذو العلى طبعه؟
من هزم الجيش يوم خيبرهم | وهزّ باب القموص فاقتلعه؟
من فرض المصطفى ولاه على الـ | خلق بيوم الغدير إذ رفعه؟

وقد يشكل الحجاج بالحظر نوعاً من الغلبة والروح الهجومية أكثر ممّا يشكل طرحاً، فلا يكتفي باستحضار النصّ الغائب، بل يعمد لإظهار ما

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

في نفسه بوصفه محاججاً من رغبة في هجاء خصمه، ثمّ إنَّ أساليب الإقناع النمطية لا تشكل في خاطر المتلقي سوى محطات للتذكير والإشارة، بيد أنّ الحظر هو عمليّة إشعار قويّ ووسيلة لا تركن إلى المسالمة في تقديم الحجّة.

وهو في هذا المقطع يفتتح خمسة أبيات بأداة الاستفهام (مَن) متسائلاً مرات عدة، وهو في كلِّ تساؤل منها لا ينتظر جواباً ممّن احتجّ عليه وطرح هذه الأسئلة في ساحته، ليقودنا ويقوده إلى الاستنتاج بأنَّها من الاستفهام التقريري، الذي لا يبحث عن مجهول من المعلومات، بل لا يستعمل غالباً إلَّا ما اشتهر من الأخبار فالمحاور يعرف مسبقاً جوابها لاشتهارها، إذ: (الطبيعة الغالبة للاستفهامات التي تعتمدها المناظرة، استفهامات «محصورة» وليست «مفوضة»[١]).

ومعلوم أنَّ السؤال المحصور هو (ما حصرت فيه الإجابة على المجيب ببعض السؤال، كقولك: أ لحماً أكلت أم خبزاً؟ فقد حصرت عليه أنْ لا يجيبك إلَّا بأحدهما، وهو يماثل ما سماه ميشال ماير سؤال التحديد، ثمَّ إنَّ استحضار سؤال التحديد (المحصور) يؤشر على أنَّ المناظرة، بما هي محاورة، لا يقبل عليها المتناظران خاليي الذهن، بل تجمعهما معرفة مشتركة، أو هما بصدد البحث عن معنى مشترك[٢]، أمَّا المفوض فهو كقولك: ما أكلت؟ فله أنْ يقول ما شاء من المأكولات لأنَّك قد فوضت

---

(١) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ٢١٢.

(٢) ينظر: بلاغة الإقناع، ٢١٣.

الجـواب إليـه)[١].

وهـذا مـن أقـوى أسـاليب الحجـاج، حـين تشـهد للخصـم عـلى مـا في نفسـه فيكـون هـو الشـاهد والخصـم، ولا سـيما وأنَّ الباحثـين في الحجـاج لا يسـتثنون بعـد المسرحـة بوصفهـا وسـيلة إقناعيـة في الحـوار[٢].

ويلاحـظ اسـتعمال التضعيـف في الفعـل (هـزّم) للدلالـة عـلى المبالغـة مـن جهـة، والتناسـق الصـوتي مـع الفعـل الآخـر (هـزّ) مـن جهـة أُخـرى، ولعـلَّ الشـاعر قصـد أنْ يلغـز في إضافـة (خيـبر) إلى ضمـير الجمـع الغائـب (هـم) وهـو الحصـن المعـروف بنسبته إلى اليهـود، وإنَّـما قصـد الإشـارة بطـرف خفـي إلى فـرار بعـض الصحابـة في هـذه المعركـة حتـى يئـس المسـلمون فقـال لهـم النبـي: «غـداً أعطـي الرايـة...».

ومن الحجاج قول أبي الفتح كشاجم (ت٣٥٠ أو ٣٦٠هـ)[٣] (المتقارب):

فـجـدّهـم خـاتـم الأنـبـيـاء   ويـعـرف ذاك جـمـيـع الـمـلـل

ووالـدهـم سـيـد الأوصـيـاء   ومعطي الفقير ومُـردي البطلْ

مستعملاً الضمـير (هـم) للإشـارة الواضحـة إلى أهـل البيـت عليهم السـلام متصـلاً مـع الأسـماء: (جدهـم) و(والدهـم) عـلى قـوة الإمـام عليـه السـلام وشـجاعته أنَّ مـن يرديهـم إنّـما هـم مـن الأبطـال فهـو يأنـف ممّـن دونهـم، وهـو المثـل الأعـلى في القتـال، حتـى أنَّـه يجعلـه الأَوّل في تعليـم القتـال وفنونـه.

(١) البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب، ٩٤.

(٢) ينظر: البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب، ٢١١.

(٣) ديوان كشاجم تح: عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي ١٩٩٧م ط١ ٣٤٤.

- وقال الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ):

مـن كـمـولاي عـليّ زاهـد طـلـق الـدنـيـا ثـلاثـاً ووفى؟

مـن دعـي لـلـطير أن يـأكـلـه؟ ولـنـا في بـعـض هـذا مكـتفـى

محتجـاً بخطبـة الإمـام: يـا دنيـا طلقتـك ثلاثـاً، مسـتعملاً آليـة الإيجـاز في تناصاتـه، بـأنَّ القـول عنـده مشـفوع بالعمـل يصـدق قولـه عملـه التـزم بالزهد إلى آخـر سـاعة مـن حياتـه وهـو الخليفـة عـلى مسـاحة واسـعة مـن الأرض، والطـير لم يكـن القصـد أكلـه ذاتـه، بـل مـا كان مـن دعـاء مـن النبـيِّ للإمـام ليـبرز أنَّـه أحـبُّ الخلـق إلى الله ورسـوله صـلَّى الله عليـه وآلـه.

وهـو في هـذا المقطـع يفتتـح البيتـين بـأداة الاسـتفهام (مَـن) متسـائلاً، وهـو في كلِّ تسـاؤل منهـما لا ينتظـر جوابـاً ممّـن احتـجّ عليـه وطـرح هذيـن السـؤالين في سـاحته، ليقودنـا ويقـوده إلى الاسـتنتاج بأنَّهـا مـن الاسـتفهام التقريـري، الـذي لا يبحـث عـن مجهـول مـن المعلومـات، بـل لا يسـتعمل غالبـاً إلَّا مـا اشـتهر مـن الأخبـار، فالمحـاور يعـرف مسـبقاً جوابهـا لاشـتهارها، إذ: الطبيعـة الغالبـة للاسـتفهامات التـي تعتمدهـا المناظـرة، اسـتفهامات «محصـورة» وليسـت «مفوضـة».

- وقال أبو محمد العوني (ق٤هـ) محاججاً (الرجز):

إنَّ رسـول الله مـصـبـاح الهـدى وحـجـة الله عـلى كـلِّ الـبـشر

جـاء بـفـرقـان مـبـين نـاطـق بـالحق مـن عـنـد مـلـيـك مـقـتـدر

مـبرزاً مناقـب الرسـول الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه أولاً وإن كان النـص أصـلاً في الإمـام عـليٍّ عليـه السـلام فـإنَّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه هـو الأصل

إذ لولاه لم يكن عليٌّ عليه السلام إماماً. ولذا سبق التشبيه البليغ بتوكيد حرفي يقرر هذه الصورة الجميلة التي صاغها في تركيب إضافي بنظام الاستعارة، ملمحاً إلى قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[1] ولعلَّ لفظة مصباح ترمز للتطور التقني في عصره، وإن كان قد بدأ هذا البيت بالتوكيد فقد ختمه باستعمال لفظة (كلّ) للدلالة على الشمول.

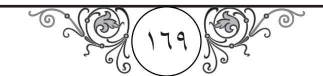
ودلّت لفظة (حجة) على هوية النص الحجاجية في اتخاذ الفن الشعري وسيلة للفكرة، إذ يزينها في قالب شعري لتحظى الفكرة المطلوبة بالرواج، وقد تناص مع القرآن الكريم في استحضار اسم من أسمائه وهو الفرقان، وهو في الوقت نفسه اسم سورة من سوره، لرفد وتعزيز رؤاه من التراث الديني المقدس، وأشار إلى تناص آخر في وصف هذا الاسم بما استعمله القرآن لوصف نفسه بوصفه (قرآناً) في ثلاثة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[2]، وثمانية مواضع لوصف نفسه بوصفه (كتاباً) منها: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[3]، وفي بعض الآيات قد جمع بينهما.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٢) سورة الحجر، آية، ١، يس، آية ٦٩ وينظر: النمل، آية ١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٥، وينظر: سورة الأنعام، الآية: ٥٩ وسورة يونس، الآية: ٦١ وسورة هود، الآية: ٦ وسورة يوسف، الآية: ١، وسورة النمل، الآية: ٧٥ وسورة القصص، الآية: ٢، وسورة سبأ، الآية: ٣.





وأشار إلى تناص آخر مع القرآن الكريم في استحضاره لصفتين من صفات الله عزَّ وجلَّ وهما: (مليك مقتدر) وقد جُمع بينهما متتابعين بعد الظرف (عند) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1] محوراً نصه الشعري بإدخال حرف الجر (من) على الظرف جامعاً بينهما، ولعلّه اضطر لذلك حاشياً بيته بما يتم تفعيلاته وكان يمكن له أن يستعمل أحدهما.

- واحتج عبد المحسن الصّوري (ت٤١٩هـ):[2] (المتقارب)

فهل ترك البين من أرتجيه   من الأولين أو الآخرينا؟

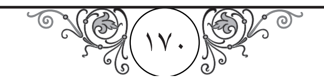
سوى حبّ آل نبي الهدى   فحبّهم أمل الآملينا

مستعملاً الانزياح إذ عدل من النص الحديثي: «اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين» وغيره وفيه: (آل محمّد) إلى قوله في النص الشعري: (آل نبي الهدى) حيث إنَّ الاسم لا يبرز ما يحتاج الشاعر إبرازه في صفتي النبوة، والهدى بوصفها مضافة إلى (نبيّ) فهو سببها وأصلها.

والتحوير يُعدّ من أنواع التناص بأعلى مرحلة من مراحل النص الغائب، فالشاعر يقوم بتغيير للنص المأخوذ (المتناص) بأنْ يحدث عليه عن طريق القلب أو التحوير، إيماناً منه بعدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلف الأشكال والكتابة، ولإثارة الدهشة والتساؤلات

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) ديوان الصوري ٢/ ٦٨.



عند القارئ الذي يعمل على تأويل هذا القلب أو التحويل عند الإجابة عن سؤاله لماذا غيّر الشاعر هذا النص؟ ممّا يدفع الشاعر وهو يصوغ نصه صياغة جديدة إلى تناسي بعض الاعتبارات وخاصة عندما يتعلق الأمر بنصٍّ دينيٍّ والخوض المسكوت عنه لضرورة أدبية، حيث الحوار أو القلب أو التحوير، وهو الصيغة الأكثر شيوعاً في التناص، إذ كلُّ نصٍّ مأخوذ من نصٍّ آخر سيخضع لا محالة إلى عملية تحويل وإلّا كان نسخاً حرفياً وانتحالاً... إلّا أنَّه يجدر بنا أنْ نشير إلى أنَّ كلَّ عمليات التناص أو التضمين أو (السرق) مشروعة في هذا الموروث النقدي باستثناء عملية النسخ والانتحال[1]، وقد أبرز الاستفهام التقريري ما جال في خاطره إذ جوابه النفي، ثمَّ استثمر المطابقة بين (الأولين) و(الآخرين) للدلالة على الشمول والاستغراق.

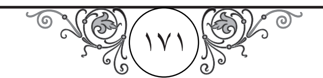
المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحيم محمود، ٧٤، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٨.

٣- البداية والنهاية، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، راجع نصه وضبطه وقدم له، د. سهيل زكار، دار ومكتبة الهلال، بيروت،

(١) قراءات في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، ٥٩، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.





٢٠٠٨م.

٤- البرهـان في علـوم القـرآن، بـدر الديـن محمـد عبـد الله الزركـشي(ت ٧٩٤هــ)، تحقيـق: محمـد أبي الفضـل إبراهيـم، المكتبـة العصريـة، صيـدا- بـيروت، (د، ت).

٥- البرهـان في وجـوه البيـان، أبـو الحسـين إسـحاق بـن إبراهيـم بن سـليمان بـن وهـب الكاتـب تـح: د. حفنـي محمـد شرف، مكتبـة الشـباب (القاهـرة) - مطبعة الرسـالة ١٣٨٩ هــ- ١٩٦٩م.

٦- بلاغـة الإقنـاع في المناظـرة، د. عبـد اللطيـف عـادل دار، ومكتبـة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

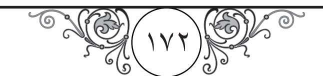
٧- البلاغـة العربيـة أُصولهـا وامتداداتهـا، محمـد العمـري، إفريقيـا الـشرق، الـدار البيضـاء- بـيروت١٩٩٩.

٨- البلاغـة والاتصـال، جميـل عبـد المجيـد دار غريـب للطباعـة والنـشر، القاهـرة، ٢٠٠٨.

٩- البيـان والتبيـين، أبـو عثـمان عمـرو بـن بحـر الجاحـظ، تحقيـق وشرح: عبـد السـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة، ط٥، ١٩٨٥م.

١٠- تاريـخ الأدب العربي-العـصر الإسـلامي- د. شـوقي ضيـف دار المعـارف، مـصر.

١١- التداوليـة والحجـاج مداخـل نصـوص، صابـر الحباشـة دار صفحـات للدراسـات والنـشر، سـوريا، دمشـق، ط١، ٢٠٠٨.



١٢- التناص الديني في شعر السيد الحميري، رسالة ماجستير في الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب لعبد الأمير مذكور العبودي.

١٣- الحجاج بين النظرية والأُسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى باتريك شارودو، ترجمة د. أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط١.

١٤- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد أمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

١٥- ديوان الصوري عبد المحسن بن محمد (ت٤١٩هـ)، تحقيق، مكي السيد جاسم شاكر، هادي شكر، ط١، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.

١٦- ديوان دعبل الخزاعي شرحه: حسن أحمد، دار الكتاب العربي ط١ ١٩٩٤م.

١٧- ديوان كشاجم محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي ١٩٩٧م، ط١.

١٨- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للعلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م.

١٩- الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، العتبة



العلويـة المقدسـة، مكتبـة الروضـة الحيدريـة، الرسـائل الجامعيـة، ٢٠١٢م.

٢٠- فـردوس الأخبـار بمأثـور الخطـاب المخـرج عـلى كتـاب الشـهاب، شـيرويه بـن شـهر دار الديلمـي (ت٥٠٩هــ)، تحقيـق: فـواز أحمـد الزمـرلي ومحمـد المعتصـم بـالله البغـدادي، دار الكتـاب العـربي، ط١، ١٩٨٧م.

٢١- قـراءات في الأدب والنقـد، د. شـجاع مسـلم العـاني مـن منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب، ١٩٩٩م.

٢٢- لسـان العـرب، جمـال الديـن محمـد بـن مكـرم أبـو الفضـل بـن منظـور، ٣٨، مـادة (ح ج ج)، دار صـادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٢٣- اللسـان والميـزان والتكوثـر العقـلي، طـه عبـد الرحمـن المركـز الثقـافي العـربي، الربـاط، المغـرب، ط١، ١٩٩٨.

٢٤- مجمـع الزوائـد، ومنبـع الفوائـد، للحافـظ الهيثمـي عـلي بـن أبي بكـر (ت٨٠٧هــ)، دار الكتـاب العـربي، بـيروت ١٩٦٧م.

٢٥- المسـتدرك عـلى الصحيحـين محمـد بـن عبـد الله الحاكـم النيسـابوري (ت٤٠٥هــ)، تـح: مصطفـى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة- بيروت، ٢٠٠٢م، ط٢.

٢٦- مسـند أحمـد، لأحمـد بـن محمـد بـن حنبـل الشـيباني (ت٢٤١هــ) طبعة مـصر (٦) تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر.

٢٧- مصطلـح الحجـاج بواعثـه وتقنياتـه، أ. عبـاس حشـاني مجلـة المخـبر، العـدد التاسـع، ٢٠١٣.

٢٨- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، ط٢.

٢٩- معجم مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) رتبه وصححه: إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م، ط١.

٣٠- المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي محمد العمري، منشور في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٥ سنة ١٩٩١م المغرب.



إبلاغيّةُ الخِطابِ في واقعةِ الغدير ـ قراءةٌ دلاليّةٌ ـ

د. علي يوسف نور الدين

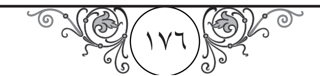
الإبلاغيّة

هـي فـنُّ إيصـالِ الخطـاب، إلى المُرسَـل إليـه، بصـورةٍ يقينيّـة، قطعيّـة وجازمـة.

ولا يتأتّـى هـذا الأمـرُ، إلّا للخـواص مـن البـشر، الذيـن أوتـوا مـن عُمـقِ الإدراك المعـرفيّ (النفسيّ والاجتماعـيّ والروحـانيّ) مـا لم يـؤتَ لغيرهـم.

وقـد يحظـى خطـابٌ مـا ببعـضِ عنـاصرِ الإبلاغيّـة.. وتـؤتي تلـك العنـاصر أُكُلَهَـا.. أمّـا أنْ تتزاخـم كلّ عنـاصر الإبلاغيّـة (الزمانيّـة والمكانيّـة، والإنسـانيّة، والفكريّـة، والدينيّـة والإلهيّـة...) في خطـابٍ مـا... ولأمـرٍ مـا... فهـو مـا لم نَعْهـده إلّا في يـوم الغديـر[1]... وذلـك لغايـة عظيمـة، تفيـض بالـدلالات وبمشـيئة إلهيّـة خالصـة.. أكْسَـبَت ذلـك الحـدث أبعـاداً غـير مألوفـةٍ عـلى الصعيـد البـشريّ.

(١) كان يوم الغدير في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة، من السنة الحادية عشرة للهجرة. و(الغدير) هو ماءٌ في وادي (خمّ)، في منتصف الطريق تقريباً بين (مكّة) و(المدينة)، بما يزيد على المئتين وعشرين كيلومتراً بمقاييس اليوم عن مكّة، انظر معجم البلدان (الياقوت): ٢/ ٣٨٩، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

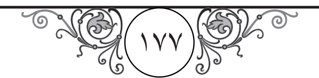


وأوّل تلك الأبعاد: الإرادة الإلهيّة المباشرة: وهي إرادة واضحة وصريحة، وقد تجلّى ذلك في (الأمر الإلهيّ) المباشر للنبيّ.. وهو الخطاب الذي وضع الحجر الأساس، الذي ستُبنى عليه إحداثيّات (يوم الغدير) برمّتها... وهو كذلك أمرٌ لم يعهد النبيُّ مثيلاً له طيلة فترة الوحي - والتي شارفت على الانتهاء في ذلك الوقت - لِما فيه من (توبيخ وتهديد)، وإلحاح وإصرار على تنفيذه... لأنّ الحديث المترتّب عن ذلك الأمر هو في عظمته وخطورة شأنه.. يوازي عظمة الرسالة المحمّديّة، هذا إذا لم يتفوّق عليها، وهذا إذا دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ (يوم الغدير)، هو اليوم الذي يستقيم معه ميزان الرسالة المحمّديّة.. وإلّا، فقد خابت الرسالة - على عظمتها - وبات ذلك الدين القيّمُ مهدّدًا بالزوال، لعدم وجود من يُؤتَمَن عليه، بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

وسياق الآية واضحٌ وجليٌّ، في هذا المجال، ولا يحتَمِلُ اللّبْسَ أو التأويل... إذ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

وهذه الآية من سورة المائدة، تقوم في رأينا، على ستّة أركان، يدعم بعضها بعضاً... فباتت كالبنيان المرصوص، الذي لا يمكن التفريط بواحد من أركانه:

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



١. الركن الأوّل: عبارة: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)

هنا خطابٌ إلهيّ مباشر، مع نبيٍّ صاحب رسالة.. وذلك من خلال (أداتَي النداء) (يا) و(أيّها) معاً، إذْ كان يكفي بالأحوال العاديّة، مناداة الرسول صلَّى الله عليه وآله بـ:(أيّها) فقط.. ولكن لاستنفار كلِّ حواس الرسول صلَّى الله عليه وآله، وشدّ انتباهه لما سيُقال.. كان هذا التعزيز بأداتَي النداء، وفي ذلك دلالة جليّة على شأو ما سيكون.

٢. الركن الثاني: عبارة: (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)

الواقع، أنّ في كلِّ كلمة من كلمات هذه العبارة، تحتشد معانٍ كثيرة وزاخرة بالدلالات القويّة الهادفة: فإذا تناولنا لغويّاً الكلمة الأُولى فيها: (بلّغ).. نجد أنّ الله سبحانه وتعالى، لم يذهب إلى استخدام كلمة: (حدِّث) أو (خبِّر) مثلاً، أو غيرهما من الألفاظ التي قد توصل الرسالة إلى المُتلقّي أيضاً.. بل عَمَدَ إلى استخدام أدقّ لفظة وأقواها وظيفيّاً في هذا المجال، حيث لا يلتبس الخبر على المتلقّي أو يفوته؛ لهذا تكرّرت هذه اللفظة (بلّغ بصيغها المتعدّدة) في أحاديث الرسول: «**اللّهم هل بلّغت؟**».. إذ قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ**﴾[1]، أو قوله في سورة النور: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾[2].. وهذا (الْبَلاغُ الْمُبِينُ) لا يكمن إلّا بقيام الرسول شخصيّاً بهذا التبليغ.. لا أنْ يكلّف أحداً غيره؛ لذا كانت

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

صيغـة الأمـر: الأمـر المبـاشر (بلّـغ) أنـتَ.

حتّـى إذا انتقلنـا إلى القسـم الثـاني مـن هـذه العبـارة: ﴿مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ﴾.. نجـد تدعيـماً لهـذا الأمـر المبـاشر.. وحثّـاً للنبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه شـخصيّاً وحصريّـاً.. للقيـام بذلـك التبليـغ الـذي اختـصّ بـه، وذلـك مـن خـلال كلمـة (إِلَيْـكَ)، فلـم يقـلِ الرحمـن مثـلاً: (بلّـغ مـا أُنـزل مـن ربّـك).. إذ ربّـما كان هذا التنزيـل إلى غـيره مـن الرسـل وطُلِـبَ مـن الرسـول إعـادة تبليغـه وإحيائـه.. وذلـك كـما في قولـه تعـالى في سـورة الأعـلى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[1].

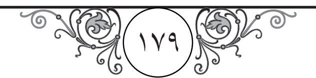
ثـمّ جـاء القسـم الثالـث في هـذه العبـارة: (مـن ربّـك) ليؤكّـد الإصرار عـلى القيـام بعمليّـة التبليـغ هـذه، وذلـك مـن خـلال شـحذ عزيمـة الرسـول الأكرم بتذكـيره بـأنّ هـذا التنزيـل (مـن ربّـك)، وليـس مـن أحـدٍ سـواه.

فتذكـير الرحمـن النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه هنـا بالمرسِـل والـمُرسَل إليـه ينطـوي عـلى دلالـة كبـيرة وعـلى أنّ وراء الأكمـة مـا وراءهـا.

٣. الركن الثالث: هو عبارة: (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ)

في هـذا الركـن، الحجـر الأسـاس الـذي تسـتند إليـه الرسـالة المحمّديّـة برمّتهـا، وفيـه مـن التنبيـه والتحذيـر والإنـذار، مـا لم يألفـه الرسـول مـن قبـل، إذ عليـه الآن أن يحـزم أمـره ويقـرّر: إمّـا سـلباً أو إيجابـاً.. وواضـحٌ أنّـه قـرار حسّـاس وخطـير، إذ يبـدو مـن سـياق الآيـة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨-١٩.



مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أنّ هذا التنزيل قد تلقّاه الرسول صلَّى الله عليه وآله من قبل، وأُعطي الوقت الكافي لتبليغه للمسلمين.. ولكنْ لأمرٍ ما، تلكّأ الرسول عن ذلك[1]، ممّا أوجب هذا التعزيز بأداتَي النداء، والأمر المباشر، والتحذير والإنذار للرسول قبل فوات الأوان، وتذكيره أنّه مجرّد رسول عليه نقل الرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

٤. الركن الرابع: هو عبارة: (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)

إنّ هذا الركن قد وضع الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله على المحكّ: إمّا التبليغ وإمّا ذهاب عمله كنبيٍّ ورسول، على ما يزيد على عقدين من الزمن... هباءً منثوراً.

(١) لـمّا كان الأمر بولاية علي عليه السلام بعد النبيّ هو أمراً إلهيّاً، فإنّنا نرى أنَّ (التنزيل) بهذه الولاية لا بُدّ أن يكون قد نزل على الرسول صلَّى الله عليه وآله سابقاً وهو في مكّة، لاجتماع الحجيج من كلّ الأصقاع في ذلك المكان، بالتالي فهو المكان الأنسب لإبلاغهم بولاية الإمام عليٍّ عليه السلام حتّى لا يكون لبعضهم حجّة بعد ذلك، في أنّهم لم يسمعوا ذلك من قِبَل الرسول مباشرة، إذ: بعد انتهاء الحجّ، سيقفل حجّاج الطائف عائدين إلى أوطانهم، من جنوب شرقي مكّة، وحجّاج اليمن، من جنوبها، وحجّاج العراق – على افتراض وجودهم في ذلك الوقت – سيعودون إليه، من شمال شرقي مكّة، ولن يبقى بعدئذٍ مع الرسول صلَّى الله عليه وآله سوى حجّاج المدينة وما حولها، وهم الذين سيغادرون شمالاً على طريق غدير خمّ. ولكن – وكما هو واضح في التنزيل – فإنّ الرسول قد كتمَ ذلك التبليغ بولاية الإمام علي عليه السلام في مكّة، بعد أن توجّس من القوم شرّاً، حتّى بلغ الرسول، ومن بقي معه من الحجيج (غدير خمّ) وكاد أن يتفرّق القوم – على قلّتهم – من جديد... وبالتالي لن يبقى معه صلى الله عليه وآله من يرى أو يسمع، فكان أن نزل ذلك التنزيل) الإنذار على الرسول لاستدراك الأمر بمن حضر.

وفي هـذا الركـن أيضـاً تتجـلّى عظمـة مضمـون هـذا «التنزيـل» ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فالمعادلـة واضحـة: لا تبليـغ، إذاً لا رسـالة محمّديّـة... ولـن تتعـادل كفّتـا ميـزان الإسـلام إلّا بهـما... وهـو مـا سـنراه لاحقـاً.

٥. الركن الخامس: عبارة: (المائدة ٦٧): -وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ-

الواقـع إنّ هـذا الركـن، قـد شـكّل الرافعة التـي أنقـذت الموقـف، وأخرجت الرسـول الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه مـن المـأزق الكبـير الـذي هـو فيـه، بـما شـدّت بـه عَضُـدَه مـن القـوّة المعنويّـة، وبـما أفرغـت في فـؤاده مـن الطمأنينـة ورباطـة الجـأش... وبـما أمدّتـه بـه مـن فائـض العزيمـة وجـرأة الإقـدام... فـزال الحـذر والتوجّـس... وكان (يـوم الغديـر).

٦. الركن السادس: عبارة: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

هـذا الركـن قـد قطـع الشـكّ باليقـين عنـد الرسـول الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه في عـدم إمكانيّـة هدايـة مَـنْ في قلوبهـم زَيْـغ... وأنّـك أبلّغتهـم أَم لم تبلّغهـم فإنّهـم لـن يهتـدوا، ومـن ثـمَّ لا تخـشَ مـن (الأمـر) شـيئاً.

وبنـاءً عليـه، فـإنّ هـذه الإبلاغيّـة المفرطـة في الإيغـال في وجـدان الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، مـن خـلال هـذا الخطـاب الإلهـي غـير المعهـود.. قـد هـزّت كيـان الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه هـزّاً، وجعلتـه يندفـع في إبلاغيّـة أُخـرى متنوّعـة، لتكريـس ذلـك (التنزيـل) ميدانيًّـا، بشـكل محسـوس، ومنظـور، ومسـموع.. ومـن تلـك الإبلاغيّـة:

- إبلاغيّة الزمان:

من الدلالات الملفتة هنا، أنّ (يوم الغدير) كان في موسم الحجّ، ولأوّل مرّة لم يرسل الرسول صلَّى الله عليه وآله أميراً على رأس الحجيج، بل كان الرسول نفسه على رأسهم، في أوّل حجّة (وآخر حجّة) له، الأمر الذي استدعى زيادةً في عدد الحجيج عن المواسم السابقة، لوجود الرسول صلَّى الله عليه وآله بينهم؛ والذي سيحفر في ذاكرتهم كلَّ حدثٍ شهدوه في تلك الحجّة، وبالأخصّ بعد أنْ أخبرهم الرسول صلَّى الله عليه وآله أنّه ربّما لن يلقاهم في الموسم القادم، لدنوّ أجله، وإذ توفّي صلَّى الله عليه وآله.. باتت تعرف تلك الحجّة بـ(حجّة الوداع)، وصارت علامةً فارقةً في تاريخ السيرة النبويّة.

- إبلاغيّة المكان:

وقعت تولية الإمام عليٍّ عليه السلام، في موضع (غدير خمّ).. وهو ماءٌ بين مكّة والمدينة، ومفترق الطرق للعائدين من مكّة، إلى المدينة المنوّرة، والشام ومصر، لذلك هو منزلة جغرافيّة حيويّة لا بُدّ منها، للعابرين إلى مكّة من تلك البلدان، أو للعائدين منها - إليها، منذ عصور الجاهليّة الأُولى..

ومع ظهور الدعوة المحمّديّة، اكتسب هذا المكان بُعداً إسلاميّاً خاصّاً، وذلك لعدّة أُمور منها:

أ: وقوعه في طريق الهجرة النبويّة من مكّة إلى المدينة.

ب: وقوعه في طريق عودة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من حجّة الوداع.

ج: وقوع بيعة الغدير في هذا المكان.

وكلّ واحد من هذه المواقف يمثّل بُعداً مهمّاً في مسيرة التاريخ الإسلاميّ:

- فالهجرة النبويّة، كانت المُنطَلَق الأوّل لانتشار الدعوة الإسلاميّة خارج حدود مكّة.. ومن ثمّ في أنحاء العالم.

- وحجّة الوداع والعودة منها إلى المدينة المنوّرة، كانت ختماً للرسالة المحمّديّة.

- وبيعة الغدير، هي التمهيد لعهد الإمامة، ولانتهاء عهد الرسالة، حيث كمل الدين وتمّت النعمة.

غير أنّ شهرة موقع الغدير بيوم الولاية للإمام عليٍّ عليه السلام، قد طغت في التاريخ الإسلاميّ على شهرة أيّة حادثة أُخرى فيه..

وما ذلك، إلّا دلالة على نفاذ إبلاغيّة المكان، إلى أعماق المسلمين ووجدانهم.. وتغلغله في ذاكرتهم الدينيّة والتاريخيّة.

- إبلاغيّة المسرح:

لم يكتفِ الرسول صلَّى الله عليه وآله بتحديد المكان بشكلٍ عامّ لإعلان الولاية، بل عمدَ إلى رُكنٍ محدّدٍ منه، وأَمَرَ - كمخرجٍ بارعٍ - إلى تهيئة ذلك الركن، وإعداده بأفضل صورة، ليطلّ من خلاله على جموع المسلمين، في



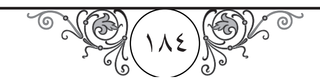


لحظة تاريخيّة لا تُنسَى: (فعن زيد بن أرقم قال: لـمّا حجّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله حجّة الوداع، وعاد قاصداً المدينة، أقام بغدير خمّ، وهو ماءٌ بين مكّة والمدينة؛ وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام.. لأنّ هذا الموقع كان مفترق الطرق المؤدّية إلى المدينة المنوّرة والعراق والشام ومصر، تفرّق الناس عن رسول الله متّجهين وجهة أوطانهم، فأمر صلَّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام أنْ يجمعهم بِردِّ المتقدّم وانتظار المتأخّر، ونَزَل الرسول صلَّى الله عليه وآله قريباً من خمس سَمُراتٍ دوحاتٍ متقاربات، ونهى أن يجلس تحتهنّ، ثمّ أمر صلَّى الله عليه وآله أن يُقَمَ ما تحت تلكُمُ السّمراتِ من شوكٍ، وأن تُشذّب فروعهنّ المتدليّة، وأن تُرشّ الأرض تحتهنّ، وبعد أن نزلت الجموع منازلها، وأخذت أماكنها، أمر صلَّى الله عليه وآله مناديه، أنْ ينادي الصلاة جامعة.. وبعد أن انتهى صلَّى الله عليه وآله من صلاته، أمَرَ أن يُصنع له منبر من أقتاب الإبل، ثمّ صعد صلَّى الله عليه وآله المنبر متوسّداً يدَ عليٍّ عليه السلام.

هنا، وصل الإخراج قمّة الإبداع والإبلاغيّة، في شدّ انتباه المسلمين، وتشنيف آذانهم، لما سيعلنه الرسول صلَّى الله عليه وآله.

- إبلاغيّة الخطاب اللساني:

بعد هذه الإطلالة الميدانيّة غير المعهودة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله على جموع المسلمين، عبر تلك اللوحة الطبيعيّة الساحرة، وعليٌّ عليه السلام إلى جانبه، لم يشأ صلَّى الله عليه وآله أنْ يبدأ خطابه إلّا بعد أن تأكّد من



جهوزيّة الناس للاستماع له، ليضمن تبليغ الرسالة، حيث خاطبهم قائلاً: «**أيّها الناس.. ألا تسمعون؟**»، قالوا نعم.. ليبدأ عندئذٍ فصلُ المقال: «أيّها الناس، ألا تسمعون؟»، قالوا: نعم، قال: «**فإنّي فَرَطكم على الحوض، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإنّ عرضَهُ ما بين صنعاءَ وبُصْرى، فيه أقداحٌ عددَ النجومِ من فضّة، فانظروا كيف تخلِفوني في الثقلين**»؟! فنادى مُنادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «**الثَقَلُ الأكبر: كتابُ الله، طَرَفٌ بِيَدِ الله عزَّ وجلَّ وطَرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخرُ الأصغرُ: عِترتي، وإنَّ اللطيفَ الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألتُ ذلك لهما ربّي، فلا تَقدِموهما فتهلكوا، ولا تُقصّروا عنهما فتهلكوا**»، ثمَّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها حتى رؤي بياضُ آباطهما، وعرفهُ القوم أجمعون، فقال: «**أيّها الناس: مَنْ أَولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؛ فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه**»، (يقولها ثلاث مرّات، وفي رواية الإمام أحمد أربع مرات)، ثمّ قال: «**اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ مَنْ أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب**»، ثمّ طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة، أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مولايَ ومولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة، وقال ابن عبّاس: وَجُبت والله في أعناق القوم، يعني

بذلك البيعة بالولاية والإمرة والخلافة)[1].

ومن الملاحظ في هذا الخطاب النبويّ، أنّ الرسول صلَّى الله عليه وآله قد ارتقى خلاله بالناس مدارج العارفين، حتّى إذا استوثقهم، وحانت لحظة التبليغ، عزّز الخطاب (بِلُغَةِ الجَسَدِ)... إيغالاً في إبلاغيّة الخطاب... حيث (أخذ بيد عليٍّ فرفعها، حتّى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون)، وهو غاية المرام للتبليغ بولاية الإمام، «**فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه**»، كرّرها الرسول صلَّى الله عليه وآله ثلاثاً، تأكيداً على تلك الولاية الإلهية، مشفوعةً بالدعاء لعليٍّ عليه السلام بالنصر والتأييد، وعلى أعدائه بالخزي والخذلان: «**فعليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليٍّ يدور حيث دار**»[2]... من غير أن ننسى، أنّ الرسول صلَّى الله عليه وآله ينطق عن الله تعالى مباشرة كما ورد في سورة النجم قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[3].

---

(١) هذا الحديث رواه جمٌّ غفيرٌ من الصحابة: فقد ورد مرفوعاً، عن أبي بكر وعمر بن الخطّاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطّلب، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وبريدة بن الخصيب وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عبّاس، وحبشي بن جنادة، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، وأسعد بن زارة، وخزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وسهل بن جنيف، وحنيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك وغيرهم.

(٢) شواهد التنزيل، الحسكاني: ١/ ٢٠٩، الرقم ٢١٦.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

وهـذا هـو فصـل الخطـاب، ممّـا لا يمكـن لأيّ مسـلم قـد صـدق إسـلامه أن ينكـره، بـما يزدحـم فيـه مـن دلالات..

- إبلاغيّة الاختيار

لماذا عليّ عليه السلام؟

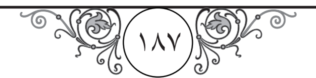
... ورُبَّ قائـل يقـول: لمـاذا بويـع عـليٌّ بالولايـة دون غـيره مـن كبـار الصحابــة؟

الجـواب عـلى ذلـك في منتهـى البسـاطة، لتميّـز عـليٍّ عليـه السـلام عـن كلِّ الصحابـة، في سـيرته وفضائلـه، ويكفـي أن نذكـر هنـا بعـض الأمثلـة تأكيـداً عـلى ذلـك:

١. ولاية الإمام عليّ عليه السلام سابقة ليوم الغدير:

إنّ ولايـة الإمـام عـليٍّ عليـه السـلام، هـي إرادة إلهيّـة واضحـة، نـصّ عليهـا الوحـي قبـل يـوم الغديـر بزمـن بعيـد... وذلـك مـن خـلال قولـه عـزَّ وجـلَّ في سـورة المائـدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١]، ومـن المتّفـق عليـه عنـد العلماء في أسـباب النـزول أنّ هـذه الآيـة إنّـما نزلـت في عـليٍّ عليـه السـلام بعـد

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.



أن تصدّق بخاتمه وهو راكع في المسجد[1].

٢. حديث الراية:

روى الشيخ المفيد عن سعيد بن أبي وقّاص، أنّه لـمّا حاصر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله حصن خيبر[2] وطال الحصار، بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله برايته مع أبي بكر، فردّها، ثمّ بعث بها مع عمر فردّها، فغضب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وقال: «**لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يُحِبُّهُ اللهُ ورسولُه، ويحبُّ اللهَ ورسولَه، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه**»، فلـمّا أصبحنا، جثونا على الرّكب، فلم نرَه يدعو أحداً، ثمّ نادى: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فجيء به وهو أرمد؛ فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله على يديه[3].

وكما نلاحظ، ففي هذا الحديث الشريف، شهادة حصريّة لعليٍّ، دون غيره من الصحابة، بالأهليّة والجدارة والكفاءة، للقيام بأمر المسلمين.. وإلّا.. فهل شهد الرسول صلَّى الله عليه وآله لغيرِ عليٍّ عليه السلام

---

(١) تفسير الميزان، السيّد الطبطبائي: ٦/ ١٦. الدرّ المنثور، السيوطي: ٢/ ٢٩٣.

(٢) خيبر: حصن معروف لليهود، شمالي المدينة المنوّرة، حاصرهم النبيّ في السنة السابعة من الهجرة، وطال الحصار. ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٤٠٩.

(٣) الأمالي، الشيخ المفيد: ٥٦، والرواية متعدّدة الألفاظ، متعدّدة المصادر، فعِوَضاً عن كتب الصحاح والسنن، هي (على سبيل المثال) في: السيرة النبويّة لابن هشام. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيشابوري. مجمع الزوائد، الهيثمي. المسند، أحمد بن حنبل. كنز العمال، المتقي الهندي. حلية الأولياء، الحافظ أبو نعيم الأصفهاني.

بالحصريّة والتعيين، بأنّه يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟

٣. حديث المؤاخاة:

روى أحمد بن حنبل وغيره، أنّ الرسول صلَّى الله عليه وآله آخى بين الناس، وترك عليّاً حتى الأخير، حتّى لا يرَى له أخاً، فقال: «**يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني؟**»، فقال صلَّى الله عليه وآله: «**إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإنْ ذكرك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب، والذي بعثني بالحقّ، ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي ووارثي**»[١].

٤. فضائل عليّ عليه السلام عامّة:

وإلى جانب هذا الحديث، عشرات بل مئات من الأحاديث النبويّة، التي تزخر بها كتب الحديث، مؤكّدة فضائل عليٍّ ومكانته عند النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله دون سائر الصحابة؛ ومن ذلك، على سبيل المثال:

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**يا عليّ.. أحمدِ الله على ثلاثة أشياء: زوّجتك فاطمة، وهي سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنْجَبْتَ منها الحسن**

(١) حديث المؤاخاة متواتر سواءٌ في المؤاخاة الأولى في مكّة، أم في الثانية في المدينة، وهو مرويّ عن عشرات الصحابة والتابعين؛ ينظر: على سبيل المثال: الثقات، ابن حبّان: ١/ ١٣٨. البداية والنهاية/ ابن كثير: ٣/ ٢٢٦. سيرة ابن هشام: ٢/ ١٥٠. الإصابة، ابن حجر العسقلاني: ٢/ ٥٠٧. تاريخ الخميس، ابن الحسن الديار بكري: ١/ ٣٥٣. وغيرها.

والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وصاهرتَ محمّداً، وهو سيّد الأوّلين والآخرين».

ولهذا، كان عليٌّ عليه السلام يفخر بهذه المنزلة، ويقول شعراً:

محمّدٌ النبيُّ أخي وصِنوي	وحمزةُ سيّدُ الشهداءِ عَمّي
وجعَفرُ الذي يُضحي ويُمسي	يطيرُ مع الملائكة.. ابنُ أُمّي
وبنتُ محمّد سَكَني وعُرسي	مَشوبٌ لحمُها بدَمي ولحمي
وسِبطا أحمدَ وَلداي.. منها	فأيُّكُمُ لهُ سَهمٌ كسَهمي؟!
سبقتُكمُ إلى الإسلامِ طراً	صغيراً.. ما بَلَغْتُ أوانَ حُلمي
وأوَصاني النبيُّ على اختيار	لأُمّته رضىً منه بحكمي
فأوجَبَ لي ولايتَه عليكُم	رَسوُل الله يومَ غديرِ خمِّ
فوَيلٌ، ثمّ وَيلٌ، ثمّ وَيلٌ	لِمَن يلقى الإله غداً بظلمي

وبعد... أ ليس هذا الاختيار لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام - لِما خصّه الله به من فضائل ومكرمات دون سائر الصحابة كخليفة للمسلمين بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله -، هو في حدّ ذاته، إبلاغيّة في الخطاب الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ، ما بعدها إبلاغيّة؟ وأنّ دلالة ذلك هي غاية في الوضوح ولا تخفى على أحدٍ؟

- إبلاغيّة الخطاب الإعلاميّ (الشعر)

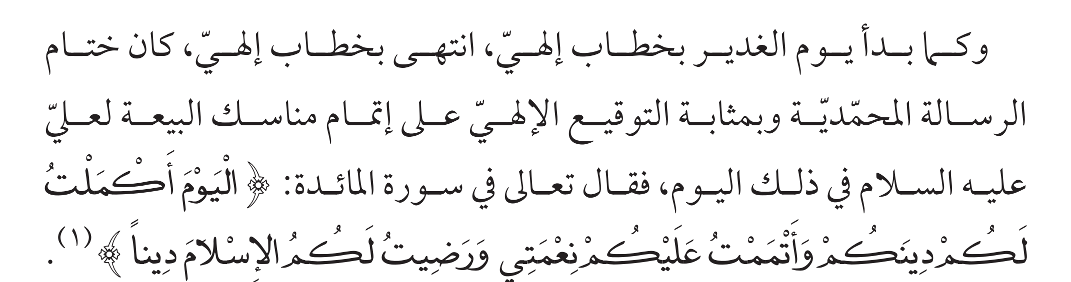
عندما نتذكّر أنّ (الشعر ديوان العرب) وأنّ القبيلة كانت تقيم الاحتفالات الصاخبة إذا ظهر فيها شاعر - لأنّه وسيلتها الإعلاميّة في

ذلـك الوقـت – نـدرك خطـورة الخطـاب الإعلامـي وإبلاغيّتـه النافـذة في ذلـك اليـوم، وبالأخـصّ أنّ النـاس عـلى مفـترق طـرقٍ عائديـن إلى أوطانهـم، حيـث سـيتعزّز الخطـاب الدينـيّ بخطـاب إعلامـيّ يبقيـه حيّـاً حـاضراً في أذهـان العائديـن، لينـشروه في أوطانهـم (ويبلّـغ الشـاهدُ الغائـبَ).

ومـن الواضـح تمامـاً، أنّ شـاعر الرسـول حسـان بـن ثابـت، قـد وعـى هـذه الحقيقـة بعمـق... فاندفـع إلى الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه مسـتأذناً إيّـاه أن (يَبُـثَّ) هـذا الحـدثَ (يـوم الغديـر) إعلاميّـاً... فـأذِنَ لـه الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه بذلـك... مؤيّـداً (بالـروح القـدس)، وفي هـذا التأييـد الإلهـي مـن الدلالـة مـا فيـه، فاندفـع حسّـان ينشـد:

يـناديهُـمُ يـومَ الـغديـرِ نَـبيّهُـم	بِـخـمٍّ.. وأسـمِـعْ بالـنبيِّ مُـناديا
وقـد جـاءَهُ جـبريـلُ عـنْ أمـرِ ربِّـه	بـأنّـك مـعـصـومٌ، فـلا تَـكُ وانِـيـا
وبـلِّـغـهُـمُ مـا أنـزلَ الله ربَّهـم	إلـيـكَ ولا تخـشَ هـنـاك الأعـاديـا
فـقـامَ بـهِ إذ ذاكَ رافـعَ كـفَّـهُ	بكفِّ عـليٍّ مُـعلِنَ الـصوتَ عاليا
فـقـالَ: فَـمَـنْ مـولاكُـمُ ووليّكُـم	فـقـالـوا ولمْ يُـبـدوا هـنـاك تعاميا
إلهُـكَ مـولانـا وأنـتَ ولـيُّـنـا	ولـنْ تجِـدَنّ فينا لـكَ الـيومَ عاصيا
فـقـالَ لـهُ: قُـمْ يـا عـليُّ فإنَّـنـي	رضيتُكَ مِـنْ بَـعْـدي إمـامـاً وهاديا
فَـمَـنْ كـنـتُ مـولاهُ فـهـذا ولـيُّـهُ	فكونوا لـهُ أنـصارَ صِـدْقٍ مواليا
هـنـاكَ دعـا: الـلـهـمَّ والِ وَلـيَّـهُ	وكُـنْ لـلّذي عـادى عـليّـاً مُعاديا
فَيَا ربُّ: انـصُرْ ناصريه لِنصْرِهِم	إمـامَ هُـدىً كالبدرِ يجلو الدياجِيا

- إبلاغيّة الخطاب الإلهيّ الختاميّ



وكما بدأ يوم الغدير بخطاب إلهيّ، انتهى بخطاب إلهيّ، كان ختام الرسالة المحمّديّة وبمثابة التوقيع الإلهيّ على إتمام مناسك البيعة لعليّ عليه السلام في ذلك اليوم، فقال تعالى في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1].

وفي هذا، فصلُ الخطاب، والردّ على أيّ مرتاب، إذ: من دون ولاية عليّ عليه السلام لن يكتمل الدين، ولن تتمّ نعمة الله على الناس، ولن يرضى عزّ وجلّ، بالإسلام ديناً لِعِبَادِه.

وهذا من عظيم العِبَر، ودليل على مكانة عليّ عند الله، قبل البشر.

الإمام عليّ عليه السلام قدوةُ الحاكم الصالح وإبلاغيّة لا تنقطع

ومن الأُمور الخفيّة في (بيعة الغدير)، هي تلك الإبلاغيّة العابرة للزمان والمكان، الكامنة في اختيار الله عزَّ وجلَّ، والرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام خليفةً للمسلمين بعدَ النبيِّ ووليًّا لهم؛ ذلك أنّ هذا الاختيار لم يكن لأنّ عليًّا هو ابن عمّ النبيّ، أو زوج ابنته فاطمة - كما قد يذهب بعضهم - بل لأنّ جبلّة عليٍّ وأخلاقه كانت ممزوجة بخصال الحاكم العادل، الذي يشكّل امتداداً طبيعيًّا للشريعة وتطبيقاً صادقاً لمبادئها المحمّديّة، ومن ثمَّ فهو قدوة مثاليّة وإبلاغيّة منقطعة النظير، لكلِّ حاكم يؤتمن على شؤون العباد والبلاد على مرّ العصور.

ولعلّ أفضل ما يُجسّد هذا الأمر، هو (عهدُ) عليٍّ عليه السَّلام لمالك

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

الأشتر عندما أرسله والياً على مصر، ذلك أنّ الإمام عليه السلام كان يسعى من خلال هذا (العهد) إلى إنارة طريق الحاكم، توصّلاً إلى خير البشر: إذ كان يرى أنّ الأزمات التي تصيب البشر، إنّما هي أزمات حُكْمٍ... وما الحُكْمُ في نَظَرِهِ، سوى (أمانةٍ)... ويوم يستقيمُ الحاكم، وتُؤدَّى (أمانة) الحكم، تصلح أُمور العباد والبلاد، وتنفرج الأزمات، ويكون الشعب في مستوى التحدّيات.

من هنا نرى، حِرْصَ الإمامِ عليٍّ عليه السلام - عند اختيار عُمّاله - على اختيار (القويّ الأمين)، انطلاقاً من قوله تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[1].

وكذلك، ظهر هذا الحرص أيضاً في تأكيده وتشديده على عُمّاله - عند اختيار مساعديهم أيضاً - على ضرورة اختيار الأمين، الذي يُحسِن أداء الأمانة... فالأمين: هو المؤتَمَن، وهو الحافظ؛ والأمانة ضدّ الخيانة.

من هنا ربط الله عزَّ وجلَّ بين الأمانة والحُكم، حين قال في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2].

فإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحُكْمَ بالعدلِ...

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.



فهذا اجتماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة.

ويُذكَرُ في هذا المقام، أنّ أعرابيّاً سأل الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله عن الساعة، فأجابه: «**فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ، فانتظرِ الساعةَ**»، فسأل: (وكيف إضاعَتُها؟)، فأجاب صلَّى الله عليه وآله: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه، فانتظرِ الساعةَ**».

من هنا نرى هذا الإلحاح المتكرّر، في معظم (كُتُبِ) الإمام عليٍّ عليه السلام إلى عمّاله، حول ضرورة حفظ الأمانة، أو غير ذلك، ممّا يتعلّق بها... لأنّه كما يقول الإمام عليه السلام: «**من استهان بالأمانة، ورَتَعَ في الخيانة، ولم يُنزّه نفسه وَدِينَهُ عنها، فقد أحلَّ بنفسه الذُّلَّ والخزْيَ، في الدنيا، وهو في الآخرةِ أَذَلُّ وأَخزى، وإنّ أعظم الخيانةِ خيانةُ الأُمّةِ، وأفْظَع الغِشّ غِشُّ الأئمّة**»(١).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال عليٌّ عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة: «**دخلتُ بلادكم بأسمالي هذه، ورَحْلِي وراحلتي، فإنْ أنا خرجتُ من بلادكم بغير ما دخلتُ، فإنّني من الخائنين**»(٢).

وبعد... فهلْ تناهَت هذه الإبلاغيّة الإلهيّة في اختيار (عليّ) القدوة... (يوم الغدير)، إلى آذان حكام العرب وأبصارهم وبصائرهم وأفئدتهم

---

(١) نهج البلاغة: ٣٨٣، دار الكتاب اللبنانّي، بيروت ١٩٦٧م.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب، إبن شهر آشوب: ١/ ٣٦٧، منشورات علاّمة، قمّ، ١٣٧٦هـ. غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام هاشم البحراني: ٧/ ١٢، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م.

والمسلمين على مرّ التاريخ... ولاسيما في أيّامنا هذه... أمْ... على من تتلو مزاميرك يا داوود؟؟!!).

المصادر والمراجع

١. الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٢. الأمالي، الشيخ المفيد، دار المفيد، بغداد ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣. البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، للشيخ حسين الديار بكري، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

٥. الثقات، لابن حيّان، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ٢٠١١م.

٨. السيرة النبويّة، لابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

١٠. غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام، هاشم البحراني، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م.





١١. كنز العمّال، للمتقي الهندي، مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.

١٢. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٩م.

١٣. معجم البلدان، الياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، منشورات علّامة، قمّ، ١٣٧٦هـ.

١٥. نهج البلاغة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت ١٩٦٧م.

يوم الغدير وآثاره في اختيار القائد الناجح... بعض نصوص نهج البلاغة أنموذجاً دراسة دلالية أسلوبية

م. م وصال عبد الواحد خضير الخرساني... أ. د. حاكم حبيب الكريطي

الخلاصة :

على الرّغم من الظروف العصيبة التي أحاطت في صدر الإسلام في كتم فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام) شاء الله أنْ يظهرَ الحق، وينتشر حديث الغدير بين الناس، وبيان أهمية الولاية التّكوينية، فلا يدعو الشك والظنون في نفوس الناس إلاّ من ختم الله على قلبه، وأعمى بصيرته، وعليه فكانت خطبة الغدير هي الطريق لمعرفة الحق وإتباعه، ومن هذا المنطلق أكَّدَ الرّسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلم) في خطبة الغدير على اختيار الصّائب للخليفة المسلمين من بعده، فلم يكن اختياره اعتباطاً؛ وإنما أمرٌ من السّماء، وذلك ما مهدت السّماء في هذه الشخصية كلّ مقومات السّلام في حفظ هذه الأمة من الأخطار، فقد جاء يوم الغدير؛ لإكمال دور النبوة في ترسخ المبادئ والقيم وتعاليم الإسلام، لذا لبّى الرّسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلن) نداء السّماء في تنصيب الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام)خليفة المسلمين؛لأجل ديمومة الإسلام والحفاظ على وحدة المسلمين.



واستناداً إلى ذلك سوف يكون مدار بحثنا هذا عن الشخصية القيادية المسالمة التي يحتاجها المجتمع في كل عصر؛ لنشر الأمن والاستقرار، بعيدة عن كل أساليب العنف والاضطهاد والفوضى، تراعي الرّعية وتلبي احتياجاتها، وها نحن نعيش أزمة السّلام بكافة نواحيه؛ لذا سوف نسلط الضوء على تلك الشخصية التي اختارها السّماء؛ لتكون قدوة وحجة للقياديين مدى الدّهر، لينتهجوا منهجه السلمي لعمله بقيم السّماء ليسود الأمن والاستقرار.

لذا قد تكون خطة البحث مبنية على تمهيدٍ ومحوريين، هما:

التمهيد: قراءة في المفاهيم (الدّلالية والأسلوبية).

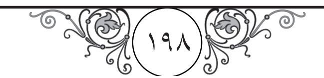
المحور الأول: المفارقة الدَّلالية وآثارها في بيان اختيار القيادي الناجح في حفظ السّلام السّياسي.

المحور الثالث: دلالة التّكرار في بيان أهم الأسس والمعايير في نجاح القيادي في المنظومة الاقتصادية والإدارية.

التمهيد: قراءة في المفاهيم (الدّلالية والأسلوبية).

١- مفهوم الدَّلالة.

لم تكن لفظة (الدلالة) جديدة على مسامعنا؛ وإنّما امتدت جذورها إلى العصور الأولى إذْ تجلت في مؤلفات القدماء في اللغة والأدب، إذْ عني اللغويون إلى معان متعددة لمفهوم (الدّلالة)، (منها في المعجمات العربية،



فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) معنى الدّلالة بقوله: ((دل: الدَّلُّ دَلالُ المرأة... والرجل يُدِلُّ على أقرانهِ فِي الحرب يأخذهم من فوق والبازي يُدِلُّ على صيده والدالَّةُ: مما يُدِلُّ الرجل على من له عنده مَنزلةٌ أو قرابةٌ قريبةٌ: شِبْهُ جَراءةٍ منه والدَّلالة: مصدر الدّليل بالفتح والكسر)) (١)، وبالإضافة إلى ذلك، فقد زاد ابن منظور (ت٧١١هـ) على المعاني السّابقة للمعنى الأصل في (د ل ل)، وهو التّسديد وذلك بقوله:((دلّه على الشيء يدُلُّهُ دلاً ودلالة فاندلّ: سدده إليه... والدّليل ما يستدل به، والدليل الدال وقد دلّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودلُولة والفتح أعلى))(٢)، وفي الاصطلاح تعني الدلالة: ((ما يتوصل بها إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة، والعقود في الحساب، وسوآء أكان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيٌّ)) (٣).

وبالإضافة إلى ذلك، وضحت الدّلالة معالمها عند الشريف الجرجاني(٨١٦هـ)، وهي: ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول))(٤)، في حين تناول العلماء العرب من الأصوليين والمتكلمين والمناطقة واللغويين الدّلالة بالدرس وهم لا يختلفون في تعريفهم لها (٥). فنستدل بذلك على أنَّ المعنى اللغوي للدّلالة يوحي بمعنى واحد، وهو الإرشاد والهداية، والتّسديد، والإبانة، أو هو التوجه إلى الشيء(٦).

٢-الأسلوبية قراءة في مفهوم والنشأة.

للتعرف على كلمة الأسلوب لابَدَ أنَّ نبحث من منطلق المعجمات العربية للّغة، فالأصل اللّغوي لكلمة الأسلوب، كما ذكر في كتاب (العين)، هي: ((كل لِباسٍ على الإنسانِ سَلَبٌ وسَلَبَ يَسُلُبُ اخذَ كل لِباسٍ على الإنسانِ سَلَبٌ وسَلَبَ يَسُلُبُ اخذَ سَلَبَه والسَّلَبُ ما يُسْلَبُ به والجميع الأسلاب والسَّلُوب من النّوق التي يؤخَذُ ولدها وجمعه سَلائب))(٧)، وأشار ابن منظور إلى دلالة السَّلب: ((ويقال للسَّطْر من النخيل أُسْلوبٌ وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ قال والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ يقال أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَساليبَ والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه))(٨)، ويرى الأصفهاني دلالة السّلب توحي النزع: ((السَّلب نزع الشيء من الغير على القهر... قيل هي الثياب السّود التي يلبسها المصاب، وكأنّها سميت سلباً لنزعه ما كان يلبسه قبل، وقيل تسلبت المرأة مثل أحدت والأساليب الفنون المختلفة))(٩). وهذا يظهر أنَّ معاني كلمة الأسلوب أوحت بمعانٍ تدور حول: ((الأخذ والانتزاع وارتبطت بمفهوم العطاء المادي والمعنوي)) (١٠).

يمكن توضيح ما طرأ على لفظة الأسلوبية من تطور في دلالتها اللغوية بما يأتي:

((الدّلالة الحقيقية))	الدلالة المجازية أو التّطور الدّلالي

تعني السّلب والأخذ، والطريق الذي يؤخذ به، وانتظام سطر من النخيل	الأسلوب طريقة يستعملها الكاتب في التّعبير، أو الفن في القول.

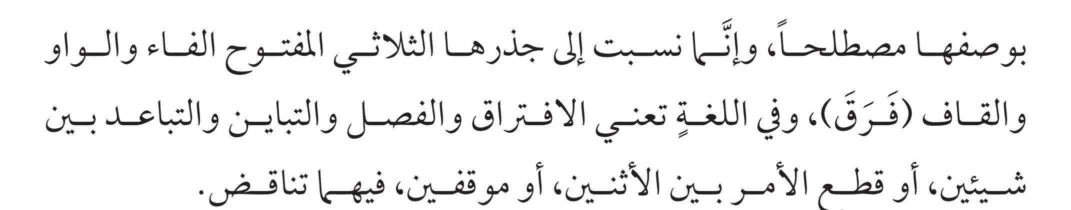
ثُمَّ أضاف أحمد الشايب ما يأتي:أنَّ الأسلوبية هي: طريقة التّفكير، والتّخييل، والتّصوير، والتّعبير، في حين يرى المسّدي أنَّ رؤية الشايب للأسلوبية وريثة من نظرية (بيفون) الّتي جعلت الأسلوبية هي قوام الكشف عن نمط التّفكير عند صاحبه.

لذلك قام (سيدلر Seidler) بربط الأسلوب مع العمل اللغوي، ونظر في تأثيره على المتلقي، إذْ أشار:((هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في النص ما بوسائل لغوية وعلم الأسلوب يدرس ويحلّل وينظم مجموعة الخواص التي يمكن أنْ تعمل أو تعمل بالفعل في لغة الأثر الأدبي ونوعية تأثيرها))، وهذا يدلُّ على استحالة الفصل بين الأسلوبية واللغة، فالأسلوبية تعالج النّص عن طريق مادته الأساسية وهي اللغة، وبوساطتها نرى جمالية الظواهر اللغوية البارزة، ومعرفة علاقتها بكاتب النَّص؛ لذا لايمكن أنْ تدرس اللغة بحد ذاتها، ولكنها اللغة تأتي لدراسة النَّص. المحور الأول: المفارقة الدلالية، وآثارها في بيان اختيار القيادي الناجح في حفظ السَّلام السياسي.

توطئة:

المفارقة مصدر للفعل (فارق)، وهي اسم المفعول، ولمْ يأتِ ذكرها





بوصفها مصطلحاً، وإنَّما نسبت إلى جذرها الثلاثي المفتوح الفاء والواو والقاف (فَرَقَ)، وفي اللغةٍ تعني الافتراق والفصل والتباين والتباعد بين شيئين، أو قطع الأمر بين الأثنين، أو موقفين، فيهما تناقض.

وفي الاصطلاح تعني:((المفارقة أسلوب بلاغي يقوم على التضاد، يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري، معتمداً على المفارقة اللفظية، أو مفارقة الموقف أو السياق، وهو أمر يحتاج إلى مجهود لغوي، وكد ذهني، وتأمل عميق للوصول إلى التّعارض وكشف دلالاته بين المعنى الظاهر، والمعنى الخفي الذي يتضمنه النص، وفضاءاته البعيدة)).

وثَمَّةً أخرى، فإنَّ التّعريف الشمولي للمفارقة، يقصد به عند استعمال أساليب بلاغية متنوعة بهدف التَّهكم والسَّخرية؛ لوجود قرينة دالة على التّضاد بين الدَّال والمدلول، أو بين المنطوق والمفهوم، أو يقصد به توجه سياق المنطوق إلى المعنى المتضاد له، بأساليب بلاغية تجري على محور المخالفة بين الواقع الدّلالي، أيّ مدى فهم المخاطَب، وحقيقة المفهوم وما يعنيه المتكلم.

لذا، فإنَّ ظاهرة المفارقة تؤدي إلى تعدد التّفسيرات والتّأويلات، وعلى هذا الأساس هناك مستويان هما: (الظاهر، والباطن)؛ لحدوث علاقة التّرابط بينهما، وهذا يؤدي إلى مساعدة المتلقي على البحث عن المفارقة، والغور في المعنى الخفي، وهذا ما يريد المتكلم بيانه وراء المفارقة، وليس الغرض هو الاختلاف، أو التباين في الجملة؛ وإنما لتباين بين الأفكار في

النَّـص، وهـذا مـا يتجـلَّى في اللغـة السّـاخرة الجـادة في المواقـف الاجتماعيـة، والسياسـية المتباينـة.

وقـد وردت نصـوص عـدة في نهـج البلاغـة تحمـل أسـاليب المفارقـة في كلام أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) تؤكـد عـلى الاختيـار الأصلـح والأنسـب للأمـة مـن قبـل خطبـة النبـي الأكـرم (صـلى الله عليـه والـه وسـلن في يـوم الغديـر؛ ليكـون حجـة عـلى العبـاد، لـذا فـإنَّ القيـادة المسـالة في المجتمـع اعتـدت جانبـاً سياسـياً وثقافيـاً واقتصاديـاً وتربويـاً هامـاً عـلى مـرَّ العصـور، لأنَّ هـذه القيـادة في المجتمـع لهـا دور حاسـم في تقـدم المجتمعـات نحـو الأفضـل مـع رفاهيتهـا، وذلـك عنـد تحقيـق العدالـة والمسـاواة وتطبيـق أحـكام الشريعـة فيهـا. ومـن هـذا المنطلـق، يُعـدُّ الدّيـن الإسـلامي أنَّ وجـود هـذه الحكومـة في المجتمـع البـشري أمـر لابـد منـه.

واسـتناداً إلى ذلـك، لابـد وجـود هـذا القائـد بعـد النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه والـه وسـلن يمتلـك صفـات القائـد المسـالم، لـه القـدرة عـلى نـشر العـدل والاسـتقامة بـين المسـلمين، ويتحـلَّى بالشـجاعة والصـبر، ولا يخشـى إلاّ الله، وهـذا مـا التّمـس الرَّسـول الأعظـم (صـلى الله عليـه والـه وسـل) في شـخصية الإمـام عـلي بـن ابي طالـب (عليـه السـلام)، إذ قـال: ((فأنـت أخـي ووصي ووزيـري ووارثـي وخليفتـي مـن بعـدي))، وهنـا سـنوضح معـالم هـذه الشـخصية التـي اختارهـا السَّـماء عـلى لسـان النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه والـه وسـلن عـن طريـق تلـك النّصـوص العمليـة التـي وردت في نهـج البلاغـة، ونوضـح مـدى حـب الإمـام (عليـه السـلام) للسـلام.

العدل والاستقامة من أولويات الحاكم في الإسلام.

من تلك المفارقات التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) في بيان الأفضلية في الحكم لمن يتصف بصفات العدالة، بعيداً عن الغلظة والظلم، وهذا ما أكّدَ عليه الرَّسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلن في جملة من أحاديثه في تنفيس عن المكروب والوقوف مع الرَّعية، وعدم ظلمهم، بقوله: ((يا ابنَ مسعُود لا تَكُنْ ممَّن يُشَدِّدُ عَلَى النَّاس ويُخَفِّفُ عَنْ نَفسه()، لذا انتهج الإمام (عليه السلام) سيرة الرّسول الأعظم في حفظ كرامة الرعية، واستعمال أساليب الهداية والسلامة والابتعاد عن كل أساليب البطش والتعذيب، وهذا ما نلتمسه من كتاب له (عليه السلام) في استعتاب لواليه عثمان بن عفان، عندما استغاثت الرَّعية به بقوله(عليه السلام): ((فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اَللَّهِ، عِنْدَ اَللَّهِ، إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً. وَإِنَّ اَلسُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ اَلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ اَلنَّاسِ عِنْدَ اَللَّهِ، إِمَامٌ جَائِرٌ، ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً)).

نلاحظُ إنّ جمالية أسلوب المفارقة لم تكمن في إظهار ظاهرة الأضداد وتصويرها في إطار المفارقة؛ وإنّما بيان البؤرة الذهنية المراد منها لبيان المعاني المخفية في اللفظة أو السياق، والمقصود هنا إظهار معنى المعنى عن طريق المفارقة، أيّ مجاوزة الألفاظ المنطوقة إلى ما وراء الأضداد، فالمفارقة هنا ربما قد تكون تعبيراً انتقادياً يُبيِّنَ فيه محاسن الحاكم العادل، ومساوئ الحاكم الجائر للمخاطَب، باستعماله أسلوب النَّصح والتَّحذير، عندما ذكر

أعمال الحاكم العادل معتمداً على الضدية الثنائية؛ ليتضح لدى المخاطَب أهمية الحاكم النزيه، ومدى إخلاصه لرعيته، وبين الحاكم الذي لا يصلح اختياره وإتباعه، ولم يحظَ بوصية الرّسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلن)، وهذه القضية هي محور الأساس في النَّص، والبؤرة التي يرتكّز عليها الحديث؛ لذا قد تكون المفارقة بناءً فكرياً وسياسياً؛ لبيان سلامة المجتمع عندما يكون الحاكم عادلاً، يتصف بصفات الأفضلية والكمال، في تلك المفارقات المتوازية وبصيغها الدقيقة، وهي:(الهداية، وأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً)، وبين الحاكم الجائر، وما يتصف من صفات الشر تتجلَّى من الأضداد: (الضلالة، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً)، لذلك استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلوب النَّصح والاستعتاب للمخاطَب عن طريق فن المفارقة بطريقة مباشرة؛ لإمعان نظر المخاطَب في الفروق بين الحاكم الظالم والحاكم العادل؛ لتتضح أمامه خطورة الأمر، وعواقبه عند فوران الرّعية على الحاكم في حالة قصوره وتماديه عليهم، وعدم الانصاف معهم، وسلب حقوقهم المشروعة، لذا فجاءت المفارقة؛ لبيان ما هو الأصلح، والأكمل في نشر السّلام والأمان، وعليه فأراد الإمام (عليه السلام) بيان أنَّ الحكومة القائمة على المودّة والرّأفة مع الرّعية تكون أكثر رسوخاً وقوة عندما تنال ثقة الشعب وكسب حبها لهم، وهذا ما أراد إبلاغه بالمعنى المخفي، أو العميق عند رسم صورتين متناقضتين، أحداهما تمثل صورة الحاكم العادل النزيه الذي يهتدي بهدايته الناس، ولم يغبن حقهم، فيقيم سنة



الرّسـول الأعظـم صـلى الله عليـه والـه وسـلن بعـد اندثارهـا، وإماتـة البـدع التـي اسـترجعت مـن قبـل الحـكام السّـابقين، والأُخـرى صـورة الحاكـم تضـاد بـه كل صفـات العـدل، والرّحمـة للرعيـة؛ لـذا جـاءت المفارقـة؛ لبيـان نزاهـة الحاكـم ووجـوب الـولاء لـه، واختيـار القائـد الأصلـح لهدايتهـم، ولسـلامة النـاس مـن الحـروب، والسّـير عـلى خطـاه، ثُـمَّ بيان صفـات القائـد الجائـر، ومـا يمتلـك مـن صفـات مغايـرة لشـخصية القائـد العـادل، والنظـر لاكتشـافه عنـد تحليـل النّـص برسـم الصورتـين؛ لبيـان المعنـى العميـق للنّـص، فيـترك تأويلـه والتّمعـن فيـه للمتلقـي؛ لتتضـح أمـام عينيـه اختيـاره الصّائـب؛ لـذا فـإنَّ فـن المفارقـة لـه المقـدرة الأسـلوبية في تحقّـق لمحـة جماليـة؛ لتكسـب الـكلام رؤيـة أسـلوبية في رسـم صـور متنافـرة؛ لتفـي بالغـرض المنشـود في إظهـار صـورة الحاكـم الـذي أمـر الله التَّمسـك بـه، وهـذا الارتبـاط بـين الضديـة الثنائيـة سـاهم في بنـاء النَّصـوص وتماسـكه، ورسَـمَ الشـخصية الناجحـة بدقـة عاليـة في الألفـاظ المتضـادّة، لهـذا فـإنَّ زيـادةَ حـدة المفارقـة تـؤدي إلى سـهولة إقنـاع المتلقـي حـول قضيـة السّـلام السّـياسي، وبيـان دقـة التّقابـل بـين نمـط مـن السياسـتين أحدهمـا عادلـة والأخـرى جائـرة، وتنبـه المتلقـي لمعرفـة المسـاوئ الحاصلـة عنـد اختيـار الصحيـح عـلى سـلامة البـلاد وأمنـه.

وفي الوقـت نفسـه، نلاحـظ أنّ الإمـام (عليـه السـلام) يقـف بجانـب الرّعية، وتوعّـد بأخـذ حـق المظلـوم في ظـل حكومتـه العادلـة، وأراد يوضـح منهجـاً لابـد مـن سـير الحـكام عليـه، وهـو نـصرةُ المظلـوم، وردع الظّـالم عـن جـوره، حتـى لا يضـام أحـد مـن النـاس، وهـذا مـا صرّح بـه الرّسـول الأعظـم صـلى



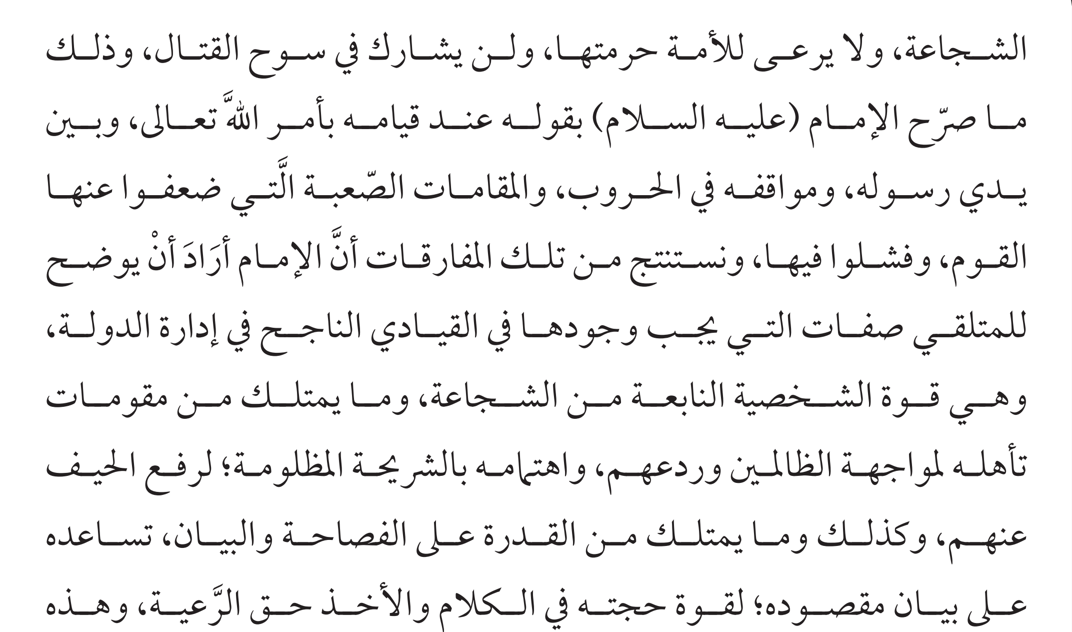
الله عليه واله وسلن) في خطبة الغدير بوجوب التّمسك بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك لمعرفته مدى قوة وشجاعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، لمناصرة الحق، وإزهاق الباطل، كما أشار الرسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلن) بقوله: ((معاشر الناس، لاتضلوا عنه ولاتنفروا منه، ولا تستنكفوا عن ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم))، وهذا ما لمسناه في شخصية الإمام (عليه السلام) عند قيامه بأوامر الله في الجهاد وفي مناصرة الحق بيده ولسانه بقوله(عليه السلام):

((فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِاَللهَّ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا... اَلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ لَهُ، وَاَلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُ رَضِينَا عَنِ اَللهَّ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا للهِ أَمْرَهُ)).

تتجلَّى جمالية المفارقة في الحوار السّابق؛ لبيان من الذي يستحق الخلافة في الأرض، ومن الذي يبث السّلام والاطمئنان في البلاد، وذلك عند التفريق بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل أمام من اشتبهت عليه الأمور، ولا يرى نور الخلافة السّاطعة؛ لذا أنّ الإمام (عليه السلام) جعل البؤرة الأساس التي يتمرّكز حولها النّص تتمثّل في صفات الحاكم العادل، والسّياسي المحنك، الذي له قدرة كبيرة في نشر الاطمئنان، وبث السّلام في المجتمع، وهذه الصّفات تتجلّى في شخصية أمير المؤمنين (عليه

السلام)، فإنّها لا نظير لها في الإسلام بعد الرَّسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم)؛ لذلك فقد أدى دور الرّسالة والنبوة في إكمال الرّسالة المحمدية؛ لنشر الإسلام، ومجابهة الظلم والاستبداد، ونشر العدل؛ لذا صرَّح القرآن الكريم أنَّ إكمال الدين لا يكون إلاَّ بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وبعدَ نزول هذه الآية كبّرَ النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، وقال: ((الله أكبر بتمام النعمة وكمال نبوتي ودين الله عز وجل وولاية علي بعدي))، وكان هذا الأمر من السماء في إبلاغ الأمة والأخذ بها نحو جادة الصواب، وذلك ما نلاحظ من الآية الكريمة تأمر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بوجوب إبلاغه وعدم التخوّف من القوم، بقوله تعالى: ((يَأَيهَا الرّسولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْك مِن رّبِّك، وَإِن لّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْت رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُك مِنَ النّاسِ إِنّ اللهّ لا يهْدِى الْقَوْمَ الْكَفِرِينَ)) (سورة المائدة الآية: ٦٧)، وهذا النَّص يؤكد لنا أنّ ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بها يكتمل دين الإسلام، إذ أنَّ أمرَ الإمامة من تمام الدّين، لذلك بيّنَ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لأمته معالم دينهم، وسبل نجاتهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، ومن زعم أن الله تعالى لم يكملْ دينه، فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر به، وعليه فقد استكملت بأمير المؤمنين (عليه السلام) كلّ المزايا الخلقية؛ لذلك خص الخلافة به دون غيره، وهذه الصفات جاءت مقاربة في كلام الإمام (عليه السلام)؛ لبيان أسبقيته في الإسلام، ومشاركته مع

رسول الله في الحروب بما يمتلك من الشجاعة، لذا فقد صوّر لنا جمالية المفارقة بصورة غير مباشرة بين: (فَقُمْتُ فَشِلُوا) و(تَطَلَّعْتُ تَقَبَّعُوا) و(وَنَطَقْتُ تَعْتَعُوا) وَ(ومَضَيْتُ وَقَفُوا)، فنلاحظ سهولة الأسلوب في استعمال أمير المؤمنين(عليه السلام) للمفارقة الكنائية للنصوص، وجمالية تراكيبها، وهي تفاجيء المتلقي بهندسة التّراكيب الأضداد التي لا نظير لها في حسن النظم، وسلاسة اللفظ، الذى يُشعر المتلقي بجمالية دقة الاختيار، والقصدية منها بعيدة عن السّأم، فقد يوحي للقارئ أول وهلة أنَّ النّص يخلو من المفارقات ألاَ إنَّ المتأمل بكلامه يلحظ المعاني المخفية تكون جلية لديه، فكسر أفق التّوقع بمجيئه أساليب كنائية لها إيحاءات خفية غير مباشرة من الثنائية الضدية، وهذا لا يخفى في جمالية حسن المفارقة بين (القيام) و(الفشل)، فهي مخالفة لها، وليست من أضدادها، فقد عدل من الأضداد (القعود) إلى (الفشل)، وعنى بالفشل: الكسل والضعف والتّراخي والجبن، فتعني كناية عن قعودهم عن الحرب والفرار منها، فالقعود نتيجته الفشل؛ لذلك ذكر المسبب الفشل، وهو جبنهم وكسلهم في سوح القتال، وهذه الصّفة التي ذكرها النبي (صلى الله عليه واله وسلن) في خطبة الغدير لا يخفى بيان موضع افتخاره، واعتزازه ببطولاته، وصولاته الحربية، وإثبات فضيلته على سائر أصحابه، فجاءت هنا المفارقة؛ للغرض من تلك المفارقات، وهي بيان أهمية القيادي الشجاع الذي يخوض الحروب، ولا يهاب الموت للدفاع عن الإسلام، ومقدسات الأمة هو الأحق بقيادة الأمة من القيادي الذي لا يمتلك مقومات



الشجاعة، ولا يرعى للأمة حرمتها، ولن يشارك في سوح القتال، وذلك ما صرّح الإمام (عليه السلام) بقوله عند قيامه بأمر اللهَّ تعالى، وبين يدي رسوله، ومواقفه في الحروب، والمقامات الصّعبة الَّتي ضعفوا عنها القوم، وفشلوا فيها، ونستنتج من تلك المفارقات أنَّ الإمام أَرَادَ أنْ يوضح للمتلقي صفات التي يجب وجودها في القيادي الناجح في إدارة الدولة، وهي قوة الشخصية النابعة من الشجاعة، وما يمتلك من مقومات تأهله لمواجهة الظالمين وردعهم، واهتمامه بالشريحة المظلومة؛ لرفع الحيف عنهم، وكذلك وما يمتلك من القدرة على الفصاحة والبيان، تساعده على بيان مقصوده؛ لقوة حجته في الكلام والأخذ حق الرَّعية، وهذه الصفات يجب توافرها في كلِّ قياديٍ ناجحٍ.

ثُمَّ يواصل (عليه السلام) حديثه على مضيه في الإسلام، إذْ قابل بين المضي والوقوف، لكناية عن هدايته للناس، وعدم إضلالهم، في حين هؤلاء وقفوا في حيرتهم مترددين؛ لعدم معرفتهم طريق الحق، فقد تتجلّى جمالية المفارقة في أثبات هذه الفضائل له دون غيره، وقرن كلّ فضيلة له برذيلة لهم؛ لتبيّن فضله، وعلو شأنه عليهم.

وعليه، فقد قابل بين المفارقات مباشرة، لسهولة التّأمل والتّفكر لدى المتلقي؛ ليفهم ما وراء تلك المفارقات من دلالة مخفية عند ثنائية الضدية بين (اَلذَّلِيلُ ْ Xعَزِيزٌ)، وبين (اَلْقَوِيُّ ضَعِيفٌ)؛ لبيان من مهام الأولى في جدول أعمال الحاكم العادل، هو رفع الحيف من المظلوم الذليل، حتى يصبح عزيزاً في ظل حكومته، ويرفع من مقامه في المجتمع، وتضعيف

شأن الظالم القوي المتسلط، ومحاربته ومحاسبته لتماديه في ظلمه، وهذه المتابعة الدقيقة من قبل الحاكم الواعي لشؤون الرعية تتجلّى فيها صور السّلام بشتى أنواعها، عند إحلال الأمن والاستقرار، وعندما يرى الظالم هناك قوانين صارمة تلاحقه، وتقتص منه، ويرى المظلوم هناك من يقف في نصرته، ويأخذ بثأره، وتوعّده للظالم بقهره وإذلاله في الوقوف بوجه الظالم القوي، لكي يتفشى السَّلام، والأمان في البلاد.

فضلاً عن ذلك، (فإنَّ من مقومات السّلام السّياسي هو حرية انتخاب الحاكم، وعدم التّضييق الناخب، والتّنكيل به؛ وهذا ما عمل به الإمام (عليه السلام) عند تجرده من أنانية الحكم، فلم تكن سياسته دموية من أجل بيعة من تخلف عن بيعته؛ وإنّما استعمل الحرية المطلقة لاختيار من يمثلهم، وهذه ما امتازت به حكومته (عليه السلام) من الاطمئنان النفسي، والتّعايش السلمي، إذْ لم يحصل سابقاً، وطبق هذا النظام في ظل حكومته العادلة بقوله: ((أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا -وَإِنْ كَتَمْتُمَا- أَنِّي لَمْ أُرِدِ اَلنَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَ بَايَعَنِي، وَإِنَّ اَلْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ، فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهَّ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا اَلسَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا اَلطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا اَلْمَعْصِيَةَ))

سُيقتْ المفارقة بين (طَائِعَيْنِ وكَارِهَيْنِ) وبين (بِإِظْهَارِكُمَا وَإِسْرَارِكُمَا)؛ لبيان المعنى المخفي من وراء النص، وهي كناية عن عدم الإجبار، وإلحاق الأذى بمن ينكر البيعة، على الرّغم من وصية النبي الأكرم في

خطبة الغدير، ووجوب طاعة الإمام، ومن تلك الوصايا للنبي الأكرم صلى الله عليه واله وسلن) في حق طاعة الإمام (عليه السلام)، وكيف يغيب صوت النبي صلى الله عليه واله وسلن) عن مسامع طلحة والزبير، وهو ينادي البيعة في خطية الغدير: ((معاشر الناس أنّه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر له حتماً على الله أنْ يفعل ذلك بمن خالف أمره، يعذبه عذاباً نكراً))، وعدم معصيته ألاَ إنّه اتخذ الإمام (عليه السلام) جانب اللين والرفق مع طلحة والزبير، وعدم إجبارهما على بيعته، على الرغم من وجوب الطاعة للإمام المعصوم ألاَ إنّه (عليه السلام) لم يجبرا على بيعته، وعليه جاء النّص يصوّر لنا صورة البيعة وأجواءها، وما تحمل من مبدأ تطبيق الحرية، بعيدة عن كل أساليب العنف، والانتهاك لحقوق الإنسان، وعدم الإجبار على أخذ البيعة بالقوة، كما كانت تأخذ سابقاً إجباراً من أعناق الرعية، بأبشع صور التّعذيب، والإرهاب بحكم القوة والسيف والتّهجير والتّنكيل والتّفريق، في حين كانت حكومته(عليه السلام) عادلة لن تحارب المعارضين، ولن يهجَّروا كما هجّر الحكام السابقين؛ وإنّما كانت الحرية لهم في اختيار الوالي مع إعطاءهم حقوقهم كاملة من بيت المسلمين دون تمايز، وهذا ما يصب في صميم السّلام السّياسي، بعيداً عن كل أجواء القتل، لذا فإنَّ سياسة الإمام علي (عليه السلام) مع رعيته كانت قائمة على الحرية، والعدل والتّسامح وفكره السّياسي نابع من مفاهيم القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ونهج الرسول الأعظم ()صلى الله عليه واله وسلن)، وهذا يُعدُّ

جوهر النهج السّياسي السّليم الذي انتهجه (عليه السلام) لإحلال السّلام في البلاد وهو نابع من صميم الديمقراطية السّياسية السّلمية التي تعطي حق الناس في اختيار الشخص الذي يرونه مناسباً للمنصب السّياسي.

– دقة الإمام (عليه السلام) في اختيار الجند في ظل حكومته العادلة لنشر السّلام والأمان.

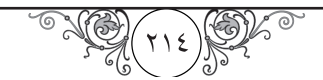
نلاحظ أنَّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه واله وسلن) كان على حذر كبير عند اختياره القادة من الجيش، فقد جعل أمير المؤمنين(عليه السلام) له وزيراً لمعرفته به ما يحمل من قوة العقيدة، وحبه لله ورسوله واخلاصه لهما، وهذا ما وضح الرّسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلن) في يوم الغدير موضع الإمام (عليه السلام) منه بقوله ((أنَّ عليَّ بْنَ ابي طالبٍ اخي ووصيي وخليفتي على أُمَّتي والإمام من بَعْدي الَّذي محلُّهُ منّي محلُّ هارونَ من مُوسى إلاّ أنَّه لا نبيَّ بعدي))، ويمكن إنّ نتلمس منهج السّلام الذي جاء به الرّسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلن) في خطبة الغدير، هو الدقة في اختيار الوصي، وما يمتلك من المؤهلات جعلت الإمام أنْ يحظى بقربه؛ لوجود تلك المؤهلات في شخصيته العظيمة، وهذا المنهج سارَ عليه الإمام (عليه السلام) مستمداً من تعاليم النبي الأعظم صلى الله عليه واله وسلن) في دقة اختيار القادة، وقربهم منه، وذلك لأهمية العقيدة والإخلاص، لذا أوّصى الإمام (عليه السلام) واليه الأشتر(رضوان الله عليه) عند اختيار الجند، فلابد من التّحري الدقيق، لذلك حظي الجيش بعناية فائقة عنده، في سبيل حفظ الأمن والسّلام،



لذا أكَّدَ على ضرورة اختيار الأفضل من الذين يمتازون بوعيهم الإيماني، وأكثرهم نصحاً لله ورسوله، وهذا ما وضحه الإمام (عليه السلام)، بقوله: ((فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ،... مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ اَلْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى اَلْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى اَلْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ اَلْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ اَلضَّعْفُ.))

إنَّ الطّاقة التّعبيرية في استعمال أسلوب المفارقة لمعرفة صفات الجند تَمَّ تصويرها تصويراً فنياً، فهي أعظم إسهاماً في إيصال الفكرة للمتلقي عن طريق الإبهام والإخفاء، والخروج من معنى حقيقي إلى معنى مجازي، وذلك لمعرفة المتلقي تلك الصّفات والتّشويق لها؛ ليتحلّى بها الجند في منهجه (عليه السلام)، وما يمتلك من مقومات السّلام في سيرته الحسنة، لذا جاء النّص زاخراً بالمفارقات الدّلالية تضفي عليه جمالية، وتكسبه قوة، وتماسكاً ما بين جمل، إذ يتجلَّى النّص في المفارقة بين: (وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ)، و(وَيَنْبُو عَلَى اَلْأَقْوِيَاءِ)، وبين (مِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ اَلْعُنْفُ)، و(وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ اَلضَّعْفُ)؛ لتأكيد صفات الجند، وما يحمل من مزايا خلقية من الرّأفة بالضعفاء، والرّحمة والرّفق بهم، والتّجافي عن الأقوياء، والابتعاد عنهم، أيّ لا يمكنهم من الظلم، والتّعدي على الضعفاء، وكذلك امتلاك نفسه عند الغضب، ولا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف، وليس عاجزاً عن رد الظلم.

لذا فقد تعددت صور المفارقة في بيان وظائفها المتنوعة في سياق الكلام؛ لتكمن عن اختيار الجند، ومن يحمل هذه الصّفات الحسنة، ومدى آثارها



الواضحة على سلامة المجتمع من العنف والانتهاك والقتل والسّلب، لذلك لابَدَ من دقة الاختيار، والتّمحيص بما يمتازوا على أقرانهم بتلك السيرة الحسنة؛ لهذا جاءت المفارقة مباشرة في صيغة التّضاد اللفظي، فهي لا تحتاج إلى التّمعن والتّفكر لوضوحها إمام المتلقي في (الضعفاء والأقوياء)؛ لجذب المتلقي نحو هذه الصّفات، وآثارها في حفظ السّلام في المجتمع، والابتعاد عن كل وسائل الظلم والاضطهاد وثوران الرعية. وإمّا ما يتجلّى في المفارقات غير المباشرة ضمن السّياق بين (اَلْعُنْفُ، واَلضَّعْفُ)، فقد قابل القوة مع الضعف كما سبق، ألاَ إنَّا نتفاجأ هنا خروج النّص عن المألوف عند عدوله في اختيار اللفظة (القوي) المضادة لكلمة (الضعف)، وجيء بلفظة مرادفة لها وهي (العنف)، والعُنْف تعني الخُرْقُ بالأَمر، وقلّة الرِّفْق به، وضد الرفق، وتعني الشدة والمشقة، فهنا تأتي المفارقة؛ لبيان أنَّ الإمام (عليه السلام) عند اختياره للفظ ليس اعتباطاً؛ وإنّما وضعت في سياقها؛ لتناسب أهمية نشر السَّلام في سوح القتال عند مواجهة العدو، أنْ لا يتعاملوا بالقوة والغضب والعنف والشدة مع النساء والأطفال والشيوخ والأسرى، وهذا ما أشار الإمام (عليه السلام) بجملة من التّوصيات عند اختياره للجند، وما يصب في مرتكزات السّلام السّياسي التي أكَّدَ عليها الإمام (عليه السلام)؛لأجل إحلاّل الأمن وتفشي السلام، وهي:

١- ترسيخ العقيدة في نفوس الجند، وقوّة عقيدته أكثر ما يعتمد على قوّة جسده.





٢- أنْ يكونَ أطهر أفراد الجيش قلباً وسريرة، ويحافظ على الأمانة.

٣- أنْ يكونَ أثبتهم حلماً وتسلطاً على نفسه أتجاه ما يثير الغضب.

٤- أنْ يكونَ أكثر مرونة مع الآخرين، ويقبل الاعتذار ويصف بالعفو عن المذنب.

٥- أنْ يكونَ رقيق القلب، كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

٦- أنْ يكونَ مقاوماً للأقوياء المعتادين لإعمال النفوذ في الدولة؛ لإحراز منافعهم ومقاصدهم وتحميل مظالمهم على الضعفاء.

المحور الثاني: دلالة التّكرار في بيان أهم الأسس والمعايير نجاح القيادي في المنظومة الإدارية والاقتصادية.

توطئة:

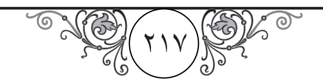
نلاحظ أنّ من ثمرات يوم الغدير اختيار القيادي المحنك له القدرة على إدارة الدولة، وتطوير شؤنها القيادية والاقتصادية والإدارية والقضائية، ونمو خيراتها، وهذا لا نستبعد في الشخصية التي كانت تأخذ مناهل علمها من النبي الأعظم (صلى الله عليه واله وسلن)، وتربت في حجره الشريف، لذا استلهم الإمام علي (عليه السلام) مفهوم السّلام من القرآن الكريم، ومن السّنة المطهرة، فقد أودع الرّسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلن)، لأمير المؤمنين (عليه السلام) أسرار النبوة،

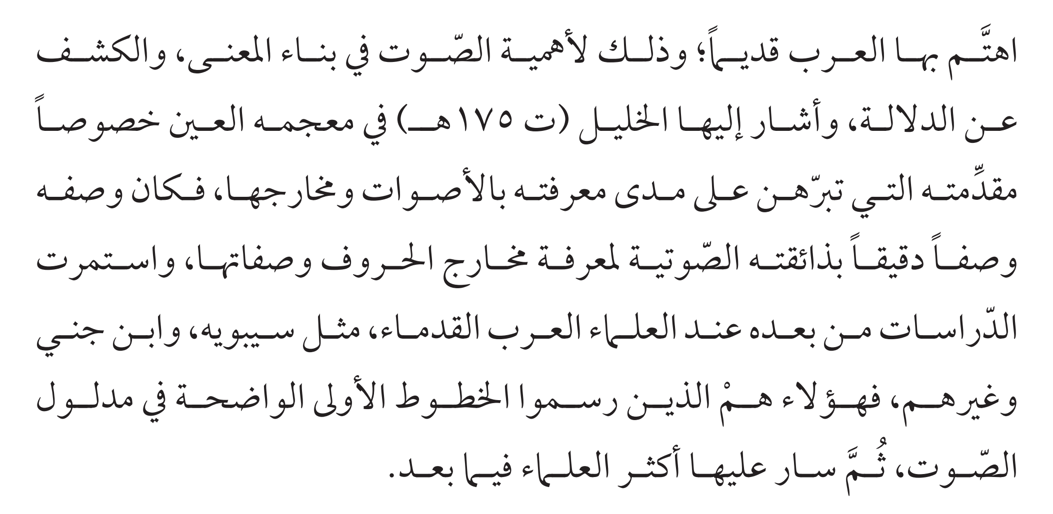


وعبء الرّسالة، ومسؤولية رعايتها وصونها، وذلك لتمهيد دور الخلافة والإمامة بين الناس من بعده، فلابد من وزير ينوب عنه، ويحلُّ محله بعد وفاته(صلى الله عليه واله وسلن)؛ ليكمل الرّسالة الرّبانية التي تحمل معالم السّلام للبشرية جمعاء؛ لذا فقد رأى الرّسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلن) خيراً من يتحلَّى بتلك الصفات التي تحقق السّلام والأمن والاستقرار والشجاعة وهي ما اختارته السماء، وتتجسد بشخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) التي صقلت منذ صباه على يديه وغذاها من عظيم خلقه وعلمه، فقد توحدت شخصية الرّسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلن) بشخصية الإمام (عليه السلام) بما يحملان من عطف الأبوة والمودة، وحب سلام للأمة، إذْ كانا أبوين لهذه الأمة فقال مصلح البشرية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلن) في خطبته يوم الغدير: ((يا علي أنت أخي ووارثي ووصيي وخليفتي في أهلي وامتي في حياتي وبعد مماتي، محبك محبي، ومبغضك مبغضي، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة،))، فيؤكد الرّسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلن) مدى حرصه على سلامة الأمة من كل الانحراف والضلال؛ لذا تمثلت شخصية الإمام (عليه السلام) بالأب المنصح، والحاكم العادل، الذي أُسس كل سبل السّلام والاستقرار، وهذا سوف ندرسه ضمن كلامه في نهج البلاغة فيما يأتي:

١-التّواتر التّكراري ودلالته الصّوتية.

تعدُّ الدّراسة الصّوتية من أهمّ مظاهر الدّراسات اللّسانية المعاصرة فقد





اهتَّم بها العرب قديماً؛ وذلك لأهمية الصّوت في بناء المعنى، والكشف عن الدلالة، وأشار إليها الخليل (ت ١٧٥هـ) في معجمه العين خصوصاً مقدِّمته التي تبرّهن على مدى معرفته بالأصوات ومخارجها، فكان وصفه وصفاً دقيقاً بذائقته الصّوتية لمعرفة مخارج الحروف وصفاتها، واستمرت الدّراسات من بعده عند العلماء العرب القدماء، مثل سيبويه، وابن جني وغيرهم، فهؤلاء همْ الذين رسموا الخطوط الأولى الواضحة في مدلول الصّوت، ثُمَّ سار عليها أكثر العلماء فيما بعد.

ودراسة الصّوت لا تنفك عن دراسة التّكرار الصوتي، الذي يعد أسلوباً أدبياً من أساليب جمالية القول، وفنونه عند العرب، واستعمل في الشعر الجاهلي و نثره، وفي القرآن الكريم، الذي نزل بلغتهم فخاطب به عقولهم؛ لهذا بهروا به، واستلذوا بسماعه، والتّكرار في اللغة: ((هو الإعادة كرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى، وكرر الحديث إذا أرددته عليه)).

أمّا في الاصطلاح، فقد بيَّن القدماء أهمية تكرار الصوت ضمن دراساتهم، وهذا ما أشار إليه ابن فارس بقوله: ((وسُنن العرب التكرير، والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))، والدّراسات الأسلوبية الحديثة، تنصب اهتمامها بالمتلقِّي، ويلفت انتباهه، وتنصب معظم عنايتها في إظهار الجرسِ الصّوتي، والأثرِ النّفسي الذي يحدثه (التكرار) لدى المتلقي.

ومن هذا المنطلق، سندرس المنهج التّطبيقي في نهج البلاغة في فكر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبما أنّ النظام الاقتصادي والإداري في

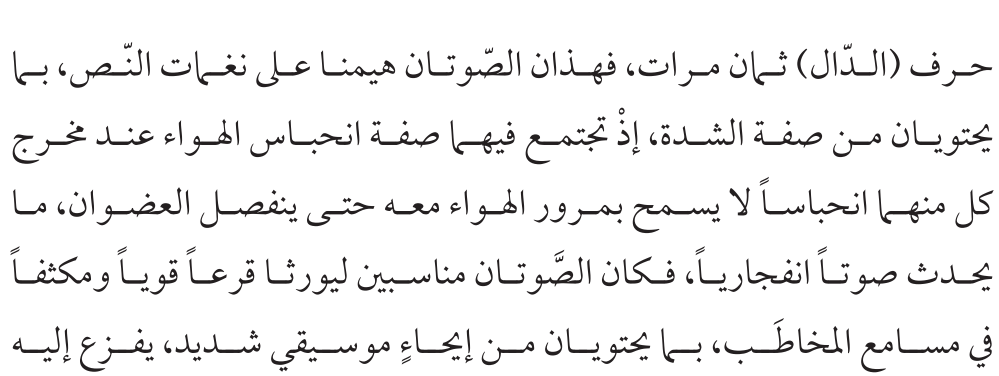
الإسلام ينبثق من القرآن الكريم، والسّنة المطهرة، سنحاول دراسة البنى الصّوتية، وبيان معطيات التّكرار وأنواعه، منه تكرار الصّوت في الكلمة:

*توعية الإمام (عليه السلام) الرّعية حول السّلامة الرّوحية وآثارها على سلامة اقتصاد البلاد.

إنَّ الشخصية التي نصبت في يوم الغدير خم، فقد أعطت نتاج ثمراتها في قوة قيادتها للدولة، وإدارة شؤونها، وتتمركز في حفظ نظامها الاقتصادي، وهذا ما نلتمسه بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) في التَّربية الذات وما يعول من التقويم الذاتي: الفردي والجماعي والمجتمعي، والحماية ما يهدد مستقبل حياة الناس، واستدامة التنمية التي تبدأ من القويم، والتقويم الفكري والنفسي والسلوكي بالقلب واللسان واليد، ونلحظ أنَّ أمير المؤمنين(عليه السلام) يستمدُ نظريته من القرآن الكريم، إذْ يرى أنَّ أعمال البشر لها تأثيرٌ كبيرٌ على بركات الأرض وسلامة اقتصادها، وهذا ما أشار إليه، بقوله:

((إِنَّ اَللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ اَلْأَعْمَالِ اَلسَّيِّئَةِ بِنَقْصِ اَلثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ اَلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلاَقِ خَزَائِنِ اَلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَقَدْ جَعَلَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ اَلاِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ اَلرِّزْقِ، ورَحْمَةِ اَلْخَلْقِ)).

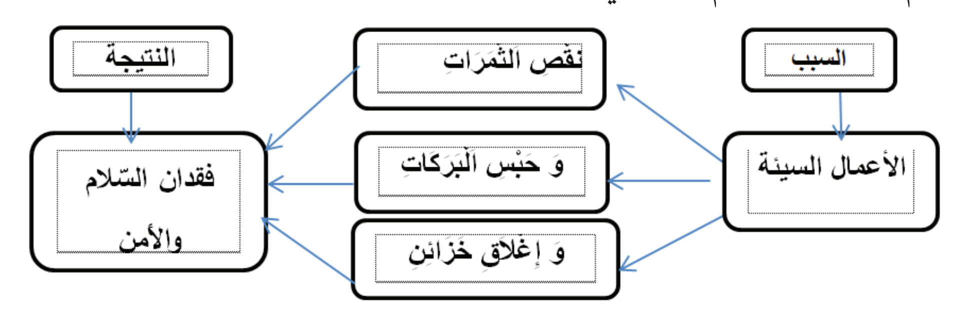
إنَّ أوّل ما يجذب المتلقي في النَّص هو الجرس الصّوتي فيه، وهو حرف (التاء) المهيمن على فضاء النّص بتكراره إحدى عشر مرة، وتواتر



حرف (الدّال) ثمان مرات، فهذان الصّوتان هيمنا على نغمات النّص، بما يحتويان من صفة الشدة، إذْ تجتمع فيهما صفة انحباس الهواء عند مخرج كل منهما انحباساً لا يسمح بمرور الهواء معه حتى ينفصل العضوان، ما يحدث صوتاً انفجارياً، فكان الصَّوتان مناسبين ليورثا قرعاً قوياً ومكثفاً في مسامع المخاطَب، بما يحتويان من إيحاءٍ موسيقي شديد، يفزع إليه المخاطَبُ؛ لتنبيهه نحو التّوجه الصّحيح نحو الخالق، وتجنب الذنوب، والهروب منها، فضلاً عن أنَّ تناسب الصّوتين (التاء والدَّال) مع سياق الحال المنسجم مع شدة الأمر وخطورته، وما يحمله من شدّةٍ وانفجارٍ في تهويل مشهد الغضب الإلهي بنقص خيرات الأرض، وجعل المتلقي يذعن ويفزع للتوبة، بما يقرعُ سمعه من قوّة هول السّخط الرّباني، وأثره على اقتصاد البلاد من حلول الكوارث التي تؤدي إلى تدهور الإنتاج، ونقص الثمرات، فالنطق بهما كان مناسباً؛ لسياق النّص بما فيه من إيقاظ من الغفلة، ولجوء إلى مسبب الأرزاق، وإنْ كان طلباً مشروعاً؛ ولكنه لمْ يكنْ هدفه (عليه السلام) المنشود بقدر الاهتمام في ترسيخ القيم العبادية والأخلاقية في نفس المتلقي والارتقاء به إلى الكمال الرّوحي، فتتجلّى هذه العبودية بتحقيق السّلام الاقتصادي، والرّفاه المعيشي بين الناس، لذا ربط أمير المؤمنين (عليه السلام) سلامة الاقتصاد وازدهاره بأعمال البشر، وتربية الذات، وهذا ما ينبه المخاطَب على أنْ تكون علاقته وثيقة بالخالق، وأسرع لنزول الخيرات، ولها آثار كبيرة في المنظومة الاقتصادية، فسلامة الاقتصاد مرتبطة بسلامة الناس من الذنوب، وقوة إيمانها بالله

وتقواها، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم، وذلك بقوله عز شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، يوضح المفسرون أنَّ هناك أثراً بين العبد والحوادث الكونية، تتبع الأعمال بعض التبعية، فالأعمال الحسنة، وسلوك الطريق الذي يرتضيه الخالق يستتبع نزول الخيرات، وانفتاح أبواب البركات، في حين عدَّ الانحراف عن صراط العبودية، يوجب ظهور الفساد في البر والبحر، وتفشي الظلم.

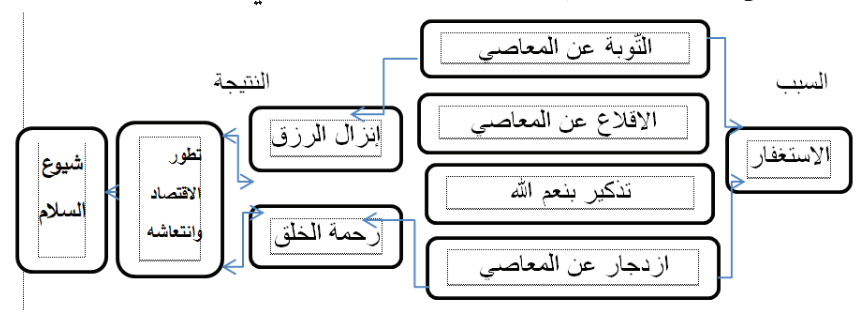
سنوضح بالمخطط أثر الأعمال السيئة على منظومة الاقتصادية في فكر الإمام (عليه السلام) بما يأتي:



واستناداً إلى ما تقدم: ((فظلم الإنسان لنفسه في حياته العملية وكفرانه بالنعمة الإلهية هما السببان الأساسيان للمشكلة الاقتصادية في حياة الإنسان. ويتجسد ظلم الإنسان على الصعيد الاقتصادي في سوء التوزيع ويتجسد كفرانه للنعمة في إهماله لاستثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها)) (٥٣).

وفي الوقت نفسه، أكَّد الإمام عليه السلام أساليب نجاح المنظومة الاقتصادية وسلامتها من الانهيار، فقد ذكر مسببات تطورها، باستعماله تردد صوت (الراء) ثلاث عشر مرة، فساعد على تشكيل صورة الحدث المكرر، وعند نطقه بطرقات اللسان على اللثة يكون تتابعاً سريعاً يصوّر لنا حالة الاستغفار وتكراره، والعزم بشدة على الاقلاع عن الذنوب، فصوت الراء شديد لثوي مجهور متوسط تكراري، ويبدو أنَّ صوت الرّاء الأقدر على التّعبير؛ لمناسبته سياق الحال في التأكيد على الجهر بالتوبة، وترددها بقلع الذنوب، والمبالغة في كثرة الاستغفار، ما يؤدي إلى استمرارية إدرار الرزق، وتواتر نزول الرحمة الربانية، وزيادة القوة للبشر، وهذا ما وعد الله تعالى به عباده في قوله سبحانه: ﴿وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾، فصوت (الرَّاء) المتواتر ثلاث عشر مرة يلفت أنظار المتلقي بوصف ظاهرة صوتية جذابة، لها إيحاءٌ بارزٌ مناسب لسياق الحال، وجهر الصوت، تتلاءم مع مقام التذكير الدائم بنعم الله، وتعظيم نعمه وتكرارها، والجهر بشكر المنعم، ويمتاز بالوضوح السمعي أيضاً؛ ليؤهله ليكون أقدر على التأثير في قلب المتلقي؛ لأنّ صوت الراء يدلُّ على التَّكرار، وديمومة الحدث، وهذا ما وضح (عليه السلام) على ارتباط الإنسان بالقيم السّماوية، وعدم الانفصال عنها، كما تدعو الأنظمة غير الإسلامية إلى عزل القيم السّماوية ومبادئها عن السَّياسة الاقتصادية. سنشير إلى جمالية الاستغفار

ومعطياتـه عـلى سـلامة المنظومـة الاقتصاديـة بـما يـأتي:



السبب النتيجة

فالمخطـط أعـلاه يوضـح معطيـات الاسـتغفار، ومـا يجنـي مـن الإنابـة والتَّوبـة والقلـع عـن المحرمـات وارتكابهـا، وتذكـير بعظمـة الخالـق، فيعطـي ثـماراً مربحـة، وتطـوراً في الخـيرات.

* ومـن مهـام القيـادي المسـالم، تمحيـص الإداريـين الجـدد بعـدم مسـاندتهم للحـكام السّـابقين.

أكَّـدَ الرّسـول الأكـرم صـلى الله عليـه والـه وسـلم) في يـوم الغديـر الوجوب في التمسـك بشـخصية أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)؛ لأجـل إحـلال السّـلام، وحفـظ دمـاء المسـلمين، إذ قـال صـلى الله عليـه والـه وسـلن): ((فاعلمـوا معـاشر النـاس أنَّ الله قـد نصبـه لكـم وليـاً وإمامـاً مفترضـاً طاعتـه عـلى المهاجريـن والأنصـار، وعـلى التّابعـين لهـم بإحسـان))(١١)، وذلـك تلبيـة نـداء السـماء، ولكـن القـوم تخلفـوا عـن تلـك الأوامـر باختيارهـم مـن لم يكـن لهـا أهـلاً، فاحتلـوا مكانـة الإمـام (عليـه السـلام)، وتقمصـوا الخلافـة منـه، فقـد خلفـوا أعوانـاً، لذلـك يـوصي الإمام(عليـه السـلام) حديثـه عـن العناية

الفائقة باختيار الإداريين في ظل حكومته العادلة، تتمتع بالنزاهة، وعدم تلطيخ أيديهم بدماء الأبرياء، ولا يكونوا أعواناً للوزراء السّابقين الظّالمين والآثمين مهما كان حجم اشتراكهم معهم، فلابدَّ من استبعاد هؤلاء عن منصة الحكم، وهذا يُعدُّ درساً واعياً عند تغيير أيّ حكم فلأبد عزل الظلمة السّابقين، وذلك جلي البيان في تكرار المقطع الصّوتي، وجمالية جرسه، بقوله (عليه السلام): ((إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي اَلْآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ اَلْأَثَمَةِ وَ إِخْوَانُ اَلظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ اَلْخَلَفِ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ)) (١٢).

يتجلّى التّقارب في المقاطع الصّوتية وتواترها، وجمالية اعتدالها وتوازيها، وتوافقها الصّوتي في تكثيف موسيقى النص، إذْ خلق نوعاً من الانسجام بين موسيقى اللفظ ومعناها، ليكون أكثر قوة على تنبيه الذهن نحو المقاصد الذي أرادها الإمام (عليه السلام)، ونلاحظ جمالية تواتر المقطع الأخير (هِمْ) في النص:))) آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، آصَارِهِمْ، وَأَوْزَارِهِمْ، وَآثَامِهِمْ) يتجلى في نهاية الكلمات ما يسمى بـ (السَّجع المطرَّف)، ويقصد به: اختلاف الفاصلتين في الوزن، واتفاقهما في التقفية)الصوت الأخير)(١٣)، وجاء التواتر المقطعي المكثف؛ لبيان إصرار أمير المؤمنين(عليه السلام)

استبدال هؤلاء الوزراء والإداريين عند تغيير الحكم، وذلك لما حملوا من رواسب في أفكارهم من القوانين الجائرة القديمة، والتّسلط العدائي على الناس، وحب إراقة الدماء؛ إنّما يصب اختياره على من يحمل فكراً نيراً، وأرْآءً سديدةً؛ لحفظ سلامة البلاد من الاضطهاد، ثمَّ واصل كلامه (عليه السلام) في بيان صفاتهم باستعمال أسلوب تواتر المقطع الصّوتي في الجناس الاشتقاقي، وجمالية اشتقاق اللفظة من جذر واحد:((وطبيعة التكرار الاشتقاقي هو أنْ تتولى مفردات لها جذر واحد حتى يكون هذا الأجراء أكثر قدرة على لفت انتباه المتلقي إلى ذلك الجذر، كما أنَّ هذا اللون من التّكرار يعمل على تركيز الدلالة في ذهن القارئ))(١٤)، وقد جاء النَّص مكثفاً بجمالية هذا التّكرار في الفقرتين، وهما:(« مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ» و» ولاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ»، فاشتقتا (ظُلْمِهِ وَإِثْمِهِ) من الفعلين الثلاثيين هما (ظلم)و(أثم)، مع تشابه المقاطع الصّوتية في نهاية الكلمة هو(مه)، أفاد هذا التّكرار تنبيه المتلقي على بيان مزية الدقة والحذر في اختيار الإداريين المخلصين، الذين لم يحملوا أوزارَ الظلمة وآثامهم، ويستوقف المخاطَب؛ لبيان مدى استبعاد هؤلاء الظلمة عن مواقع الدّولة واستبدالهم من الأكفياء والمخلصين من البيوتات الصّالحة المعروفة بالتّقوى، وحسن السيرة، فأعطى تكرار المقطع ظلالاً للمعاني، وهو التأكيد على الاختيار الدّقيق في تنصيب الإداري المخلص ومراقبته، والتّركيز على أهم شريحة التي لها ثقلها في المجتمع، وقد يكون هؤلاء(أعوان الظلمة)هم أشدَّ خطورة من الحكام أنفسهم؛ لسرعة تنفيذ أوامرهم، والتّملّق لهم؛ لأجل

كسب الأموال أو المنصب على حساب دماء الآخرين، ثُمَّ واصل (عليه السلام) حديثه في بيان أهميتهم في إحسانهم ومعونتهم له، والوقوف في مواطن الضعف معه، وسندهم عند اصدار القرار، وذلك بتكرار المقطع الصّوتي الأخير وهو (ونة) في نهاية الجملتين: (أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً) ضمن السّجع المتوازي، ويقصد به: أنْ تكون الكلمتان الأخيرتان متَّفِقَتَيْن في الوزن وفي الحرف الأخير منهما، مع وجود اختلاف فيما قبلهما في الصوتين، أو في أحدهما(١٥)، وسميَّ أيضاً بالجناس المضارع، وذلك لاختلافهما بحرف متقارب من المخرج وهما (الهمزة والعين)(١٦)، ويتوجه السّجع أو الجناس بتوجه الدّلالة مع مناسبة الفكرة المراد منها، ثَمَّ ورد تكرار المقطع ضمن استعمال السّجع المتطرف في الفقرتين: «وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفا »، على الرَّغم من أنَّ تكرار جمالية المقطع الصَّوتي (فاً) جاء؛ ليخدم المعنى المراد منه، وبيان مزايا الإداري الناجح، وعليه يظهر هذا التّلوين الصّوتي في النصوص من تنوع في المقاطع، وتوزيعها بصورة دقيقة تتناسب مع المعاني المراد منها، لافتاً النظر، ومنبهاً على الفكرة عند استعمال الجناس والسجع في تواتر التكراري يؤدي إلى خلق من حالة التّأمل لدى المتلقي في جمالية التكرار.

وسنوضح جمالية تكرار المقطع في المخطط أدناه:

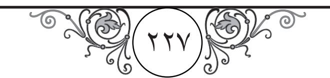
الفقرة	عدد الكلمات	المقطع الاخير	الحرف الروي	نوع الظاهرة	دلالة القصد
مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ َأَوْزَارِهِمْوَ آثَامِهِمْ.	٤	هِمْ ص ح ص	الميم	(السَّجع المطرَّف)	استبدال الخونة بالأكفياء، والدقة في الاختيار.
لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ	٢	مِهِ ص ح ص	الهاء	(السَّجع المطرَّف)	النزاهة وحسن السيرة بعدم مشاركته مع الظلمة.
أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً	٣	ونَةً ص ص ح ص	التاء	الجناس المضارع والسجع المتوازي	الاعتماد عليه في وقت الضيق.
وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَ أَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً	٢	فاً ص ح ح ص	الألف		الولاء الصادق للوالي.

يلاحظ من المخطط السّابق، وجود هيمنة المقطع الطويل المقفل على سائر المقاطع الأخرى، عند تردد(هِمْ) أربع مرات في النص:» **مِمَّنْ لَهُ** مِثْلُ آرَائِهِمْ، وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ «، وهذا يؤكد على بلورتها للدلالة على مدى أهمية نزاهة الإداري، ومدى أثره العظيم في سلامة الناس، واقتصاد البلاد.

ويمكن إجمال تحقيق السلام عن طريق اختيار الإداريين الأكفاء، فيما يأتي:

أولاً: أنْ يكون المكلَّف مستقيماً في سلوكه، ولم يُعين ظالماً من قبل.

ثانياً: اكتشاف الطاقات، وعدم إعطاء المناصب لفئة معينة.



ثالثـاً: عــدم تقريــب المتــورط بالظلــم؛ لأنَّــه لا يؤمــن شره، وتأثــيره في مصـادر القـرار العليـا المتصلـة بمصائـر العبـاد، أو الخـوف عـلى ثـروات البـلاد منــه (١٧).

*الإدارة الناجحة في استعمال مبدأ إثابة المحسن، ومعاقبة المسيء.

إنَّ مــن مثمــرات يــوم الغديــر ترسـيخ مبــدأ الطاعــة والــولاء المطلــق لأمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، كـما أكّـدَ النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه والـه وسـلن) في خطبتـه في يـوم الغديـر عـلى الفـوز العظيـم عنـد الأخـذ بتعاليـم الإمـام (عليـه السـلام) وطاعتـه، فتـؤدي إلى الفـوز في الداريـن بقولـه صـلى الله عليـه والـه وسـلن): ((مَعـاشِرَ النّـاسِ مَـنْ يُطِـعِ الله وَرَسُـولَهُ وَعَلِيّـاً وَالأئِمَّـة الَّذيـنَ ذَكَرْتُهُـمْ فَقَـدْ فـازَ فَـوْزاً عَظيـماً))(١٨)، ومـن هـذا المنطلـق يوضـح لنـا أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) طريـق السّـعادة، وطريـق العدالـة عندمـا لا نسـاوي بـين المحسـن والمسيء في منهجـه التّطبيقـي الـذي أراد أنْ يعمـل بـه الـولي، حتـى لا يكـون في المجتمـع إجحـاف في حقـوق الآخريـن؛ بـل تطبيـق نظـام العـدل والقيـم السـماوية التـي ناشـد بهـا الإمـام (عليـه السـلام)؛ لكـي يحظـى المجتمـع بالنزاهـة والرفاهيـة عنـد تطبيـق أوامـره والأخـذ بهـا، ومـن تلـك القوانـين العادلـة، هـي عـدم المسـاواة بـين المحسـن والمسيء، وهـذا مـا نلتمسـه في خطبـة عنـد تكـرار اللفظـة ومدلولهـا؛ لتوضيـح لنـا القصـد مـن وراء تكرارهـا، ومـن هـذا المنطلـق أوصى الإمام(عليـه السـلام)عامله عـلى مـصر بذلـك في قولـه: ((وَلاَ يَكُونَـنَّ الْمُحسِـنُ والْمُسِيءُ عِنـدَكَ بِمنزِلَـةٍ سَـوَاءٍ، فَـإِنَّ في ذَلِـكَ تَزْهيـدًا لأَهْـلِ الإحْسـانِ فِي الإحسـانِ، وَتَدرِيبًـا لأَهـلِ الإِسـاءَةِ

عَلى الإِساءَةِ، وأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهم مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ))(١٩).

إنَّ تكرار اللفظة وما يرافقها من إيقاع موسيقي ساعد بشكل كبير في معرفة الأثر الدّلالي في النّص، ووردت كلمات متكررة متوازية تامة في الوزن والهيئة، ومتقابلة في المعنى، وهذا التّكرار خلق انسجاماً تاماً، أضفى جرساً واضحاً ليشدُّ أذهان المتلقي حول الهدف المراد منه، وجاء تواترهما؛ لإفادة تنبيه الوالي، وإرشاده حول المعاملة الحسنة في تقيّم المحسن، ومعاقبة السيء، وعدم مساواتهم في الحقوق، وقد يحمل هذا الخطاب في مضمونه فكراً أخلاقياً ناجحاً، يهدف إلى ارتقاء المجتمع إلى حماية حقوق الآخرين، وتحقيق العدالة، والإنصاف بينهم.

وكذلك، أضفى تواتر اللفظتين، تنبيه المتلقي على أنَّ قيمة الفرد ما يقدّمه من انجازات في عمله وإخلاصه له، وعليه، فأراد الإمام (عليه السلام) تفعيل قانون التّرغيب والتّرهيب في النظام الإداري عن طريق مكافأة المحسن على إحسانه، ومحاسبة المسيء على إساءته؛ لتحقيق العدالة في ظل حكومته الواعية، وإحلال سبل السّلام، وتعزيز دور الرّقابة الذاتية للأفراد في المجتمع، وذلك عند إثابة المحسن، وتأنيب المسيء، وزجره بعدم تكريمه.

*ترسيخ مبدأ نجاح الشخصية الإدارية في حبها للإنصاف، وابتعادها عن الظلم والجور.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه في وعظه وارشاده في كيف يكون

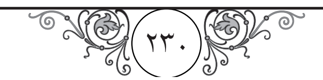


الإداري الناجح في مهامه في حالة التّحلي بالإنصاف مع الله، وانصافه للناس، ثُمَّ وضح أسباب فشله، وذلك عند وضوح الفكرة بتكرار الجملة، وبيان مقاصدها، بقوله: ((أَنْصِفِ اللهَّ، وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهَّ كَانَ اللهُّ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ))(٢٠).

إنَّ هيمنة تواتر جملة الإنصاف في النص، وجمالية إيقاعها، وأزيز صوت الصّاد وصفيره، ولد جرساً يوحي بالتنبه، وعدم الغفلة للعمل بالإنصاف واستمرارية الدوام به، مع الخالق والمخلوق، ولو نظرنا إلى هذه الوصايا القيمة في الإرشاد، ووعظ الإداري بما يمتلك من القيم بناءة؛ لتمثّل دستورًا خلاقًا ودليلاً على نجاح أية حكومة، وهذا ما أشار بوجوب الأخذ بالنصائح والتعاليم؛ لتكوين شخصية إدارية ناجحة، بما تمتلك الرؤية الشرعية في أعمالها، وعند اتخاذ قراراتها، ومتوازنة تتناسب مع طبقات المجتمع جميعاً (٢١).

ثُمَّ وضح أمير المؤمنين (عليه السلام) أسباب فشل الإداري، لانتهاكه حقوق الرّعية، وذلك عند تكرار جملة الظلم(إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهَّ)، وهذا التّكرار ذو طبيعة إيحائية للدلالة في المبالغة في الظلم، فأعطتْ إلى المعنى الظاهر إيحاءاً صوتياً بتكرار الجملة مرتين؛ للتوبيخ والوعيد من آثار الظلم، ولبيان أسباب المشكلة يمكن إجمالها بحالين مهمين، هما:

أولاً– تقديم الحكام أرحامهم وأصدقائهم وأعوانهم، وتمكّنهم من مهام



الدولـة، وعـدم مراعـاة الأكفيـاء لكفاءاتهـم ومؤهلاتهـم، ومـدى قدراتهـم للنهـوض بهـذه المسـؤوليات، وهـذا مـا يـضر البـلاد.

ثانيـاً -عنـد توليـة غـير أكفيـاء تفسـد البـلاد وتدمـره، فـالإدارة غـير الكفـؤة تـؤدي بالمجتمـع إلى الانحـراف، وهـذه كلهـا وسـائل ضعـف الأمـة وانهيـار اقتصادهـا، وفـوران الرعيـة عـلى الـوالي (٢٢).

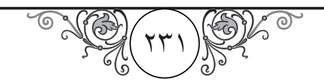
النتائج.

يمكن إجمال أهم النتائج ما وردت من البحث ما يأتي:

١- وردت المفرقـة في كلام الإمـام (عليـه السـلام) مـن نـوع تعـدد المعنـى، فلـكلِّ نـصٍّ مـن نصـوص لـه دلالات متعـددة، وأوجـه مختلفـة في الدلالـة، تعتمـد بحسـب ثقافـة المتلقـي في فهـم النّـص، وتأويلاتـه الجديـدة، مـا قـاد إلى إثـراء النّـص.

٢- وظّفـتْ مفارقاتـه (عليـه السـلام)؛ لتنبيـه المخاطَـب وإرشـاده، وكيفيـة اختيـار الأصلـح عـن طريـق المفارقـات في بيـان الشـخصية القياديـة المسـالمة عـن أضدادهـا، وتتجلّى جماليـة أسـلوب المفارقـة في اقتصـاد اللغـة وإيجازهـا، وذلـك لـترك المتلقـي فسـحة للتأويـل، وإظهـاره مـن المعـاني المخفيـة.

٣- إنَّ تكـرار الحـرف أو المقطـع أو الكلمـة أو الجملـة كـما وضحنـا سـابقاً لم يتـأتَ؛ لأجـل غايـة صوتيـة أو صرفيـة؛ بـل لأجـل وضـوح الفكـرة المـراد منهـا، فتواتـر الصـوتي يوحـي أهميـة كبـيرة للنـص، فيعطـي جماليـة للنـص، وإيقاعـاً موسـيقي يجـذب انتبـاه المتلقـي نحـو قصديـة المخاطِـب.





٤-أمّا الجانب الدّلالي، فهو الذي يضفي معاني أخرى للنص، وهذا ما يتضح بظهور المقاصد التي أرادها الإمام (عليه السلام)، وهي لتأكيد التّرهيب أو التّرغيب أو التّحذير وغيره، لإسراع وصول الفكرة.

المصادر والمراجع.

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.

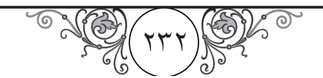
- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٢٠ه) تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، ١٣٨٦ هـ -١٩٦٦ م.

- الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه)، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع)؛ لتحقيق التّراث دار المفيد للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- أساس البلاغة ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٨م٠

- أسس العدالة والاعتدال عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد صادق محمد رضا الخرسان، الطبعة الثالثة، الناشر دار البذرة، (د. ط) ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

- الأسلوبية والأسلوب، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد١٩٨٥م.



- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السّلام المسّدي، الدار العربية للكتاب الطبعة الثالثة، (د. ت).

- الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس، د. عادل نذير الحساني، دار الرضوان، مؤسسة دار الصادق الثقافية -عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢ م.

- أسلوب البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النّص الإبداعي، د. رحمن غركان، دار الرائي، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

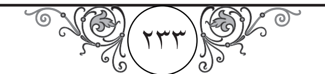
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس مطبعة الانجلو المصر، (د ط)، ٢٠٠٧ م.

- أصول الكافي، محمد حسين يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧م.

- إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس(٦٦٤)، تحقيق: جواد القيومي الاصفهان، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- اقتصادنا دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث لمذاهب الاقتصادية الماركسية الرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية وتفاصيلها، السيد محمد باقر الصدر، دار المعارف، الطبعة الأولى١٤٣٣-٢٠٠١م.

- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم - بيروت،



الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، (ت ١١١١ه)، تحقيق: إبراهيم الميانجي، محمد الباقر، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ه- ١٩٨٣ م.

*البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ه)تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الشاملة، دار المعرفة - بيروت (د. ط)، ١٣٩١ه.

- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني(ت١١٠٧م) تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم، (د -ط)، (د -ت).

- البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وبلاغتها، وفنونها وصورٌمن تطبيقاتها بهيكلٍ جديدٍ من طريفٍ وتليدٍ، عبد الرّحمن حسن حَبنَّكه الميداني، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م

- البلاغة والأسلوبية، هنرش بليت، المترجم وتقديم وتعليق د، محمد العمري، بيروت -لبنان، ١٩٩٩م

- بيعة الغدير، محمد باقر الأنصاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ١٣٨٠ ه.

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن المؤلف: ابن الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) تحقيق: أحمد مطلوب - خديجة الحديثي - نشر مطبعة العاني ببغداد - ط١ - ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤م.

- التّعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية - قم، الناشر: منشورات مدينة العلم- آية الله العظمى الخوئي، قم - إيران، ١٤٠٧- ١٣٦٦ ش.

- الدّلالة الصّوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الكتنب العربي الحديث، الاسكندرية، (د، ط)، (د، ت).

- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل، مؤسسة لإسماعيليان للطباعة والنشر (د -ط) و(د- ت).

- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)، عني بتحقيقه وتصحيحه عدة من الأساتذة الأفاضل، قم المقدس -ايران، الطبعة الأولى، ١٣٦٢هـ.

*الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، وعلق عليه أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د-ط)، ١٩٩٧ م.

- علم الاقتصاد في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر، دار أنباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر دار الأمل أربد-



الأردن الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

- علي ونظام الحكم في الإسلام، محمد باقر الناصري، دار الزهراء، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

- العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥ه)، مكتبة الهلال، تحقيق:د. مهدي المخزومي، دكتور إبراهيم السّامرائي (د - ط)(د - ت).

- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى (د -ت).

- مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ) تحقيق:د. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المفارق في شعر الرواد، قيس حمزة الخفاجي، دار النشر الأرقم للطباعة بابل -العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

- المعجم العربي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

- المعجم الوسيط، د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد الزيات، ود. حامد عبد القادر، د. محمد النجار تحقيق: مجمع اللغة العربية(د، ط) (د، ت).

- المفارق في شعر الرواد، قيس حمزة الخفاجي، دار النشر الأرقم للطباعة بابل -العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

- مفردات ألفاظ القرآن، ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ ه) دار النشر / دار القلم دمشق (د-ت).

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت١٣٢٤ هـ)، تحقيق علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة، ١٤٢٤-٢٠٠٣م.

- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي(ت ١٤٠٢م)، مؤسسة النشر الإسلامي-قم، (د ت).

- نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) جمعه وحققه، الشريف الرضي، مطبوعات دار الأندلس، النجف الأشرف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه- ٢٠١٠ م.

الدوريات.

- التّكرار في الحكم والمواعظ في نهج البلاغة دراسة دلالية، (بحث) د. تحسين فاضل عباس، وميثاق علي عبد الزهرة السلمي، مجلة اللغة العربية وآدابها كلية الآداب/ جامعة الكوفة، العدد. ٢٦

- صراع المفارقة بين السخرية والمناقضة، دراسة لغوية ودلالية، علي عندليب، حيدر فرع شيرازي (بحث): بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان / العدد ٢٠



ربيع وصيف ١٤٤٠ هـ. ق/ ١٣٩٨هـ.

- المنهج الأسلوبي في تحليل الخطاب الإبداعي(بحث)، أ. ميس عوده، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات - العدد ٢٥ السنة م٢٠١١ م.

الهوامش:

١- العين: ٨/ ٨.

٢- لسان العرب، باب(دلل): ١١/ ٣٤٧.

٣- مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ٣١٦، ٣١٧.

٤- التّعريفات: ٩١.

٥- ظ: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض:٢٥.

٦- ظ: علم الدّلالة التّطبيقي في التّراث العربي:٢٣.

٧-)) العين باب (السين واللام والباء معهما): ٧ / ٢٦١.

٨-)) لسان العرب، مادة (سلب): ١ / ٤٧١.

٩- مفردات ألفاظ القرآن:١/ ٤١٨.

١٠- البلاغة والأسلوبية، هنرش بليت)): ١٠.

١١-)) الاحتجاج: ١/ ٨٤. إقبال الأعمال:٢/ ٢٤٦، بيعة الغدير: ٢٤

١٢- نهج البلاغة:٣/ ٤٦١.

١٣- ظ: الإيضاح:٣٦٢.

١٤- الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس، الدكتور عادل نذير الحساني: ٢٦٤.

١٥- ظ: البلاغة العربية أسسها وعلومها وبلاغتها:٥٠٧.

١٦- ظ: التّبيان في علم البيان المطُلع على إعجاز القرآن: ١٦٧.

ظ: التّكرار في الحكم والمواعظ في نهج البلاغة دراسة دلالية، د٠ تحسين فاضل عباس، وميثاق علي عبد الزهرة السلمي (بحث) مجلة اللغة العربية وآدابها / كلية الآداب / جامعة الكوفة، العدد ٢٦: ٣٧.

١٧- ظ: أُسس العدالة والاعتدال عند أمير المؤمنين (عليه السلام):٢٧.

١٨-)) الاحتجاج: ٨٣، بحار الأنوار:٣٧/ ٣١٧.

١٩- نهج البلاغة: ٣/ ٤٠٦.

٢٠- المرجع نفسه:٣/ ٤٥٩، ٩٥٨.

٢١- ظ: موسوعة الجهادية وأهدافها عند الإمام علي (عليه السلام): ٤/ ٩٧.

٢٢- ظ: علي ونظام الحكم في الإسلام: ٥١-٥٢.

غديرُ خُمٍّ وأسماؤهُ دراسةٌ دلاليَّةٌ

م. م. حيدر عبد الرسول عوض

توطئة

اللهم ربَّنا لك الحمدُ كما رضيتَ به لنفسك، وقضيتَ به على عبادك، والصلاة والسلام على محمد وآله أشرف خلقك، وبعد:

فإنَّ شخصيات الأحداث المهمة والمصيرية في حياة الأمم وزمانها ومكانها لا تختار اعتباطًا، بل تعد سلفا ويهيأ لها ايذانًا بوقوعها، ويكون اسم مكانها دلالة على أحداثها، من ذلك على سبيل المثال اسم كربلاء، فهي من كرب وبلاء، إشارة إلى ما يجري فيها من أحداث، وقد سميت بهذا الاسم قبل معركة الطف؛ إذ روت أم سلمة رضي الله عنها أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخل عليَّ أحدٌ، فانتظرت فدخل الحسين رضي الله عنه،...، فقلت: والله، ما علمت حين دخل، فقال: إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت فقال تحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم، قال إنَّ أمَّتكَ ستقتلُ هذا بأرض يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وسلم فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال:

صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء))[1] وكان ذلك والإمام الحسين عليه السلام صبيا، فهي سميت بهذا الاسم قبل ولادته.

ومن هذه الأحداث حادثة غدير خم وتنصيب الإمام علي عليه السلام إمامًا للمسلمين بأمر الله سبحانه، والسؤال الذي يحاول البحث الإجابة عنه هو: هل يوجد علاقة بين غدير خم وما أطلق عليه من أسماء والحادثة التي جرت فيه، كما هو في حادثة كربلاء؟.

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من استقراء الأسماء التي سُمِّيَ بها هذا المكان ومعرفة دلالتها أولا، ثم بيان صلة هذه الدلالة مع الحادثة التي جرت فيها ألا وهي تنصيب الإمام علي عليه السلام إمامًا للمسلمين.

أسماء مكان غدير خُمٍّ ودلالتها

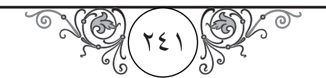
سُمي غدير خُمٍّ بأسماء عدة، منها[2]:

١- غَدير خُمٍّ: يعد من أشهر أسماء هذا المكان، ودلالته أكثر التصاقا بالحادثة التي وقعت فيه، وقد ذكرته عشرات المصادر منها: الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ما رواه ((عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمت ثم قام فقال كأني قد دعيت فأجبت إني تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١٠٩ح٢٨١٩، ٢٣/ ٢٨٩، مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٩.

(٢) ينظر: غدير خم دراسة تاريخية: ١٩- ٢٣.



الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))(١).

والغدير: ((القطعة من الماء يغادرها السيل. وهو فعيل بمعنى مفاعل، من غادره، أو مفعل. من أغدره. ويقال: هو فعيل بمعنى فاعل، لأنه يغدر بأهله، أي: ينقطع عند شدة الحاجة إليه))(٢)، وهو من (غدر): ((أصل صحيح يدل على ترك الشيء... والغدير مستنقع ماء المطر وَسُمِّي بذلك؛ لأن السيل غادره، أي: تركه))(٣)، أو هو ((تَخَلُّفُ مائع أو رخو عن المصدر أو الأصل))(٤).

فهذا الاسم يدل على أنَّه ماء غادره السيل، وهذا هو الراجح، لأنَّ الماء لم يغدر بنفسه بل السيل الذي قطعه فظن أنه غادر، والحقيقة أن الغدر للسيل لا له، فهو لم يغدر بأهله.

(١) المعجم الكبير: ٥/ ١٦٦ح٤٩٦٩، ورواه النسائي في فضائل الصحابة: ١٥، وفي السنن الكبرى: ٥/ ٤٥ح٨١٤٨ وبطرق عدة، وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣/ ١٠٩٩، وغيرها كثير.

(٢) الصحاح: ٢/ ٧٦٦(غدر).

(٣) مقاييس اللغة: ٤/ ٤١٣(غدر)

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٣/ ١٥٦٠(غدر).

وخـمٌّ- ضُبِطَ بضم الخاء وَبِفَتْحها[1]-: مأخوذ من((فلان مخموم القلب، أي: نقيه، فكأنَّها سُمِّيت بذلك لنقائها))[2].

٢- الجُحْفَة، ورد هذا الاسم في حديث ((عائشة بنت سعد، عن أبيها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجحفة وأخذ بيد علي، فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنِّي وليُّكم؟. قالوا: صدقت يا رسول الله، وأخذ بيد علي رضي الله عنه فرفعها فقال: هذا وليي، والمؤدِّي عنِّي))[3]، وفي حديث آخر: ((عن جابر بن عبد الله قال: كنا بالجحفة بغدير خم، إذا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)))[4].

وهو من باب تسمية الجزء باسم الكلِّ، لأنَّ خُمًّا جزءٌ من وادي الجُحفة الكبير[5]، وورد عن الصادق عليه السلام: ((ووَقَّتَ لأَهْلِ الْمَغْرِبِ الْجُحْفَةَ وهِيَ مَهْيَعَةُ))[6] وفي رواية ((ووَقَّتَ لأَهْلِ الْمَغْرِبِ الْجُحْفَةَ وهِيَ عِنْدَنَا مَكْتُوبَةٌ مَهْيَعَةُ))[7].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١٢/ ١٩١(خمم).

(٢) معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩، وينظر: لسان العرب: ١٢/ ١٩٠(خمم).

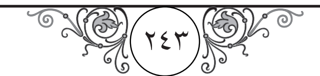
(٣) السنة لابن أبي عاصم: ٥٥١ح ١١٨٩، السنن الكبرى للنسائي: ٥/ ١٠٧ح٨٣٩٧، البداية والنهاية: ٥/ ٢٣١.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة: ٧/ ٤٩٥ح٩، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٢٤.

(٥) ينظر: غدير خم دراسة تاريخية: ٢٢.

(٦) الكافي: ٤/ ٣١٨ح١.

(٧) الكافي: ٤/ ٣١٩ح٣.



وهو من (جحف): ((أصل واحد قياسه الذهاب بالشيء مستوعبا،... وسميت الجحفة؛ لأن السيل جحف أهلها، أي: حملهم))[١]، وقال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): ((موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشأم، وكان اسمها مهيعة فأجحف السيل بأهلها، فَسُمِّيتْ جُحفة))[٢].

٣- المَهْيَعة: ((اسم الجحفة، وهي ميقات أهل الشام، وبها غدير خم، وهي شديدة الوخم... وفي حديث علي: (اتقوا البدع والزموا المهيع) هو الطريق الواسع المنبسط. والميم زائدة، وهو مفعل من التهيُّع: الانبساط))[٣]. وهذا الاسم مرتبط بما قبله، ولعلَّه من الهيعة، وهو ((سيلان الشيء المصبوب على وجه الأرض))[٤].

وهذا الاسم والذي قبله لا يبتعد عن المعنى الأول من أنه ماء أصابه سيل.

٤- الغَيْضَةُ: قال عنها أبو إسحاق الحربي(ت: ٤٣٨هـ): ((وهي غدير خم، وهو غدير ماء، حوله شجر كثير ملتف))[٥] وقال عنها البكري(ت: ٤٨٧هـ): ((وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتفٌّ، وهي

(١) مقاييس اللغة: ١/ ٤٢٧- ٤٢٨(جحف).

(٢) الصحاح: ٤/ ١٣٣٥(جحف).

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٧٧.

(٤) الصحاح: ٣/ ١٣٠٩(هيع).

(٥) المسالك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: ٤٥٨.

الغيضة التي تسمى خمًّ[1]))[2]، وقيل: ((إن خُمًّا اسم غيضة هناك، وبها غدير نسب إليها))[3]. ولغويا هي((المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه)) [4]، أو ((الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر))[5].

ولا يختلف عن المعنى الأول أيضا من أنه ماء مجموع ثم غيض.

٥- الخَرَّار: ورد ذكره بأنه((موضع غدير خمٍّ يقال له: الخَرَّار))[6]، وقال المسعودي(ت: ٣٤٦هـ) عنه في ذيل حديث الغدير الذي ذكره: ((وغدير خُمٍّ يقرب من الماء المعروف بالخَرَّار بناحية الجُحفة))[7]، وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ): ((موضع قُرب الجُحفة))[8]. وهو من ((الخَرَّارَةُ: عَيْنُ الماءِ الجارِيَةُ، سميت خَرَّارَةً لِخَرِيرِ مائها، وهو صوته))[9].

وهذا المعنى متصل بالماء أيضًا.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) معجم ما استعجم: ٢/ ٣٦٨.

(٣) معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٩.

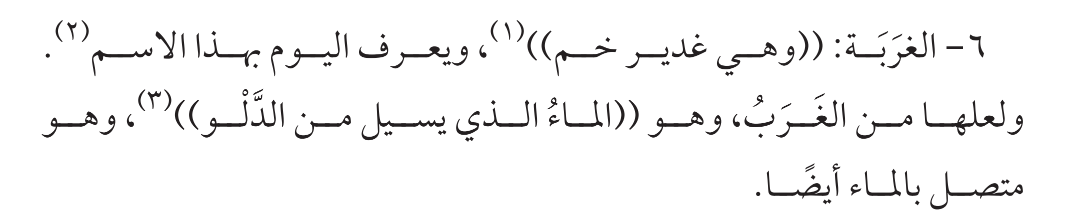
(٥) الصحاح: ٣/ ١٠٩٧(غيض).

(٦) معجم ما استعجم: ٢/ ٤٩٢.

(٧) التنبيه والإشراف: ٢٢١.

(٨) تنوير الحوالك: ٦٧٦.

(٩) لسان العرب: ٤/ ٢٣٤(خرر).



٦- الغَرَبَـة: ((وهـي غدير خـم))[١]، ويعـرف اليـوم بهـذا الاسـم[٢]. ولعلهـا مـن الغَـرَبُ، وهـو ((المـاءُ الـذي يسـيل مـن الدَّلْـو))[٣]، وهـو متصـل بالمـاء أيضًـا.

فتبـين مـن مـا تقـدم أن مـكان غديـر خـم والأسـماء التـي سُـمي بهـا، معظمهـا تـدور في معنـى واحـد، وهـو (المـاء) وأنَّ هـذا المـاء قـد أصابـه سـيل، وغيـض، وغـدر بـه.

العلاقـة بـين دلالـة غديـر خُـمٍّ وأسـمائه المركزيـة (المـاء) والإمـام عـلي عليـه ا السلا م

تبـيَّن مـن مـا تقـدم أن غديـر خـم وأسـماءه تـدور معظمهـا في معنـى المـاء، وأن هـذا المـاء أصابـه سـيل، وغيـض، لكـن مـا العلاقـة بـين حادثـة الغديـر التـي نُصـب فيهـا الإمـام عـلي إمامًـا للمسـلمين، وبـين دلالـة أسـماء المـكان التـي حدثـت فيـه؟.

خـير مـا يبحـث فيـه للإجابـة عـن هـذا السـؤال هـو القـرآن الكريـم وروايـات أهـل البيـت عليـه السـلام.

إن مفـردات القـرآن الكريـم وجملـه وعبائـره كلهـا جـاءت بقصـد، ولا محـل للاعتبـاط فيهـا، فهـو كلام الله سـبحانه الـذي خلـق كل شيء بقـدر، وهـذه

---

(١) معجم معالم الحجاز: ١٢٥٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤٤.

(٣) لسان العرب: ١/ ٦٤٣(غرب).

القصدية في التعبير لا تعني أن لكل لفظ وجملة وعبارة معنى محددا، فتحديد الدلالة وانغلاقها لا يتلاءم ووصف الإمام علي عليه السلام للقرآن الكريم بأنه: ((ظَاهِرُه أَنِيقٌ، وبَاطِنُه عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُه، ولَا تَنْقَضِي غَرَائِبُه))[1]، ولا يوجد تضارب بين القصدية وانفتاح الدلالة: ((لأنَّ الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضٌّ إلى يوم القيامة))[2]، فتعدد الوجوه الدلالية أيضًا مقصود منه سبحانه، وإلَّا لما كان يصلح لكل زمان ومكان.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله: ((إِنَّ الْقُرْآنَ لَه ظَهْرٌ وبَطْنٌ))[3]، فظاهره مقصود وباطنه أيضًا كذلك، ومنها يأتي انفتاح الدلالة وعدم انحسارها في وجه محدد.

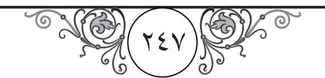
وقد وردت مجموعة من الأحاديث عن النبي وآله عليهم السلام تُبين أن (الماء) في أكثر من آية من القرآن هو الإمام علي عليه السلام، وبعضها أولت (الماء) بالإمام مطلقًا، وبعضهم حصرته بالإمام المهدي عجل الله فرجه، فمن المجموعة الأولى:

أ- عن جابر عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية في البطن (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)

(١) نهج البلاغة: ٦١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٩٣.

(٣) الكافي: ١/ ٣٧٤.



[1] قال: ((السماء: في الباطن رسول الله، والماء: علي عليه السلام، جعل الله عليًّا من رسول الله صلى الله عليه وآله فذلك قوله: (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فذلك عليٌّ يطهر الله به قلب من والاه، وأما قوله: (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) من والى عليًّا يذهب الرجز عنه، ويقوي قلبه))[2].

ب- قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: ((وقوله: (مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)[3] فهو علي عليه السلام في الباطن))[4].

ت- قول النبي صلى الله عليه وآله: ((إن الله عز وجل خلق ماءً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمَّا أن خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثم نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في صلب عبد المطلب، ثم شقَّه الله عز وجل بنصفين، فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطلب، ونصف في أبي طالب، فأنا من نصف الماء، وعلي من النصف الآخر، فعلي أخي في الدنيا والآخرة، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: (وَهُوَ

---

(١) سورة الأنفال: ١١.

(٢) تفسير العياشي: ٢/ ٥٠ح٢٥، تفسير فرات الكوفي: ١٥٣ح١٩٠.

(٣) سورة محمد: ١٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢/ ٥٨٦ح١٣.

الَّـذِي خَلَـقَ مِـنَ الْمَـاءِ بَـشَرًا فَجَعَلَـهُ نَسَـبًا وَصِهْـرًا)[1]))[2].

ومن المجموعة الثانية التي فسرت الماء بالإمام مطلقًا:

أ- قوله صلى الله عليه وآله: ((... أمَّا فضلي على النبيين، فما من نبيٍّ إلا دعا على قومه، وأنا أخَّرتُ دعوتي؛ شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة، وأمَّا فضل عشيرتي وأهل بيتي وذُرِّيتي كفضل الماء على كلِّ شيء، وبالماء يبقى كلُّ شيء، ويحيا، كما قال ربي تبارك وتعالى: (وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)[3]، وبمحبة أهل بيتي وعشيرتي وذُرِّيتي يستكمل الدين))[4].

ب- عن فضالة بن أيوب قال: سُئل الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)[5]، فقال عليه السلام: (((ماؤكم): أبوابكم- أي: الأئمة عليهم السلام- والأئمة أبواب الله بينه وبين خلقه، (فمن يأتيكم بماء معين) يعني: بعلم الإمام))[6].

ومن أحاديثهم عليهم السلام التي تؤيد ذلك قول الإمام الرضا عليه

(١) سورة الفرقان: ٥٤.

(٢) الأمالي للطوسي: ٣١٣ح ٦٣٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٤) الاختصاص للمفيد: ٣٧.

(٥) سورة الملك: ٣٠.

(٦) تفسير القمي: ٢/ ٣٧٩.



السلام من حديث طويل: ((الإِمَامُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَأِ))[1].

ومن المجموع الثالثة التي فسرت الماء بالإمام المهدي عجل الله فرجه:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)[2] قَالَ: ((إِذَا غَابَ عَنْكُمْ إِمَامُكُمْ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِإِمَامٍ جَدِيدٍ))[3]، وفي آخر: ((إذا فقدتم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد))[4]، وفي آخر: ((إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون؟))[5].

- فتبيَّن من ما تقدَّم أنَّ المقصود بالماء في بعض آيات القرآن الكريم هو الإمام علي أو الإمام مطلقًا أو الإمام المهدي عليه السلام، ولا ضيرَ في ذلك، فإنَّهم نور واحد، قال الإمام علي عليه السلام: ((كلُّنا واحد، أوَّلنا محمَّد، وآخرنا محمَّد، وأوسطنا محمَّد، وكلُّنا محمَّد))[6].

وهذه الدلالة تتوافق مع دلالة الغدير. لكن الغدير وأسماءه ماء أصابه سيل، وغيض، وغدر به، وهذه الدلالة أيضًا حصلت للإمام علي عليه السلام، فبعد أن بايعه الصحابة وقال له قائلهم: ((بخٍّ بخٍّ يا

---

(١) الكافي: ١/ ٢٠٠ح١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٩٧.

(٢) سورة الملك: ٣٠.

(٣) الكافي: ١/ ٣٣٩- ٣٤٠ح١٤، كمال الدين وتمام النعمة ٣٥١ح٤٨.

(٤) الغيبة للنعماني: ١٨١ح١٧.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٠ح٣.

(٦) بحار الأنوار: ٢٦/ ٦.

بـن أبي طالـب، أصبحـتَ مـولاي ومـولى كلِّ مسـلم))[1] وفي روايـة: ((هنيئًـا لـك يـا عـلي، أصبحـتَ مـولاي ومـولى كلِّ مؤمـن))[2]، غـدروا بـه بمجـرد أن التحـق الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه بربِّـه ونكثـوا بيعتهـم، وحادثـة السـقيفة مشـهورة في ذلـك.

إذا النتيجـة المسـتخلصة هـو توافـق الغديـر وأسـمائه، مـع بعـض كُنـى الإمام عـلي عليـه السـلام وحالـه، مـن أنَّهـما كلاهمـا مـاء غُـدر بـه.

سبب تكنية الإمام عليه السلام بـ(الماء)

كنـى القـرآن الكريـم في بعـض آياتـه عـن الإمـام عـلي عليـه السـلام بالمـاء، وأنـه- كـما ذكـر في الحديـث آنفـا- لـه ظاهـر وباطـن، وبينهـما صلـة وعلاقـة، تكتشـف بالتأمـل وبوسـاطة القرائـن المقاليـة والمقاميـة، ويمكـن بيـان العلاقـة بـين المـاء والإمـام بأوجـه منهـا:

١- الأوليـة في الخلـق، وأصـل الأشـياء، أنَّ المـاء أصـل الأشـياء وخُلـق كل شيء منـه، قـال تعـالى: (وَاللهُ خَلَـقَ كُلَّ دَابَّـةٍ مِـنْ مَـاءٍ)[3]، وقـال أيضـا: (وَجَعَلْنَـا مِـنَ الْمَـاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَـيٍّ)[4]، وهـو أول مـا خلقـه الله سـبحانه، أجـاب الإمـام الباقـر عليـه السـلام حـين سـئل عـن أول مـا خلقـه تعـالى: ((خَلَـقَ

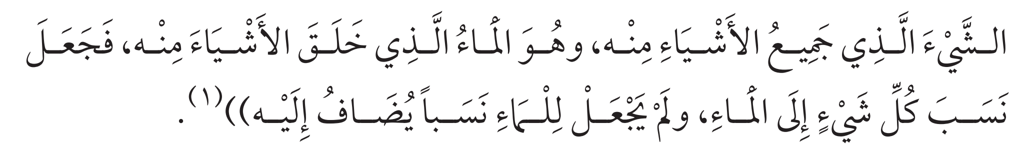
(١) فوائد ابن أخي ميمي الدقاق: ١٥٠، تاريخ بغداد: ٨/ ٢٨٤، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢٣٣، تفسير الرازي: ١٢/ ٤٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢٢١.

(٣) سورة النور: ٤٥.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٠.




الشَّيْءَ الَّذِي جَمِيعُ الأَشْيَاءِ مِنْه، وهُوَ المَاءُ الَّذِي خَلَقَ الأَشْيَاءَ مِنْه، فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى المَاءِ، ولَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاءِ نَسَباً يُضَافُ إِلَيْه))[1].

والإمام أيضًا أول ما خلقهُ تعالى فَعن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّه قال: ((أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده))[2]، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء، فَخَلَقَ خمسةً من نور جلاله، وجعلَ لكلِّ واحد منهم اسمًا من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمَّى النبي محمدًا صلى الله عليه وآله، وهو الأعلى وسمَّى أمير المؤمنين عليا، وله الأسماء الحسنى، فاشتقَّ منها حسنًا وحُسينًا، وهو فاطر فاشتقَّ لفاطمة من أسمائه اسمًا))[3].

ويرد هنا إشكال: أن الأولية واحدة فكيف يكون الماء والإمام كلاهما أصل وأوَّل؟ والجواب عنه بأمرين:

- أنَّ الماء المراد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المذكورة آنفا هو الإمام نفسه، وعضد هذا الرأي آنفا بالروايات التي فسرت الماء بالإمام.

- أن الإمام هو أول ما خلقه الله تعالى؛ وأول ما خلق منه هو الماء، إذ سأل جابر الأنصاري النبي صلى الله عليه وآله عن أول شيء خلقه الله؟ قال: ((هو نور نبيِّك يا جابر، خَلقهُ ثمَّ خَلَقَ منه كلَّ خير))[4]، فالماء

(١) الكافي: ٨/ ٩٤ح٦٧.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٥ح٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٥٦ح١٥.

(٤) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: ١/ ١٩، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢١ح٣٧.

أول بالنسبة لما خلق من هذا النور.

وَرُبَّ سائل يسأل ما ذكر يثبت أولية النبي لا الإمام؟ ويجاب عنه بحديث الإمام علي عليه السلام المذكور آنفا: ((كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد))[1].

٢- الحاجة إليهما، جميع الكائنات تحتاج إلى الماء، إن كان سائلا أو غازا أو صلبا، والإمام كذللك، إذ روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: ((لو أنَّ الإمام رُفع من الأرض لماجت الأرض بأهلها كما يموج البحر بأهله))[2]، فالخلق يحتاجه بوصفه واسطة الفيض الإلهي، فضلًا عن الالتجاء له لبيان أحكامهم الشرعية وحاجاتهم الدنيوية والآخروية، والمادية والمعنوية، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)[3]، والحياة هنا مطلقة.

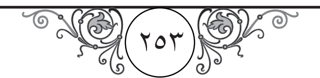
٣- ثبات حقيقتهما، إنَّ الماء لا تتغير حقيقته مهما تغير تمثيله، فهو يبقى ماء في كل أحواله: سائلا أو صلبا أو غازا، بخلاف باقي العناصر، فالخشب مثلًا تتغير حقيقته ويتحول إلى عنصر آخر إذا احترق وصار رمادًا.

كذلك الإمام يبقى إمامًا، ظاهرًا كان أو غائبا، مبايعًا للخلافة الظاهرية أو منعزلًا، مطاعًا في قومه أو مُعصى، قال صلى الله عليه وآله: ((الحسن

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٣ح٩، دلائل الإمامة: ٤٣٥ح٤٠٣.

(٣) سورة الأنفال: ٢٤.



والحسين إمامان قاما أو قعدا))[١].

٤- التطهير، إن الماء مُطهِّر من النجاسات المادية، قال تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ)[٢]. والإمام يطهر من الأدران والنجاسات المعنوية قال الصادق عليه السلام في تفسير الآية المذكورة آنفا: ((قوله: (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فذلك عليٌّ يطهر الله به قلب من والاه، وأما قوله: (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) من والى عليًّا يذهب الرجز عنه، ويقوي قلبه))[٣]. وقال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)[٤]، فبوساطة الرسول صلى الله عليه وآله تغفر الذنوب وتقبل التوبة.

وفي حديث عن عَبْد اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ قَال: ((فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ولْيُوفُوا نُذُورَهُمْ[٥]) قَالَ: أَخْذُ الشَّارِبِ وقَصُّ الأَظْفَارِ ومَا أَشْبَه ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ ذَرِيحَ الْمُحَارِبِيِّ حَدَّثَنِي عَنْكَ بِأَنَّكَ قُلْتَ لَه: (لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ): لِقَاءُ الإِمَامِ... فَقَالَ: صَدَقَ ذَرِيحٌ وصَدَقْتَ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ

(١) روضة الواعظين: ١٥٦، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٦٣.

(٢) سورة الأنفال: ١١.

(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٥٠ح٢٥، تفسير فرات الكوفي: ١٥٣ح١٩٠.

(٤) سورة النساء: ٦٤.

(٥) سورة الحج: ٢٩.

ظَاهِـراً وبَاطِنـاً ومَـنْ يَحْتَمِـلُ مَـا يَحْتَمِـلُ ذَرِيـحٌ))[1] فلقـاء الإمـام عليـه السـلام مُطهـر مـن الأدران والنجاسـات المعنويـة.

وبهـذا يتبـين سـبب تكنيـة القـرآن الكريـم عـن الإمـام بالمـاء، إذ أن الصلـة وثيقـة بـين دلالتيهـما كـما تبـين آنفًـا.

المصادر والمراجع

- الاختصـاص: محمـد بـن النعـمان العكـبري المعـروف بالمفيـد(ت: ٤١٣ هــ)، تحقيـق: عـلي أكـبر الغفـاري، والسـيد محمـود الزرنـدي، دار المفيـد، بـيروت، لبنـان، ط٢، ١٤١٤ هــ- ١٩٩٣ م.

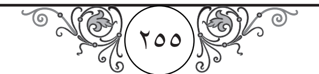
- الاسـتيعاب: يوسـف بـن عبـد الـبر(ت: ٤٦٣ هــ)، تحقيـق: عـلي محمـد البجـاوي، دار الجيـل، بـيروت، ط١، ١٤١٢ هــ - ١٩٩١م.

- الأمـالي للطـوسي: الشـيخ أبـو جعفـر الطـوسي(ت: ٤٦٠هــ)، تحقيـق: قسـم الدراسـات الإسـلامية، مؤسسـة البعثـة، دار الثقافـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع، قـم، ط١، ١٤١٤هــ.

- بحـار الأنـوار الجامـع لـدرر أخبـار الأئمـة الأطهـار: الشـيخ محمـد باقـر المجلسي(ت: ١١١١هــ) مؤسسـة الوفـاء، بـيروت، لبنـان، ط٢، ١٤٠٣هــ - ١٩٨٣م.

- البدايـة والنهايـة: أبـو الفـداء إسـماعيل بـن كثـير الدمشـقي (ت:٧٤٤هـ)،

(١) الكافي: ٤/ ٥٤٩ ح٤، معاني الأخبار: ٣٤٠ح١٠.



تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت، د. ت.

- تأريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر(ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤.

- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الأستراباذي(ت نحو: ٩٦٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، أمير، قم، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- تفسير الرازي(مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي(ت: ٣٢٠ هـ)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د. ت.

- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي(ت: ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم:السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، قم،

إيـران، ط ٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

- تفسـير فـرات الكـوفي: فـرات بـن إبراهيـم الكـوفي(ت:٣٥٢ هــ)، تحقيق: محمـد الكاظـم، مؤسسـة الطبـع والنـشر التابعـة لـوزارة الثقافـة والإرشـاد الإسـلامي، طهـران، ط١، ١٤١٠هــ - ١٩٩٠م.

- التنبيـه والإشراف: أبـو الحسـن عـلي بـن الحسـين بن عـلي المسـعودي (ت: ٣٤٦هــ)، تصحيـح: عبـد الله إسـماعيل الصـاوي، دار الصـاوي - القاهـرة، د. ت.

- تنويـر الحوالـك شرح موطـأ مالـك: عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر، جـلال الديـن السـيوطي (ت: ٩١١ هــ)، النـاشر: المكتبـة التجاريـة الكـبرى، مـصر، ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.

- دلائـل الإمامـة: محمـد بـن جريـر الطـبري (ت: ق ٤)، تحقيـق: قسـم الدراسـات الإسـلامية مؤسسـة البعثـة، قـم، مركـز الطباعـة والنشر في مؤسسـة البعثـة، ط١، ١٤١٣هـ.

- روضـة الواعظـين: محمـد بـن الفتـال النيسـابوري(ت:٥٠٨هـ)، تقديـم: السـيد محمـد مهـدي السـيد حسـن الخرسـان، منشـورات الـرضي، قـم، إيـران، د. ت.

- السـنة: ابـن أبي عاصـم(ت: ٢٨٧هــ)، تحقيق:محمـد ناصر الديـن الألباني، ط٣، المكتـب الإسـلامي - بـيروت - لبنـان، ١٤١٣ - ١٩٩٣ م.

- السـنن الكـبرى: أحمـد بـن شـعيب النسـائي(ت:٣٠٣هـ)، تحقيـق: عبـد



الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

- السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦ م.

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت:٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

- غدير خم دراسة تاريخية وتحقيق ميداني: د. عبد الهادي الفضلي، ط١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني(ت:٣٨٠هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، مطبعة: مهر، قم، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- فضائل الصحابة: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- فوائد ابن أخي ميمي الدقاق: أَبُو الحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ البَغْدَادِيُّ المعروف بِابْنِ أَخِي مِيْمِي (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.

- الكافي: الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، ط٥، ١٣٦٣هـ. ش.

- كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق(ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش.

- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

- المسالك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: أبو إسحاق الحربي(ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م.

- المصنف: عبد الله بن أبي شيبة الكوفي (ت:٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

- معاني الأخبار: الشيخ محمد بن علي الصدوق(ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

- معجم البلدان: ياقوت الحموي(: ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.



- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، د. ت.

- معجم ما استعجم: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.

- معجم معالم الحجاز: د. عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، ط٢، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت:٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مطبعة سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب(ت: ٥٨٨ هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ -١٩٥٦ م.

- النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد بن الأثير(ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي(ت: ٤٠٦هـ)من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ضبط نصَّه وابتكر فهارسه: د. صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧ه- ١٩٦٧م.

تحولات الجملة العربيّة في خطبة الغدير

م. م. باسم شعلان خضير الصالحي

مقدمة:

لم يكن للغة العربية الفصيحة وجود يذكر اليوم لولا الإسلام وما حباها به من منزلة عالية، إذ شرفها بتنزيل القرآن الكريم بها، وباختيار خاتم النبيين متحدثاً بها، والفضل كل الفضل يرجع للقرآن في الاهتمام البالغ باللغة وأفانينها، وبلاغتها إذ انعقدت الدراسات في إثبات إعجازه واحتاجت لذلك إلى العناية بالعربية وفهمها.

لذا آثر البحث مقاربة خطاب لغوي عظيم لرسول الإسلام والبشرية العظيم مقاربة لغوية نصية تسعى إلى استكناه سره، نظراً لما تكتنزه خطب النبي صلى الله عليه وآله وأحاديثه من بلاغة وفصاحة.

أهميّة البحث:

تتأتى أهمية البحث من أهمية عينة البحث وهي خطبة الغدير، تلك الأهمية النابعة من مصدرها وهو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، ومن إشكاليتها التاريخية والدينية، وتأتي أهمية البحث من طريقة تناولها لهذه الخطبة، ومقاربته نصها اللغوي، في محاولة لاكتناه سر بلاغتها، وفصاحتها.

أسباب اختيار البحث:

الاهتمام الشخصي بما خلفه لنا خاتم النبيين، وأشرف الخلق من إرث ديني - لغوي، وأحاديث شريفة، من جهة، والرغبة في اكتناه سر هذه الخطبة لأهميتها، وبلاغتها، وموقعها في التراث الديني الإسلامي، من جهة أخرى

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي

المطلب الأول: التقديم والتأخير

والتقديم والتأخير كما يقول الجرجاني عنه هو باب كثير الفوائد، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر بك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه(١)، وفي خطبة الغدير -موضوع البحث- يطالعنا هذا الأسلوب في مواطن كثيرة، ويجري توظيفه لتحقيق غايات، ومقاصد متنوعة تتراوح بين (التخصيص- التشويق - الاهتمام).

١- التخصيص:

إن التخصيص من أبرز الأغراض الدلالية التي يحققها التقديم والتأخير، التي لأجلها يعمد المتكلم إلى الإخلال بنظام الجمل النحوي.

من أمثلته في الخطبة اخترنا قوله عليه الصلاة والسلام: -وأقرُّ لَهُ على نَفسي بالعبوديَّة وَأَشهَدُ لَه بالربوبيّة، وأؤدّي ما أوحي بِهِ إلي حَذراً مِن

أن لا أفعلَ فَتَحِلّ بي مِنه قارعةٌ لا يدفَعُها عَنِّي أَحّدٌ وَإِنْ عّظُمَتْ حيلَتُهُ وَصَفَتْ خِلَّتُهُ-(٢).

أما التقديم والتأخير فكانت مواطنه في قوله: (وأقرُّ لَهُ على نَفسي بالعبوديَّة) وقوله: (وَأَشهَدُ لَه بالربوبيّة) وقوله:(فَتَحِلّ بي مِنه قارعةٌ لا يدفَعُها عَنِّي أَحّدٌ)، وفي التراكيب السابقة جميعها تخلخل الترتيب النحوي للجمل، فالأولى كان ينبغي أن تكون (وأقرّ على نفسي بالعبودية له) والثانية كان ينبغي أن تكون(وأشهد بالربوبية له) والثالثة التي أخر فيها الفاعل وحقه التقديم (لا يدفعها أحدُ عني).

لقد تقصد الخطاب الشريف هذا التقديم والتأخير، بغية تحقيق دلالة التخصيص في كل منها؛ إذ أراد أن يصل إلى القارئ دلالة التخصيص تلك، تخصيص العبودية له، لله سبحانه وحده، وتخصيص الربوبية له، لله سبحانه وحده، وتخصيص الغضب الإلهي والعاقبة والقارعة التي ستحل على الرسول الكريم إن خالف أوامر الله الذي يشهد له بالربوبية، ويقر له بالعبودية، فلا يدفع ذلك الغضب (عني) عنه أحد.

ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وآله: - ثُمَّ قرأَ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين...) إلى آخِرِها، وقالَ: فِي نَزَلَتْ وَفِيهُم (والله) نَزَلَتْ، ولَهُمْ عَمّتْ وإِيّاهُم خَصَّتْ، أولئِك أولياءُ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون، ألا إن حزبَ الله هُمُ الغالِبُونَ-(٣).

إن التقديم والتأخير هنا جاء في قوله: (فِي نَزَلَتْ وَفِيهُم (والله) نَزَلَتْ)،

(ولَهُمْ عَمّتْ وإِيّاهُمْ خَصَّتْ). إذ قدّم الجار والمجرور على الفعل (نزلت- عمت)، والمفعول به على الفعل (خصّت) بغرض تحقيق دلالة التخصيص، وليس لمجرد هز النظام النحوي.

ولا نجانب الصواب إن قلنا إنّ السياق يضطلع بأدوار ثرية في التفاعل الخطابي، من مثل تحديد قصد المرسل، و تحديد مرجع العلامات(٤).

والسياق هنا هو ما يدفعنا إلى القول بأن الغرض هو التخصيص، فالرسول عليه الصلاة والسلام قصد تخصيص نزول الآية الكريمة - التي عمد إلى تلاوتها قبل كلامه هذا- قصد تخصيصها فيه وفيهم (في -فيهم)، وقصد حصر ما تخصه الآية الكريمة (إياهم). وهذا المعنى يفرضه السياق، لذلك نقول أن الخطاب الشريف عند إلى التقديم والتأخير بغرض التخصيص.

٢- التشويق:

إنّ التقديم والتأخير شأنه شأن سائر الأساليب اللغوية المتنوعة التي تم توظيفها في خطبة الغدير، يؤدي وظائف قبلية منوطة به، ويحقق غايات مقصودة، فليس التلاعب بالترتيب الأصلي للجمل كما هو متعارف عليه، والخاضع لقواعد النحو عبثياً في هذه الخطبة البتة، وإنما تخرق شروط النحو هذه لغاية جمالية ودلالية يفرضها المقام والسياق، وشروط البلاغة والفصاحة.

وإننا إذ ننظر إلى النص اللغوي عامة على أنه خطاب يحمل في أطوائه

غايـات، ومقاصـد ووظائـف سـياقية(٥). نقـارب نـص خطبـة الغديـر - موضـوع البحـث-، ونسـبر أغوارهـا وفـق هـذا المنظـور عينـه، التقديـم والتأخـير يحقـق في خطبـة الغديـر غايـات مخصوصـة، التشـويق أبرزهـا، ومـن أمثلتـه قـول الرسـول صلى الله عليـه وآلـه: - كريـمٌ حَلِيـمٌ ذُو أَنـات، قَـدْ وَسِـعَ كُلَّ شيء رَحْمَتُـهُ وَمَـنَّ عَلَيْهِـمْ بِنِعْمَتِـهِ-(٦).

التقديـم والتأخـير هنـا وقـع في قوله: (قَـدْ وَسِـعَ كُلَّ شيء رَحْمَتُـهُ وَمَـنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِـهِ) إذ قـدّم مـا حقّـه التأخـير، وأخّـرَ مـا حقّـه التقديـم، فقـدّم المفعـول بـه (كلَّ) عـلى الفعـل (رحمتُـه) مخالفـاً بذلـك قواعـد النحـو الخاصـة بصياغـة الجمـل، وترتيبهـا وفـق نسـق محـدد (فعـل- فاعـل -مفعـول بـه) فـالأولى بهـذه الجملـة، بحسـب قواعـد النحـو، أن تكـون عـلى الصياغـة الآتيـة (قـد وسـعَت رحمتُـه كلَّ شيءٍ) غـير أن الخطـاب اللغـوي هنـا آثـر هـز أركان النظـام النحـوي للجملـة، لتحقيـق غـرض بلاغـي، جمـالي، تعبـيري؛ أمـا البلاغـي فيتأتـى مـن هـز أفـق التوقـع، وإطالـة مـدة المتعـة المرتبطـة بمـدة عمليـة الإدراك، والغـرض الجـمالي فينبـع مـن مسـايرة الدفقـة الشـعورية والانفعـال المرافـق للنطـق بالجمـل، وتماهيهـا مـع السـياق عـلى صعيـد الجـرس الخفـي الـذي تبثـه، وعـلى صعيـد الدلالـة. وأمـا الغـرض التعبـيري فيكمـن في إثـارة فضـول المتلقـي، وانتباهـه، فيحقـق عنـصر التشـويق لمعرفـة ماهيـة الأمـر الـذي وسـع كل شيء، واكتنـاه سره.

في الواقـع - إنّ هنـاك فئـة مـن الكلـمات تتمتـع بتعبيريّـة داخليّـة وطبيعيّـة-(٧). وكلمـة (كلّ) التـي تـم تقديمهـا هنـا فجـرت طاقاتهـا التعبيرية،



وأثـارت الفضـول لمعرفـة كنـه مـا يمكنـه اسـتيعاب الكليـة.

٣- الاهتمام:

يشـكل الاهتـمام بـدوره أحـد أبـرز الأغـراض التـي يبتغيهـا التقديـم والتأخـير بصـورة عامـة، وفي الخطبـة -موضـوع البحـث- بصـورة خاصـة.

ومـن أمثلـة التقديـم والتأخـير الـذي جاء بغـرض تحقيـق دلالـة الاهتـمام، نذكـر قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: - حَمِيـداً لَمْ يَـزَلْ، مَحْمُـوداً لا يَـزَالُ، (وَمَجِيْـداً لا يَـزُولُ، وَمُبْدِئـاً ومُعِيـداً وَكُلّ أَمْـر إلَيْـهِ يَعُـودُ)-(٨)، وموضـع التقديـم والتأخير في قولـه: (حَمِيـداً لَمْ يَـزَلْ، مَحْمُـوداً لا يَـزَالُ)، إذ قـدّم مـا حقـه التأخـير (حميـداً – محمـوداً) عـلى مـا حقـه التقديـم (لا يـزال- لم يـزل)، فقـدم بذلـك خـبر لا يـزال عـلى فعلـه، وحقـه التأخـير، وذلـك بغـرض يمكننـا فهمـه مـن السـياق، وهـو هنـا بالطبـع الاهتـمام، فاهتـمام المتكلـم بالخـبر الـذي هـو هنـا صفـة للخالـق عـز وجـل (حميـداً – محمـوداً) لأهميتـه، ومكانتـه عنـد المتكلـم الـذي يعمـد إلى ترتيـب كلامـه تبعـاً لمنظـور الأهميـة، والأولويـة، لا تبعـاً للقواعـد النحويـة.

ومـن أمثلـة ذلـك قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: - فَعِلـمُ الأَمْـرِ والنهـي لديـه، فاسـمعوا لأَمْـرِهِ تَسْـلَمُوا وأَطِيعُـوهُ تَهْتَـدُوا وانتهُـوا لِنَهْيِـهِ تَرْشُـدُوا، (وصـيروا إلى مُـرادِهِ) ولا تتفـرَّقْ بِكُـمْ السّـبُلُ عـن سـبيلِهِ -(٨).

وهنـا قـدم مـا حقـه التأخـير (الجـار والمجـرور) عـلى مـا حقـه التقديـم (الفاعـل) في قولـه: (ولا تتفـرَّقْ بِكُـمْ السّـبُلُ عـن سـبيلِهِ). فتقـدم الجـار والمجـرور (بكـم) عـلى (السـبل) والصحيـح نحويـاً أن يقـال هنـا: (ولا تتفـرق



السبلُ بكم) غير أن اللغة مطواعة في يديه الكريمتين، ويغدو لخرق شروط النحو آثار جمالية، وبلاغية، ودلالية، غاية في الأهمية في مضمار خدمة السياق العام، وتأدية الدلالات، وتوسيع المعاني، وتوشية النص، وزيادة المتعة عبر صدمة القارئ ومخالفة توقعاته، وضمان يقظة ذهنه، واستمرارية التواصل، بكسر أنساق الكلام الرتيبة، ومد المتلقي بجديد بين الفينة والأخرى.

أما السياق هنا فيطلعنا على أن الغرض الرئيس الذي يكمن خلف عملية التقديم والتأخير تلك هو الأهمية، ويعكس منزلة المعاني، وأهميتها، وترتيب الأولويات عند المتكلم، التي أدت إلى صياغة هذا التعبير على هذا النحو دون غيره، فالمهم كان بالدرجة الأولى المخاطبين (بكم) وبالدرجة الثانية (السبل)، فلا معنى للسبل بلا سالكيها، ولا تتحقق دلالة التفرق والضياع دون صاحب الفاعلية وهو الذاوات المخاطبة (بكم)، لذلك تقدمت لأهميتها، وسار ترتيب الجملة على سنن الأهمية لا على سنن النحو.

المطلب الثاني: الحذف والإيجاز

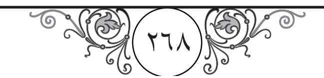
١- أثر الحذف في تحولات المعنى:

إن خطبة الغدير تحشد أساليب بلاغية، وبيانية عالية المستوى، و لا يني خطاب هذا النص الرفيع أن يوظف شتى الأساليب اللغوية، ويستثمر طاقاتها التعبيرية، والإيحائية، فلا يفوته - والحال هذا- أن يوظف الحذف



في موطنه الملائم له في النص، وبما يخدم السياق، من أمثلة توظيف الحذف اخترنا قوله صلى الله عليه وآله: - مَعاشِرَ الناسِ، قد ضلَّ قبلَكُمْ أَكثَرُ الأَوَّلينَ، وَالله لَقَدْ أَهْلَكَ الأَوَّلِينَ، وهو مُهْلِكُ الآخرين-(١٠)، والحذف في قوله: (وَالله لَقَدْ أَهْلَكَ الأَوَّلِينَ) إذ حذف الفاعل وهو الله عز وجل، فخالف بذلك قواعد صياغة الجمل نحوياً، إذ كان من المفترض أن يتبع الفعل (أهلك) فاعله (الله) فتصبح الجملة: (لقد أهلك الله الأولين)، غير أن الرسول عليه أفضل الصلاوات والتسليم آثر ترك ذلك، وحذف الفاعل، وخرق قواعد اللغة، وذلك خدمة للأغراض الجمالية، والدلالية التي سيحققها هذا الحذف، وحقيقة الأمر أنه كثيراً - ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق-(١١)، وأدى الحذف مدلول الذكر، وحقق ما أنيط به من وظيفة دلالية، تعبيرية، جمالية في آن، فقد لاءم الحذف الانفعال من جهة، والسياق من جهة، فجاء التركيب منساباً مع الدفقة الشعورية التي تتطلب السرعة والاقتصاد الملائم لحالة الانفعال العالي، كما جاء مناسباً للسياق، فمعرفة الفاعل المقصود دون ذكره، فرضت جمالياً وبلاغياً حذفه.

ومن الحذف قوله صلى الله عليه وآله: - معاشِرَ الناسِ، ما تقولون؟ فإنَّ اللهَ يعلَمُ كلَّ صوتٍ وخافيةَ كلَّ نفسٍ، (فَمَن اهتدى فَلِنَفسِهِ ومَن ضلَّ فإنّما يضلُّ عليها)، ومن بايعَ فإنّما يبايعُ اللهَ، (يدُ الله فوقَ أيديهم)-(١٢)، وموطن الحذف هنا في قوله: (ومن بايعَ فإنّما يبايعُ الله) إذ حذف المفعول به وهو هنا علياً عليه السلام، والترتيب الصحيح نحوياً للجملة هو:



فمن بايع عليّاً فإنما يبايع الله، غير أن الحذف هنا أبلغ، وأبهى، وأوقع في النفس، لتحقيقه تقاطعاً لطيفاً مع الآية الكريمة المذكورة (إِنَّ الذيْنَ يُبَايعُونَكَ إِنَّما يُبَايعُونَ اللهَ يَدُ الله فَوقَ أَيدِيهِمْ)(١٣)، وكأن الرسول الكريم قد تقصّد اقتطاع جزئية من الآيَة الكريمة، وإعادة صياغتها لتوائم السياق الكلي، والغرض الرئيسي للخطبة، وهو مبايعة عليّ عليه السلام، فاقتطع جزءاً، وأتمّ الآخر من الآية، بغية توحيد الحالتين، فمن بايع الرسول صلى الله عليه وآله فقد بايع الله، وهنا من بايع علياً عليه السلام، فقد بايع الله سبحانه وتعالى. وبذلك يكون الحذف أنسب للمقصد الرئيسي، وأكثر مواءمة للدلالة الكامنة خلف السبك اللغوي للجملة، على هذا النحو تمضي الخطبة في استثمار طاقات الحذف الدلالية والتعبيرية، شأنه شأن سائر الأساليب اللغوية الأخرى.

٢- أثر الإيجاز في تحولات المعنى:

إن الإيجاز في الدلالة اللغوية يحمل معنى التقليل: - أوجز الكلام: قلّ، وأوجز كلامه، قلله-(١٤)، ويحمل أيضاً معنى الاختصار، والسرعة:- وجز في منطقه يجزُ وجزاً و وجوزاً: أسرع فيه واختصره، وفي الكلام قصّره، وقلّله فهو واجز-.

وفي الاستعمال الاصطلاحي لا يبتعد الإيجاز عن دلالته اللغوية تلك؛ فحدّ الإيجاز عند السكاكي: - هو أداة المقصود من الكلام بأقل من عبارات الأوساط، أي هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح، وهو قسمان، إيجاز بالقصر وإيجاز بالحذف-(١٥)، أما



عن أهميته، وقدرته البلاغية، فقد أشاد به البلاغيون قديمهم، وحديثهم، وخلاصة القول في منزلة الإيجاز ما قاله فيه خطيب العرب أكثم بن صيفي:- البلاغة الإيجاز -(١٦)، فالإيجاز وفق هذا المنظور صنو البلاغة، وهو وجهها الآخر، إن صح التعبير، وللإيجاز مكانته في خطبة الغدير، ويتكرر في مواطن عدة، من شواهد ذلك اخترنا قوله صلى الله عليه وآله:

- مَعاشِرَ الناسِ، إنّكُم أكثرُ من أن تصافقوني بكفٍّ واحد في وقتٍ واحد، وقد أمرني الله عزَّ وجلّ أن آخُذَ مِن ألسِنَتِكُم الإقرارَ بِما عقّدتُ لعليّ أمير المؤمنين، ولِمَن جاءَ بعدهُ من الأئِمةِ منّي ومنه، على ما أعلمتكم أنّ ذرّيتي مِن صُلبهِ، فقولوا بأجمَعِكم: إنّا سامِعونَ مُطيعونَ راضونَ مُنقادون لِما بلّغْتَ عن ربّنا وربّك في أمر إمامِنا علي أمير المؤمنين ومَن وُلِدَ من صُلبِه من الأئِمّة، نبايعكَ على ذلك بِقلُوبِنا وأنفُسِنا وألسِنَتِنا وأيْدِينا على ذلك نحيى و عليه نموت وعليه نُبْعَث-(١٧)، ويشكل الإيجاز في النص السابق بنية مركزية، قام عليها الخطاب؛ فالنبي صلى الله عليه وآله، بعد أن سبق وفصّل القول، وشرحه ووضحه، اختار هنا الاختصار، وهو أنسب للمقام؛ فبعد أن وضح عليه الصلاة والسلام ما أمره الله عز وجل بإبلاغه من شأن عليّ عليه السلام، وتكليفه بأخذ البيعة له وللأئمة من صلبه من بعده، يتحول إلى الإيجاز، يقول: (أن آخُذَ مِن ألسِنَتِكُم الإقرارَ بِما عقّدتُ لعليّ أمير المؤمنين) وهنا يشير صلى الله عليه وآله، مرة أخرى إلى أن ما يبلغهم إياه، ويطلب منهم تنفيذه، هو أمر إلهي، فقد طلب الله تعالى منه أن يأخذ من ألسنتهم الإقرار والموافقة، غير أنه صلى الله

عليه وآله يؤثر عدم تكرار مضمون الأمر الإلهي بالتفصيل مرة أخرى، ويختصر، ويكتفي بالإشارة عبر قوله: (بما عقدت لعلي)، ونلاحظ هنا أن المقام يفرض الإيجاز، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وهو على ما هو عليه من فصاحة، و بلاغة يعرف متى يطنب، ومتى يوجز بما لا يخل بالمعنى، ولا يؤثر على وضوحه، وقوة تعبيره وأدائه، وأثره في نفس السامع، ويتكرر الإيجاز في النص في مواطن متتابعة، والمتأمل يرى أن هذا الإيجاز صب في خدمة بلاغة النص؛ فحين يعيد النبي صلى الله عليه وآله، طلب إقرارهم، ويأمرهم صراحة بالقول أنهم منقادون ومطيعون (لِما بلّغْتَ عن ربّنا)، ويبايعونه على ما سبق وفصّل القول فيه، من شأن ولاية عليّ والأئمة من صلبه من بعده وأخذ البيعة لهم: (نبايعكَ على ذلك)، وحفظ هذا العهد(على ذلك نحيى و عليه نموت وعليه نُبْعَث). وهنا اختار صلى الله عليه وآله، أن يكتفي بالإشارة بأسماء الإشارة التي تحيل إلى كلام سابق، أطنب فيه في شرح القضية، والأمر عينه في قوله صلى الله عليه وآله: - معاشرَ الناسِ، بي -والله- بشَّرَ الأولون من النبيين والمرسلين، وأنا - والله- خاتم الأنبياء والمرسلين والحُجة على جميع المخلوقين من أهل السموات والأرضين. فمن شكّ في ذلك فقد كفر كُفر الجاهلية الأولى ومن شكّ في شيء من قولي هذا فقد شكّ في كلّ ما أنزِلَ إليّ، ومن شكّ في واحدٍ من الأئمة فقد شكّ في الكلّ منهم، والشاكّ فينا في النار-(١٨)، فالسياق هنا يوائمه الإيجاز، إذ جاء هذا القول بعد آخر أخذ حقه من التوضيح والتفصيل، والكلام السابق لقوله: (فمن شكّ في ذلك) كان

مطـولاً وشـاملاً لأهميـة هـذه البيعـة وإتمامهـا، ومكانـة النبـي عليـه الصـلاة والسـلام وصدقـه، وحسـن أدائـه لمـا كلفـه الله بـه، كان مـن البلاغـة الاكتفـاء بالإشـارة إلى الـكلام السـابق دون تكـراره، والأمـر عينـه في قولـه: (كفـر كُفـر الجاهليـة الأولى) فقـدت كثفـت العبـارة كثـيراً مـن المعـاني والـدلالات التـي سـتتفتح في ذهـن المتلقـي، وترتبـط بصفـات هـذا الكفـر، وحكاياتـه الكثـيرة الحـاضرة في ذهـن المتلقـين. وبذلـك اسـتطاع الإيجـاز تكثيـف الـدلالات.

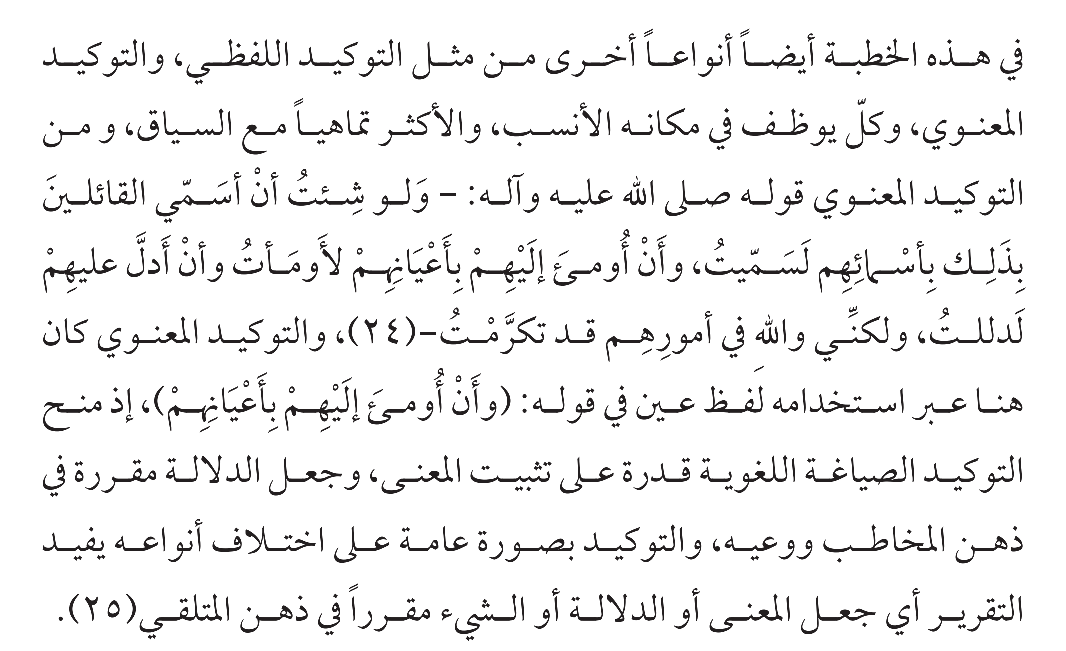
المطلب الثالث: التوكيد والالتفات والاستفهام

١- أثر التوكيد في الدلالة:

إنّ التوكيـد في اللغـة مـن - وكـدَ العقـد والعهـدَ أوثقـه -(١٩)، أمـا في الاصطـلاح؛ فالتوكيـد هـو تكريـر، الغايـة منـه تثبيـت الأمـر المكـرر في نفـس السـامع(٢٠)، وفي خطبـة الغديـر يتـم توظيـف أسـلوب التوكيـد بإتقـان، عـلى اختـلاف أنواعـه؛ إذ نجـد التوكيـد اللفظـي، والمعنـوي، والتوكيـد بالقـصر، غـير أنّ الغالـب عليهـا هـو التوكيـد بالقـصر. إذ تـتردد أسـاليب القـصر في مواطـن عديـدة مـن الخطبـة، مـن أمثلـة ذلـك اخترنـا قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: - وَهُـوَ مُنْشِـئُ الـشَّيءِ حـينَ لا شيءَ دائـمٌ حَـي وَقَائِـمٌ بِالْقِسْـطِ، لا إلـهَ إِلَّا هُـوَ الْعَزيـزُ الْحَكِيـمُ-(٢١)، إذ أفـاد التوكيـد بأسـلوب القصر بـالأداة إلا (لا إلـهَ إِلَّا هُـوَ الْعَزيـزُ الْحَكِيـمُ) إثبـات فكـرة أن الألوهيـة محصـورة في الله العزيـز الحكيـم، ونفـي وجـود إلـه غـيره، ممـا يضاعـف تأثـير الأسـلوب في ذهـن المتلقـي، وهـذه الصيغـة تتكـرر كثـيراً في مواطـن عـدة، يقـول صـلى الله عليـه وآلـه:- فهـو الله

الـذي لا إلـه إلا هـو المتقـنُ الصَّنعـةَ، الحسـنُ الصَّنِيعَـةِ، العَـدْلُ الـذي لا يجـور، والأكـرمُ الـذي ترجـعُ إليـه الأمـورُ-(٢٢) يفيـد هـذا التكـرار إثبـات الفكـرة في ذهـن السـامع، ودفعـه إلى الإقـرار بـأنّ (لا إلاه إلا هـو) لمـا يحملـه أسـلوب الحـصر مـن طاقـة تعبيريـة تؤكـد المعنـى وتثبتـه في نفـس السـامع.

يكثـر في هـذه الخطبـة الاتـكاء عـلى التوكيد بأسـلوب القـصر بصورة رئيسـة، واسـتثمار طاقاتـه التعبيريـة الإيحائيـة الكامنـة، ومنـه قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: - مـا مِـن عِلـمٍ إلا وقـد أَحْصَـاهُ الله فيّ، وكلُّ عِلـم عُلِّمـتُ فَقـدْ أَحْصَيتُـهُ في إِمامِ المُتَّقِـينَ، ومـا مـن عِلـم إلا وقَـد علّمتُـهُ عليّـاً -(٢٣)، إن اسـتخدام أسـلوب القـصر هنـا أفـاد توكيـد المعنـى، عـبر نفـي وجـود علـم لم يحصـه الله تعـالى في الرسـول الكريـم (مـا مِـن عِلـمٍ إلا وقـد أَحْصَـاهُ الله فيّ)، ونفـي وجـود علـم لم يعلّمـه الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه لعـلي عليـه السـلام (وما مـن عِلـم إلا وقَد علّمتُـهُ عليّـاً). إن أسـلوب القـصر هنـا ضاعـف تأكيـد المعنـى، و عمـل عـلى تثبيتـه في ذهـن المتلقـي، لضـمان اسـتجابته، وإذعانـه لصحـة الأمـر، واقتناعـه عاطفيّـاً وعقليّـاً؛ وذلـك بفضـل قدرتـه عـلى توزيـع الدلالـة في التراكيـب اللغويـة، وتقسـيمها عـلى قسـمين متقابلـين قبـل إلا وبعدهـا، يضاعـف التأثـير حضـور النفـي الـذي يقـوي دلالـة القـصر، وحـصر أنـواع العلـم في دائـرة معرفـة الرسـول الكريـم صـلى الله عليـه وآلـه، وبـدوره حـصر المعنـى في دائـرة رديفـة تنفـي وجـود علـم لم يعلمـه الرسـول الكريـم صـلى الله عليـه وآلـه، لعـليّ عليـه السـلام. كل هـذا لـه بالـغ الأثـر في نفـس المتلقـي، وإقـرار المعنـى في عقلـه وقلبـه عـلى حـد سـواء، وإلى جانـب التوكيـد بأسـلوب القـصر نجـد



في هـذه الخطبـة أيضـاً أنواعـاً أخـرى مـن مثـل التوكيـد اللفظـي، والتوكيـد المعنـوي، وكلّ يوظـف في مكانـه الأنسـب، والأكثـر تماهيـاً مـع السـياق، و مـن التوكيـد المعنـوي قولـه صلى الله عليـه وآلـه: - وَلـو شِـئتُ أنْ أسَـمّي القائلـينَ بِذَلِـك بِأسْـمائِهِم لَسَـمّيتُ، وأَنْ أُومـئَ إلَيْهِـمْ بِأَعْيَانِهِـمْ لأَومَـأتُ وأنْ أَدلَّ عليهِمْ لَدللـتُ، ولكنِّـي واللهِ في أمورِهِـم قـد تكرَّمْـتُ-(٢٤)، والتوكيـد المعنـوي كان هنـا عـبر اسـتخدامه لفـظ عـين في قولـه: (وأَنْ أُومـئَ إلَيْهِـمْ بِأَعْيَانِهِـمْ)، إذ منـح التوكيـد الصياغـة اللغويـة قـدرة عـلى تثبيـت المعنـى، وجعـل الدلالـة مقـررة في ذهـن المخاطـب ووعيـه، والتوكيـد بصـورة عامـة عـلى اختـلاف أنواعـه يفيـد التقريـر أي جعـل المعنـى أو الدلالـة أو الـشيء مقـرراً في ذهـن المتلقـي(٢٥).

والأمـر عينـه يؤديـه التوكيـد اللفظـي، كـما في قولـه:- معـاشرَ النـاسِ التقـوى التقـوى، واحـذروا السـاعة-(٢٦)، إذ جـاء التوكيـد اللفظـي عـبر تكـراره كلمـة التقـوى (التقـوى التقـوى) ممـا يوجـه انتبـاه المخاطـب إلى أهميـة الدلالـة المكـررة، ويحـول تركيـزه إليهـا، الأمـر الـذي يضمـن انفعـال القـارئ، واسـتجابته لمـا يؤديـه التوكيـد مـن وظيفـة مضاعفـة عـلى صعيـد المعنـى؛ إثبات وتقريـر الدلالـة، وعـلى صعيـد الرتـم؛ بـثّ جـرس يصيـخ لـه المتلقـي السـمع، وينفعـل معـه.

٢- أثر الالتفات في تحولات المعنى:

جـاء في لسـان العـرب: لفـتَ الـشيء بفتـح الفـاء: لـواه عـلى وجهـه، وفلانـاً عـن الـشيء: صرفـه، ولفـت ورداءه عـلى عنقـه: عطفـه، ولفـت الـشيء: رمـاه إلى جانبـه. واللفـوت مـن النسـاء الكثـيرة التلفـت(٢٧). أمـا في الاصطـلاح

فالالتفات: - هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر-(٢٨)، و يشمل الالتفات التنويع بين الضمائر والانتقال من معنى إلى معنى، ويشمل الاعتراض والتتميم والاستدراك(٢٩).

يوظف الالتفات في خطبة الغدير، ويؤدي مهامه على صعيد تحولات المعنى في السياق الذي يحضر فيه، والمتماهي مع السياق الكلي للخطبة بصورة عامة. ويتنوع الالتفات في الخطبة بين التفات الصيغ والتفات العدد، كل في مكانه الموائم له.

من الالتفات اخترنا قوله صلى الله عليه وآله: - معاشِرَ النّاسِ، إنّه إِمامٌ مِن الله، ولَن يتوبَ الله على أَحَد أنكرَ وِلايَتَهُ ولَنْ يغْفِرَ له، حَتْماً على الله أنْ يَفعلَ ذلِك بِمَن خالَفَ أَمْرَهُ وأنْ يُعذِّبَه عذاباً نُكراً أبدا الآبادِ ودَهْرَ الدّهور.

فاحذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوه فَتصلوا ناراً وقُودُها النَّاسُ والحِجارةُ أُعِدّتْ للكافرين، معاشرَ النّاسِ، بي - والله- بَشَّرَ الأَوّلُون مِن النَّبيّين والمُرْسَلِين، وأنا(والله-) خَاتَمُ الأنبياءِ والمُرْسَلِين والحُجّةُ على جميعِ المخلوقينَ من أهل السمواتِ والأرضين، فمن شكَّ في ذلك فقد كفرَ كُفرَ الجاهليّةِ الأولي ومَن شكَّ في شيء مِن قَولي هذا فَقَدْ شَكَّ في كلّ ما أُنْزِلَ ألي، وَمن شكّ في واحدٍ مِن الأئِمّةِ فقد شكَّ في الكلِّ مِنْهُم، والشاكّ فينا في النارِ، معاشرَ الناسِ، حباني الله عزّ وجلّ بهذه الفضيلة منّاً مِنّة علي وإحساناً مِنْهُ إلي ولا إله إلا هو، ألا لَهُ الحمدُ مِنّي أبدَ الآبدين ودَهرَ الداهرين

وعلى كل حال. -(٣٠)

يعمد الرسول صلى الله عليه وآله هنا إلى استثمار طاقات أسلوب الالتفات، فنجد التفات الصيغ، فينعطف من المخاطب إلى الغائب إلى المتكلم وهكذا، فيبدأ عليه الصلاة والسلام بالمخاطب (معاشِرَ النّاسِ) بغية تنبيه المخاطبين، والإبقاء عليهم في حالة تأهب لاستقبال الكلام القادم، والتركيز عليه، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الغائب (إنّه إِمامٌ مِن الله) (ولَن يتوبَ الله على أَحَد أنكرَ..)، بغية الإخبار عما يريد تثبيته في نفس المتلقين من مكانة علي عليه السلام، وضرورة طاعته، والامتثال لأوامره، وخطورة إنكار ولايته والعواقب المترتبة على ذلك. بعد ذلك نجد عودة إلى المخاطب (فاحذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوه) التي حققت وظيفة مضاعفة؛ التنبيه، وضمان استمرارية الاتصال لإيصال الرسالة، من جهة، و التأكيد والعطف على الدلالات السابقة، من جهة أخرى. ثم ينعطف صلى الله عليه وآله إلى ضمير المتكلم (بي - والله- بَشَّرَ الأَوّلُون مِن النَّبيّين والمُرْسَلِين، وأنا(والله) خَاتَمُ الأنبياءِ) بغية الإخبار، ثم نجد عودة إلى الغائب (فمن شكَّ في ذلك فقد كفرَ الجاهلية الأولى) بغية الإخبار، وانعطافاً إلى المخاطب (معاشرَ الناسِ)، بهدف جذب الانتباه، و ضمان استمراية عملية الاتصال، ثم انتقالاً إلى ضمير المتكلم (حباني الله عزّ وجلّ بهذه الفضيلة منّاً مِنّة علي)، وانعطافاً إلى ضمير الغائب، (ولا إلاهَ إلا هو، ألا لَهُ الحمدُ مِنّي أبدَ الآبدين ودَهرَ الداهرين) تهدف إلى تمجيد الله عز وجل، وتعظيمه، وبفضل بلاغته وفصاحته استطاع النبي الكريم

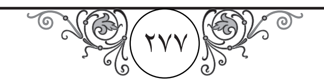
في هـذه الخطبـة في كل مـرة – أن يجمـع بـين حاشـيتي كلامـين متباعـدي المآخـذ والأغـراض، وأن ينعطـف مـن إحداهمـا إلى الأخـرى انعطافـاً مـن غـير واسـطة تكـون توطئـة للصـيرورة مـن أحدهمـا إلى الآخـر عـلى جهـة التحـول-(٣١).

فيلـون بذلـك صـلى الله عليـه وآلـه خطابـه، ويوشـيه بصيـغ متباينـة تـؤدي كل منهـا وظيفـة خاصـة منوطـة بهـا، فتتفاعـل كل بنيـة جزئيـة مـع البنيـات المجـاورة، وتدخـل في شـبكة علائقيـة، وتصـب جميعـاً في خدمـة السـياق العـام، والغـرض المقصـود، وتحـولات المعنـى، وتنـوع الـدلالات، في الجزئيـة الواحـدة، لايتأتـى مـن ضعـف لغـوي، أو عـدم قـدرة عـلى سـبك التراكيـب في صياغـة عامـة موحـدة، بـل عـلى العكـس تـشي بقـدرة لغويـة فريـدة، وقـدرة عـلى تطويـع اللغـة، واسـتثمار طاقاتهـا الكامنـة، غـبر توظيـف أسـاليبها المتنوعة، وتفعيـل مايسـمى اليـوم في الدراسـات المعـاصرة هـز أفـق التوقـع، والانزيـاح.

٣- أثر الاستفهام في تحولات المعنى.

إن الاسـتفهام كـما يخبرنـا الجرجـاني يعنـي – الاسـتخبار، والاسـتخبار هـو طلـب مـن المخاطـب أن يخـبرك-(٣٢)، غـير أن الاسـتفهام كثـيراً مـا يخـرج عن أصـل وضعـه، فيتـم الاسـتفهام عـن شيء مـع العلـم بـه، بغيـة تحقيـق أغـراض ومقاصـد محـددة، يمكـن معرفتهـا مـن السـياق. ومـن تلـك المعـاني التـي يخـرج إليهـا الاسـتفهام لدينـا: النفـي، والإنـكار، والتوبيـخ، والتقريـر، والتعظيـم، والتحقـير، والتشـويق، والتعجّـب، والأمـر، والاسـتبطاء، والتمنـي(٣٣).

وفي خطبـة الغديـر نجـد أن الاسـتفهام دأب الخـروج عـن معانيـه الوضعيـة



إلى معـان متنوعـة، تخـدم السـياق العـام؛ فمـن خـروج الاسـتفهام إلى معنـى التقريـر اخترنـا قولـه صلى الله عليـه وآلـه: - ثـم قـال: أيّهـا النـاسُ، مَـنْ اَوْلي بِكـم مـن أَنفُسِـكُم؟ قالـوا: الله ورسـوله، فقـال: ألا مـن كنـتُ مـولاهُ فَهـذا عـليٌّ مـولاهُ، اللهـمَّ والِ مَـن والاهُ، وعـادِ مَـن عـاداهُ وانـصرْ مَـنْ نَـصَرَهُ واخـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ-(٣٤)

فالاسـتفهام في قولـه: (قـال: أيّهـا النـاسُ، مَـنْ اَوْلي بِكـم مـن أَنفُسِـكُم؟) لم يكـن بغـرض الاسـتخبار البتـة، فالنبـي الأكـرم يعلـم إجابـة السـؤال، فـالأولى بهـم مـن أنفسـهم هـو الله ورسـوله، غير أنـه صـلى الله عليـه وآلـه إنـما أراد إقرار المخاطبـين بهـذه الحقيقـة، تمهيداً لمـا سـيقوله لهـم لاحقـاً، وضمانـاً لاسـتجابتهم لـه، وبذلـك خـرج الاسـتفهام هنـا إلى التقريـر، ولم يقصـد بـه الاسـتخبار، بدليـل أن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه مـا إن جاءتـه الإجابـة المتوقعـة والمعروفـة ضمنـاً: (قالـوا: الله ورسـوله.) حتـى راح يـسرد النتائـج المترتبـة عـلى هـذه الإجابـة، والشـديدة الصلـة بها؛فمـن كان النبـي صـلى الله عليـه وآلـه أولى بـه مـن نفسـه، و مـولاه، فـإن علياً مـولاه بالضرورة:(فقـال: ألا مـن كنـتُ مـولاهُ فَهـذا عـليٌّ مـولاهُ) اسـتناداً إلى وصيـة الرسـول الكريـم صـلى الله عليـه وآلـه عينـه، ودعائـه الصريـح الواضـح، وتضرعـه إلى الله عز وجـل بأن يـوالي من والى علياً: (اللهـمَّ والِ مَـن والاهُ)، ويعـادي مـن يجعـل مـن نفسـه عـدواً لـه (وعـادِ مَـن عـاداهُ)، وينـصر كل مـن نـصره (وانـصرْ مَـنْ نَـصَرَهُ) ويحبـط، ويخـذل مـن خذلـه (واخـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ)، وفي مواطـن أخـرى يخـرج الاسـتفهام إلى التعظيم والتعجـب، مـن ذلـك قولـه صـلى الله عليـه وآله:كيـفَ هُـوَ مِـن سِر وَعَلَانيـة

إلا بما دَلَّ عزَّ وجلّ على نَفسِهِ-(٣٥)، فالاستفهام في قوله: (ولا يجد كيفَ هُوَ مِن سِر وَعَلَانية) لم يحضر في السياق النصي بغية الاستخبار، وطلب العلم بالشيء كما هو الحال في أصل الوضع، بل خرج إلى معنى التعجب من جهة، والتعظيم من جهة أخرى. إذ حقق الاستفهام وظيفة مضاعفة، فجرت دلالتي: التعجب من كيفية كونه السر والعلانية في آن، والتعظيم لمن لايلحق أحد وصفه، وهو السر والعلانية، ومن المواطن التي يستثمر فيها طاقات أسلوب الاستفهام الدلالية لدينا أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: - مَعاشِرَ الناسِ إنّ إبْليسَ أخرجَ آدمَ مِنَ الجنَّةِ بِالحَسَدِ، فلا تحسدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعمَالُكُمْ وتَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ، فَإِنَّ آدمَ أُهْبِطَ إلى الأرضِ بِخَطِيْئَةٍ واحدةٍ، وهو صَفْوَةِ الله عزَّ وجلَّ، وكيفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنتُمْ وَمِنكُمْ أَعْداءُ الله، ألا وَإِنَّهُ لا يُبْغِضُ عليّاً إلا شقيّ، ولا يوالي عليّاً إلا تقيّ-(٣٦)، فالاستفهام في قوله: (وكيفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنتُمْ وَمِنكُمْ أَعْداءُ الله) يخرج بدوره عن غرض الاستخبار إلى معاني التحقير والتوبيخ. إن دلالة التحقير والتوبيخ التي يفرغها الاستفهام في أفق النص تفهم من السياق، فالرسول صلى الله عليه وآله يحذر المخاطبين من خطورة الحسد، مذكراً أن آدم عليه السلام وما له من مكانة أثيرة عند الله سبحانه قد سقط من الجنة بفعل الحسد، فكيف الحال بهم وهم أناس عاديون وفيهم ما فيهم من أخطاء وعيوب، وبينهم كثير ممن يستحق أن يقال له عدو الله، فمعنى التحقير نلمسه في هذه الجزئية، إذ تنبع دلالة التحقير من عقد المقارنة بين آدم عليه السلام، ومكانته عند الله عز وجل، وبين أناس هم أعداء الله، مثقلين بذنوبهم



وعيوبهم. أما التوبيخ فيأتي تابعاً للدلالة الأولى وهي التحقير، فهؤلاء الناس الذين هم على ماهم عليه من عداء لله، هم في غنى عن مزيد من أعباء الخطايا، فالنبي هنا يوبخهم، ويحذرهم في آن من أن يسقطوا بسبب الحسد، لذا عليهم أن يمتثلوا لطاعة الله، وطاعة رسوله، الذي يوصي هنا بعلي كرم الله وجهه ولياً، وخلفاً له، فمن طاعة الله ورسوله، ألا يحسدو علياً ولايبغضوه وهو الحبيب الأثير إلى الله ورسوله (ألا وَإِنَّهُ لا يُبْغِضُ عليّاً إلا شقيّ، ولا يوالي عليّاً إلا تقيّ)، ومن خروج الاستفهام إلى معاني خارج دائرة الوضع لدينا قوله صلى الله عليه وآله: - مَعاشِرَ الناسِ، أُنْذِرُكُمْ أَنّي رسولُ الله قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرسُلُ، أَفَإِنْ متُّ أو قُتِلْتُ انقَلَبْتُمْ على أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنقلِبُ على أَعْقَابِهِ فَلَنْ يضرَّ اللهَ شيْئاً وَسَيَجْزي الله الشاكرين (الصابرين)-(٣٧)، واستفهامه صلى الله عليه وآله: (أَفَإِنْ متُّ أو قُتِلْتُ انقَلَبْتُمْ على أَعْقَابِكُمْ؟) معان متنوعة تتراوح بين الإنكار، والتعجب، والتوبيخ، وهذه المعاني تغني دلالة الاستفهام الذي غادر حد الاستخبار، وتحول معه المعنى بما يخدم السياق، وبما يفرضه المقام، والمعاني المشار إليها (الإنكار-التوبيخ- التعجب) يمكن استنباطها من السياق الذي كان الاستفهام جزءاً منه؛ أما الإنكار والتوبيخ فيفهم من العلائقية التي تربط الاستفهام بالبنى المجاورة، فقد سبق الاستفهام إنذار الرسول صلى الله عليه وآله، بأنه خاتم النبيين (أُنْذِرُكُمْ أَنّي رسولُ الله قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرسُلُ) وهو ومن يخاطبهم عارفون بهذه الحقيقة ولَذلك حمل الاستفهام معنى الإنكار فهو ينكر عليهم أن ينقلبوا على

أعقابهـم مـن بعـده، أمـا التوبيـخ فيحققـه ارتبـاط الاسـتفهام بـما بعـده، وهـو التذكـير بـأن مـن ينقلـب عـلى أعقابـه لـن يـضر أحـداً سـواه (ومَـنْ يَنقَلِـبُ عـلى أَعْقَابِـهِ فَلَـنْ يـضرَّ اللهَ شـيْئاً)، أمـا التعجـب فيتأتـى مـن رحـم الدلالتـين السـابقتين، فمـن العجـب أن ينقلبـوا عـلى أعقابهـم بعـد مـوت الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه، ويعـودوا إلى جاهليتهـم الأولى بعدمـا اسـتناروا بنـور الإسـلام، واسـتظلوا بظلـه.

خاتمة:

في ضوء ما سبق توصل البحث إلى نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

١- إن خطبـة الغديـر تحشـد أسـاليب بلاغيـة، وبيانيـة عاليـة المسـتوى، و لا ينـي خطـاب هـذا النـص الرفيـع أن يوظـف شـتى الأسـاليب اللغويـة، ويسـتثمر طاقاتهـا التعبيريـة، والإيحائيـة.

٢- يسـتثمر الخطـاب اللغـوي للغديـر التقديـم والتأخـير، ويجـري توظيفـه لتحقيـق غايـات، ومقاصـد متنوعـة تـتراوح بـين (التخصيـص- التشـويق - الاهتـمام).

٣- وفي خطبـة الغديـر نجـد أن الاسـتفهام دأب عـلى الخـروج عـن معانيـه الأصليـة الوضعيـة إلى معـان متنوعـة، تخـدم السـياق العـام.

٤- كثـيراً مـا يخالـف الاسـتفهام في السـياق النـصي شرطـه النحـوي الرئيس، فـلا يحـضر بغيـة الاسـتخبار، وطلـب العلـم بالـشيء كـما هـو الحـال في أصـل الوضـع، بـل خـرج إلى معنـى التعجـب، والتعظيـم، والإنـكار، والتوبيـخ،



والتحقير.

٥- وفي خطبة الغدير يتم توظيف أسلوب التوكيد بإتقان، على اختلاف أنواعه؛ إذ نجد التوكيد اللفظي، والمعنوي، والتوكيد بالقصر، غير أنّ الغالب عليها هو التوكيد بالقصر. إذ تتردد أساليب القصر في مواطن عديدة من الخطبة.

٦- إن التوكيد يوجه انتباه المخاطب إلى أهمية الدلالة المكررة، ويحول تركيزه إليها، الأمر الذي يضمن انفعال القارئ، واستجابته لما يؤديه التوكيد من وظيفة مضاعفة على صعيد المعنى؛ إثبات وتقرير الدلالة، وعلى صعيد الرتم؛ بثّ جرس يصيخ له المتلقي السمع، وينفعل معه.

٧- يوظف الالتفات في خطبة الغدير، ويؤدي مهامه على صعيد تحولات المعنى في السياق الذي يحضر فيه، والمتماهي مع السياق الكلي للخطبة بصورة عامة. ويتنوع الالتفات في الخطبة بين التفات الصيغ والتفات العدد، كل في مكانه الموائم له.

٨- يلوّن الرسول صلى الله عليه وآله خطبته، ويوشيها بصيغ متباينة تؤدي كل منها وظيفة خاصة منوطة بها، فتتفاعل كل بنية جزئية مع البنيات المجاورة، وتدخل في شبكة علائقية، وتصب جميعاً في خدمة السياق العام، والغرض المقصود.

٩- إن تحولات المعنى، وتنوع الدلالات، في الجزئية الواحدة، لايتأتى من ضعف لغوي، أو عدم قدرة على سبك التراكيب في صياغة عامة

موحـدة، بـل عـلى العكـس تـشي بقـدرة لغويـة فريـدة، وقـدرة عـلى تطويـع اللغـة، واسـتثمار طاقاتهـا الكامنـة، غـبر توظيـف أسـاليبها المتنوعـة، وتفعيـل مايسـمى اليـوم في الدراسـات المعـاصرة هـز أفـق التوقـع، والانزيـاح.

الهوامش

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:ص١٣٧.

٢- السـيد هاشـم الميـلاني، حديـث الغديـر، بـين أدلّـة المثبتـين وأوهـام المبطلـين:ص١٤٥.

٣- المرجع السابق، ص ١٥١.

٤- عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري، اسـتراتيجيات الخطـاب مقاربـة لغويـة تداولية:ص٥٤.

٥- ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب: ص١٤.

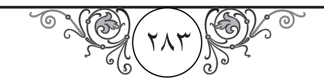
٦- السـيد هاشـم الميـلاني، حديـث الغديـر، بـين أدلّـة المثبتـين وأوهـام المبطلـين، ص١٤٣.

٧- بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي:ص٣٤.

٨- السـيد هاشـم الميـلاني، حديـث الغديـر، بـين أدلّـة المثبتـين وأوهـام المبطلـين،:ص١٤٣.

٩- المرجع السابق، ص ١٥١.

١٠- السـيد هاشـم الميـلاني، حديـث الغديـر، بـين أدلّـة المثبتـين وأوهـام





المبطلين: ص١٥١.

١١- سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام: ٢/ ٩٤.

١٢- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين: ص ١٥٥.

١٣- الفتح: ١٠.

١٤- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ص٦٧٩.

١٥- يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: ص٢٧٧.

١٦- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع: ص٢٠٤.

١٧- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين، ص١٥٥.

١٨- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين: ص١٤٧.

١٩- ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ٤٦٦.

٢٠- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ص٥٦٧.



٢١- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين، ص١٤٤.

٢٢- المرجع السابق، ص١٤٤.

٢٣- المرجع السابق، ص١٤٦.

٢٤- المرجع السابق، ص١٤٦.

٢٥- ينظر التهناوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: أحمد حسن بسج: ١/ ٨٣.

٢٦- ص١٥٤.

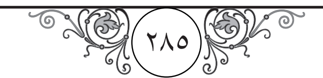
٢٧- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة لفت:٢/ ٨٣.

٢٨- أبو العباس عبد الله ابن المعتز، البديع، شرحه وحققه: عرفان مطرجي:ص٥٨-٥٩.

٢٩- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع:ص ٣٦٤.

٣٠- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين، ص١٤٧.

٣١- أبو الحسن حازم القارطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣١٤- ٣١٥.



٣٢- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ١٤٠.

٣٣- ينظر محمد طاهر اللادقي، المبسّط في علوم البلاغة: ص٨٨.

٣٤- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين، ص١٤٨.

٣٥- المرجع السابق، ص١٤٤.

٣٦- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين ص١٥٩

٣٧- المرجع السابق: ص١٥٠.

ثبت المصادر والمراجع

١- التهناوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م، ط١.

٢- بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، د. ت.

٣- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٣م، ط١.

٤- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط١، مكتبة المثقف، ٢٠١٥م.

٥- أبو الحسن حازم القارطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.

٦- السيد هاشم الميلاني، حديث الغدير، بين أدلّة المثبتين وأوهام المبطلين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، سلسلة دراسات كلامية، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧م، ط١.

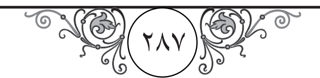
٧- سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

٨- أبو العباس عبد الله ابن المعتز، البديع، شرحه وحققه: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٠١٢م، ط١.

٩- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ٢٠٠٤م، ط١.

١٠- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م، ط١.

١١- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة





١٢- محمد طاهر اللادقي، المبسّط في علوم البلاغة المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٣- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ٢٠٠٣م، ط١.

١٤- ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت.



الروافد المعرفية في شعر السيد رضا الهندي (غديرياته مثالاً)

م. م. خالد عبد النبي الأسدي

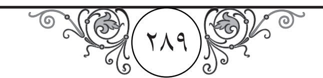
المقدمة

الحمد لله مالك الملك مجري الفلك مسخر الرياح فالق الاصباح ديان الدين رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه ونبراس بريته محمد بن عبد الله وعلى آله الغر الميامين الذين كانوا لعباده كسفينة نوح ((من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)).

وبعد..

الغدير: الحادثة التي ملئت الدنيا وشغلت الناس وألهمت الشعراء ورفدت العقول بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الحدث الأبرز على مدى تاريخ الإسلام الحنيف إذ لا يوجد حدث أكثر منه وثاقة وتأكيداً وتنبياً.

لا ينسى مَن وقف ذلك الموقف في هجير الصيف القائض الذي ألهب النفوس والأجسام بعد إن أخذ الحج منهم مأخذه من التعب؛ استكمل الرسول الأعظم مسيرته بتمام النعمة وكمال الدين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبلَّغ رسالة ربه الخاتمة وكان هذا الحدث رافداً مهمَّا ارفد الشعراء والرواة منذ ذلك الحين وإلى أن يرث الله



الأرض ومـن عليهـا.

ومـن الشـعراء الذيـن أرَّخـوا لهـذه الحادثـة في شـعرهم؛ العلامـة الفهَّامـة سماحة السـيد رضـا الهنـدي اللكهـوني الموسـوي (قـدس سره) فقـد أرَّخ لهـذه الحادثـة قصيدتـين جعـل مـن روافـده فيهـا القـرآن الكريـم والحديـث النبـوي الشريـف مما حـدا بنـا إلى دراسـة هاتـين القصيدتـين لبيـان الروافـد التـي كان يمتلكهـا السـيد الهنـدي فجـاء عنـوان البحـث (الروافـد المعرفيـة في شـعر السـيد رضـا الهنـدي غديرياتـه مثـالاً) وجـاء البحـث بمبحثـين:

درسـنا في المبحـث الأول: الروافـد المعرفيـة القرآنيـة في غديريـات السـيد رضـا الهنـدي حيـث بيَّنّـا الرافـد القـرآني المبـاشر وغـير المبـاشر الـذي كان ينسـجه السـيد الهنـدي في قصيدتيـه.

والمبحـث الثـاني: درسـنا فيـه الروافـد المعرفيـة الحديثيـة في غديريـات السـيد رضـا الهنـدي واتضـح مـن خـلال الدراسـة مـا يمتلكـه السـيد الهنـدي مـن معرفـة في الحديـث النبـوي الشريـف.

وانتهـى المطـاف بخاتمـة حملـت أبـرز النتائـج التـي توصـل إليهـا البحـث ومـن ثـم قائمـة بالمصـادر والمراجـع التـي كانـت معينـاً للبحـث.

والحمد لله رب العالمين....

التمهيد

السيد رضا الهندي حياته نشأته آثاره وفاته.

١ـ نسبه ولادته:

نسبه:

هو السيد رضا بن السيد محمد بن هاشم بن مير شجاعة علي النقوي الرضوي الموسوي[١] وسُمِّي بـ (الهندي) وذلك لهجرة أحد آبائه إلى الهند في عصر من عصور الاضطهاد فالتصق اللقب بعائلتهم ويرجع نسبه إلى الإمام العاشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهو (الإمام محمد بن علي الهادي النقي) لذلك كان أحد ألقابه النقوي ومنه إلى الإمام الرضا (عليه السلام) فلُقِّب بالرضوي ومنه إلى الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) فلُقِّب بالموسوي وأكثر القابه معرفة عند الناس هو الموسوي الهندي[٢].

ولادته:

ولد شاعرنا الكبير في النجف الأشرف في ليلة الإثنين ثامن ليالي شهر ذي القعدة عام ١٢٩٠هـ[٣] وهاجر إلى سامراء في الثامنة من عمره مع أبيه حين اجتاح الطاعون مدينة النجف الأشرف والتقى هناك بالمجدد

(١) يُنظر: ديوان السيد رضا الهندي جمعه: السيد موسى الموسوي راجعه وعلق عليه: الدكتور عبد الصاحب الموسوي مؤسسة الثقلين دمشق ط٢ ٢٠٠٨م: ٨. الكوكب الدري من شعراء الغري علي الخاقاني ذوي القربى النجف الأشرف ط١ ١٤٢٧هـ: ٢٥١

(٢) يُنظر: ديوانه: ٨.

(٣) نقلا عن كشكول السيد محمد الهندي والد الشاعر مخطوط. وقد ذكر ذلك أيضاً جامع ديوانه يُنظر: ديوانه:٨ ٩.





الإمام الشيرازي صاحب فتوى ثورة العشرين المباركة وقد أعجب السيد الشيرازي بشاعرنا وجعله تحت رعايته في درسه وقتذاك وقد لازمه الشاعر طيلة مكوثه في سامراء إلى أن عاد إلى النجف الاشرف مع والده عام ١٣١١هـ.

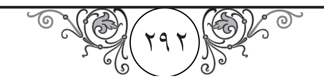
٢ـ نشأته:

كانت نشأت السيد رضا الهندي في سامراء التي كانت حينها زاهرة بالعلم ومحافل الادب ونوادي التدريس ففي هذه الأجواء نشأ وترعرع بين أحضان العلم والمعرفة إلى أن رجع مع والده للنجف الاشرف عام ١٣١١هـ وطوال هذه الفترة هو يتمتع باهتمام وحب ورعاية الإمام الشيرازي(١) فكان يتمتع بفطنة وذكاء وسرعة بديهة وسعة اطلاع وقد تتلمذ على أساطين العلم والمعرفة في النجف الأشرف آنذاك منهم واده السيد محمد الهندي والإمام الشيرازي والسيد محمد الطباطبائي والشيخ محمد طه نجف والشيخ حسن صاحب الجواهر والملا محمد الشربياني والشيخ محمد كاظم الخراساني ((وكان يروي إجازة عن أبيه وعن الشيخ أسد الله الزنجاني والسيد حسن الصدر والسيد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ آغا بزرك الطهراني حتى شهد له الشيخ محمد طه نجف بالاجتهاد المطلق سنة ١٣٢٢للهجرة))(٢).

٣ـ آثاره: له كثير من المؤلفات منها:

(١) يُنظر: ديوانه: ٩. شعراء الغري: ٦/ ٥١٧ الكوكب الدري من شعراء الغري:٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٩ـ١٠.



أ- الميـزان العـادل بـين الحـق والباطـل: يـرد بهـذا الكتـاب إلى الكتابيـين وهـو مطبـوع في بغـداد سـنة ١٣٣١هــ عـلى نفقـة الشيـخ حسـن عـلي بـن بـدر القطيفـي.

ب- بلغة الراحل: في العقيدة مخطوط.

ج- الـوافي في شرح الـكافي في العـروض والقـافي: وهـذا الكتـاب يكشـف مـدى قدرتـه عـلى النظـم الشـعري ومحبتـه لـه ومـا زال هـذا الكتـاب مخطوطـاً.

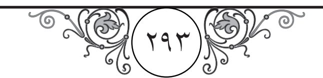
د- شرح على باب الظهار.

هـ- سـبيكة العسـجد في التاريـخ بأبجـد: وعنـوان هـذا الكتـاب يُبـيِّن تأثـر الشـاعر بالجـمال والطبيعـة ولعلـه مولـع بنتـاج الأندلـس حيـث نلتمـس فيـه آثـار ابـن عبـد ربـه الأندلـسي.

و- الرحلـة الحجازيـة: رسـالة يصـف فيهـا رحلتـه إلى الحجـاز في تأديتـه شـعيرة الحـج وكأنـه يكشـف لنـا تأثـره بالرحّالـة القدامـى الذيـن كانـوا يكتبـون آثـار رحلاتهـم في كتـب مسـتقلة كابـن خلـدون وابـن بطوطـة وهـذا يكشـف مـدى الثقافـة التـي كان يحوزهـا السـيد رضـا الهنـدي رحمـه الله وهـذا الكتـاب مـا زال مخطوطـاً.

ز- درر البحـور في العـروض: كثـرة تآليفـه في العـروض والقـوافي يبـين حبـه للشـعر وبحـوره وأنغامه.

ح- شرح رسـالة غايـة الإيجـاز: رسـالة (غايـة الإيجـاز) تأليـف والـده السـيد





محمد الهندي فقام السيد رضا بشرحها وهذا الكتاب إلى الآن مخطوط[1].

وغيرها من الآثار العلمية والفكرية التي رشحها فكر السيد رضا الهندي (رحمه الله) ولكن للاختصار وخشية الترهل نكتفي بهذا القدر من حياته.

٣ـ وفاته: انتقل السيد رضا الهندي إلى جوار ربه سنة ١٣٦٢هـ الموافق ١٩٤٣م ((فكان لوفاته صدى مروِّع في أوساط العلماء والصالحين وفي كافة أرجاء المجتمع العراقي وقد شُيِّع جُثمانه الطاهر من ناحية المشخاب حتى مركز قضاء أبي صخير محمولا على أكتاف المشيعين ومن هناك اتُّجه بالجثمان إلى النجف موكب من مئات السيارات حيث كانت جماهير المدينة المقدسة بانتظار الموكب المهيب على مسافة من الطريق وحمل الجثمان على الأعناق ثانية إلى الصحن العلوي الشريف وقد صلى عليه كبار العلماء المراجع ومن ورائهم مئات الوجوه من طلبة العلم وسائر الناس وكان يوماً مشهوداً في النجف التي أغلقت أسواقها ونشرت أعلامها السوداء في كل مكان وقد دُفن في مقبرة أبيه وأخيه في داره الكائنة في محلة الحويش من النجف الأشرف قدس الله نفسه))[2].

علماً أن السيد رضا الهندي ليه قصيدتان في الغدير المقدَّس فالأولى جاءت بعنوان (في عيد الغدير) وهي من البحر الطويل والثانية جاءت بعنوان (رضي الله عليا) وهي من بحر الرمل وقد أغدق فيهما من معارفه

(١) يُنظر: ديوانه: ١١ ديوان السيد رضا الهندي وأبنائه: ٢٦ـ ٢٩.

(٢) ديوانه: ١٣ بقلم الدكتور عبد الصاحب الموسوي محقق الديوان.

ما لا يمكن غض الطرف عنها وهذا ما سنراه في المباحث بعون الله.

المبحث الأول

الروافد القرآنية في غديريات السيد رضا الهندي

كما ذكرنا في التمهيد أن السيد رضا الهندي أستاذا في الحوزة الدينية في النجف الأشرف إلا أن القرآن الكريم كان يجري منه مجرى الدم في عروقه وهذا ما لمسناه في غديرياته من خلال الأثر المباشر وغير المباشر من القرآن الكريم.

١ـ الاجترار القرآني في غديريات السيد رضا الهندي

إنَّ القرآن الكريم يكفيه فخراً ومعظمةً ومنزلة أنه كلام الله ومعجزة النبي الأكرم محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) وقد اتخذ مكانة في نفوس المسلمين يستلهمون هدايته ويستوحون إشاراته جعله الله منارة للإعجاز في علومه المختلفة من تشريع وبلاغة وعلوم أخرى[١] وكان للشعراء قصب السبق في التأثُّر به والنهل منه والاستلهام من بلاغته وأمثاله لمعرفتهم بأسرار اللغة ودهاليز العربية التي لا يقتحمها إلّا ذو حظٍ عظيم ولم تكن دراستنا هذه بكر في هذا الموضوع حيث سبقت هذا البحث دراسات كثيرة تحت مسمَّيات مختلفة منها ما جاء تحت إسم (الأثر القرآني) ومنها ما جاءت تحت عنوان (الاقتباس والتضمين)

(١) يُنظر: مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي: ٧.



ومنها ما جاءت تحت عنوان (التناص) أو تحت مصطلح جديد (القرآنية) بالمصطلح الحديث وكل هذه الدراسات ذات مضمون واحد وهو إظهار التأثر بالقرآن الكريم للذي دخل حيِّز الدراسة أو طاله البحث لمعرفة مدى تأثير القرآن الكريم في نتاجه هل كان مباشراً (اجتراراً) أو غير مباشر (حواراً أو امتصاصاً). كما إننا لا نؤمن بأنَّ مصطلح التناص يعني (السرقة) وإنَّما هو اقتباس بإطار جديد لذا زاوجنا في هذا البحث بين الأثر القرآني و التناص فالمباحث ستكون مباحثاً تناصيِّةً من خلال قوانين التناص.

الاجترار:

في اللغة: لم يكن جذرها عند أهل اللغة (اجترَّ) لكنّهم أشاروا إليها وإلى معناها تحت جذر (جرَّ) يقول ابن منظور: ((والجِرَّةُ: جِرَّةُ البعير حين يَجْتَرُّها فيَقْرِضُها ثم يَكْظِمُها. الجوهري: الجِرَّةُ، بالكسر، ما يخرجه البعير للاجْتِرار. واجْتَرَّ البعير: من الجِرَّةِ، وكل ذي كَرِشٍ يَجْتَرُّ. وفي الحديث: أَنه خطب على ناقته وهي تَقْصَعُ بَجَرَّتها؛ الجِرَّةُ: ما يخرجه البعير من بطنه ليَمْضَغه ثم يبلعه، والقَصْعُ: شدَّةُ المضغ. وفي حديث أُمّ مَعْبَدٍ: فضرب ظهْرَ الشاة فاجْتَرَّت ودَرَّتْ؛.... ابن سيده: والجِرَّةُ ما يُفيضُ به البعيرُ من كَرِشه فيأْكله ثانيةً. وقد اجْتَرَّت الناقة والشاة وأَجَرَّتْ؛ عن اللحياني. وفلانٌ لا يَخْنَقُ على جِرَّتِه أَي لا يَكْتُمُ سرّاً، وهو مَثَلٌ بذلك. ولا أَفْعَلُه ما اختلف الدِّرَّةُ والجِرَّة.... وروي ابن الأَعرابي: أَن الحَجَّاجَ سأَل رجلاً قَدِمَ من الحجاز عن المطر فقال: تتابعت علينا

الأَسْـمِيَةُ حتـى مَنَعـت السِّـفَارَ وتَظَالَمَـت المِعَـزى واجْتُلِبَـتِ الـدِّرَّة بالجِـرَّة. اجْتِلابُ الـدِّرَّة بالجرّة: أَن المـواشي تَتَمَّـلأُ ثـم تَـبْرُكُ أَو تَرْبِـضُ فـلا تـزال تَجْـتَرُّ إِلى حـين الحَلْـبِ))[1] فهـو الإمضـاغ واللّـوك في الطعـام ولعلّـه يعنـي زيـادة الإمضـاغ للـذة الطعـام كـما لـو كان المُجـترُّ لا يُريـد ابتلاعـه لطعمـه اللذيـذ.

في الاصطـلاح: يعـرف الاجـترار بأنـه ((تكـرار للنـص الغائـب مـن دون تغيـير أو تحويـر وهـذا القانـون يسـهم في نسـج النـص الغائـب؛ لأنـه لم يطـوره ولم يحـاوره واكتفـى بإعادتـه كـما هـو، أو مـع إجـراء تغيـير طفيـف لا يمـس جوهـره بسـوء؛ بسـبب نظـرة مـن التقديـس والاجـترار لبعـض النصـوص والمرجعيـات ولاسـيما الدينيـة منهـا))[2] ويذكـر محمـد بنيـس، أن الاجـترار يسـود ويظهـر دائـما في عصـور الانحطـاط عـلى الأخـص، إذ يتعامـل الشـاعر مـع النـص الغائـب بوعـي سـكوني يجعلـه غـير قـادر عـلى عـد النـص إبداعـاً نهائيـاً[3].

وظاهـرة الإجـترار في غديريـات السـيد رضـا الهنـدي جـاءت في قصيـدة (في عيـد الغديـر) يمـدح بهـا أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب (عليهـما السـلام) ويسـتذكر يـوم غديـر خـم اليـوم الـذي نصَّـب بـه رسـولُ الله (صـلى الله عليـه وآلـه) عليـاً (عليـه السـلام) إمامـاً وخليفـةً عـلى المسـلمين مـن بعـده فيقـول:

(١) لسان العرب: مادة (جرَّ).

(٢) التناص في شعر الرواد: ٤٣.

(٣) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥ م: ٢٥٣.





[من الطويل]

وأنتَ [الصراطُ المستقيمُ] وعندكَ الـ جـواز فمَنْ تمنحه جاز عُبوره[1]

في هـذا البيـت يُشير الشـاعر رحمـه الله إلى آيـة قرآنيـة وحديـث نبـوي شريف وكذلـك في البيـت مـن الفنيّـة الشـعرية الرائعـة التـي تكشـف عـن امتـلاك الشـاعر القـوة والسـيطرة عـلى أدواتـه في الاسـتعمال؛ وهـو التدويـر الشـكلي في البحـر فـما بـين المعقوفتـين مأخـوذة مـن قولـه تعـالى: (اهدِنَـا الـصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) (الفاتحـة:٦) وبهـا يُبـيِّن اعتقـاده بـأنَّ الـصراط المسـتقيم المذكـور في القـرآن الكريـم هـو أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب (عليهـما السـلام) وهـذا فيـه مـن البنيـة الحجاجيـة التـي يُدافـع بهـا الشـاعر عـن الإمـام عـلي بوسـيلة قرآنيـة لا يمكـن ردهـا أو رفضهـا وأردفهـا بحديـث نبـوي صحيـح السـند بتـصرف منـه في الحديـث وهـو عجـز البيـت حيـث مأخـوذ مـن قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) حيـث ((روى الشـافعي ابـن المغـازلي في كتابـه مـن عـدّة طـرق بأسـانيدها عـن النبـيّ صـلى اللهّ عليـه و آلـه و المعنـى متقـارب فيهـا أنّ النبـيّ صـلى اللهّ عليـه و آلـه قـال: إذا كان يـوم القيامـة و نصـب الـصراط عـلى شـفير جهنـم لم يمـرّ عليهـا إلّا مـن كان معـه كتـاب بولايـة أمـير المؤمنـين عليـه السّـلام و في بعـض رواياتهـم بأسـانيدها إلى النبـيّ صـلى اللهّ عليـه و آلـه أنّـه قـال: لم يجـز عـلى الـصراط إلّا مـن كان معـه جـواز مـن عـليّ بـن أبي طالـب عليـه السّـلام))[2] وهـذا يكشـف الثقافـة التـي يتمتـع بهـا السـيد رضـا الهنـدي

(١) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي:٢٣.

(٢) شرح الكافي-الأصول و الروضة (للمولى صالح المازندراني): ٥ / ٢١٩.



رحمه الله ومدى تمكنه من استخدام الفكرة وتوظيفها في شعره. وجاء هنا بالجملة الاسمية لتفيد الثبوت في أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد خرجت الجملة الخبرية ههنا للتوكيد.

وجاء الاجترار عند السيد رضا الهندي في قصيدة (رضي اللهُ عليّاً) والتي قالها في مناسبة عيد الغدير الأغر؛ سنة ١٣٥٥هـ فيقول:

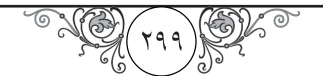
[من الرمل]

أيُّ عيدٍ مثلَ هذا اليومِ فينا [رضيَّ اللهُ به الإسلامَ دينا][١]

فقد اجترَّ عجز البيت من قوله تعالى: (.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...)(المائدة:٣) ولكم اختلاف عجز البيت عن الآية المباركة هو إنَّ الآية المباركة كانت بأسلوب التكلم والبيت الشعري كان بأسلوب الغيبة لذلك كان البيت الشعري مظهراً لمضمرات الآية المباركة واستبدل الضمائر بالأسماء والاستفهام هنا خرج إلى التشويق وبيان التلهف لهذا اليوم كما أنَّ البيت مصرَّع كونه مطلع القصيدة وتمتاز هذه القصيدة بالسلاسة والمرونة لاشتمالها على الفرح والحبور وقد اختار الشاعر لها بحر (الرمل) لمرونته وجماليته وهو أكثر البحور استعمالا للأفراح كما نراه عند الأندلسيين في موشحاتهم لأنَّه قريب من الطرب وروح الفرح لذا كان استعماله في الفرح اكثر إيرادا من الحزن والمدح وغيرها من الموضوعات.

---

(١) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ٣٢.



وفي ذات القصيدة قوله:

أنَّه [مَنْ ينقلب ليس يضرُّ اللهَ شيئاً وسيجزي الشاكرينا][1]

وهو اجترار مباشر من قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:١٤٤) فقد وظف الشاعر الآية المباركة توظيفاً غاية في الروعة بحيث انسجمت انسجاماً كليّاً مع المعنى الذي أراده من الانقلاب الذي حدث في سقيفة بني ساعدة في حين الآية المباركة تتكلم عن انهزام المسلمين في يوم أُحد التي حدثت سنة (٣هـ) والشاعر يتكلم عن يوم الغدير الذي كان في السنة (١١هـ) ولكن انسجام القصيدة مع الحادثة أنتجت معنى ملائما لربط الحادثتين وقد وُفقَ الشاعر في اختزال المعنيين لإظهارهما في حادثة واحدة وهو شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانقلاب القوم من جهة ومشابهة هذا الانقلاب بعد حادثة الغدير من جهة أخرى وقد كشف الخبر الانكاري الذي جاء به الشاعر في صدر البيت ليفيد فيه فائدة عدم الاكتراث من ناحية ومعرفة الأمور مسبقاً من ناحية أخرى وقد خرج الخبر هنا إلى بيان المآل ومصير الأمور.

٢ـ الحوار القرآني في غديريات السيد رضا الهندي

كما تقدَّم في المبحث السابق؛ استهواء الشعراء للقرآن الكريم ورأينا

---

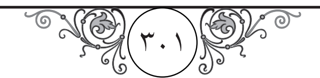
(١) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ٣٢.

كيف وظف السيد رضا وولده آياتٍ من القرآن الكريم في شعرهم لفظاً ومعنى ومن هذا الاستهواء هو ما كان توظيفاً آخراً استعمله الشعراء باستلهامهم المعنى المراد من الآيات المباركة مع بقاء بعضاً منها في البيت الشعري وهذا كان معروفاً لدا السابقين بمصطلح (الاقتباس غير المباشر) وهو الاقتباس الذي يتضمن كلمة أو كلمتين من آية قرآنية مباركة مع بقاء رحى البيت تدور حول معنى الآية المباركة التي تتضمن هذا اللفظ الوارد في البيت الشعري وقد ذكر المحدثون هذا المعنى بمصطلح جديد أسموه (الحوار) وهو أعلى مرحلة من مراحل قراءة النص الغائب؛ لأنه يعتمد النقد المؤسس على أرضية علمية صلبة، تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان شكله ونوعه وحجمه، فلا تقديس لكل النصوص الغائبة مع الحوار[1] إذ إنَّه ((تغيير للنص وقلبه وتحويله بقناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلق الأشكال والتعميمات، والكتابة من جديد، وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية، والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب))[2] وهذا من أكثر أركان التناص شيوعاً واستعمالاً عند الشعراء ويُعتبر قانوناً مرناً من قوانين التناص؛ حيث يُتيح للكاتب محاورة النص المتأثر به وإدخاله في ثنايا نصه لغرض اظهار المعنى الكامن في داخله للآخرين.

---

(١) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية: ٢٥٣ لغة الشعر عند أحمد مطر (رسالة): ٢٢٢.

(٢) التناص في شعر الرواد أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤ م: ٥٧.



وغديريات السيد رضا الهندي حوت من هذه الظاهرة مواضع قرآنية حاور بها السيد الهندي آيات من الذكر الحكيم منها ما جاء في قصيدة (رضي الله عليا) قوله:

[من الرمل]

أيُّ عيدٍ مثلَ هذا اليومِ فينا رضي الله به الإسلامَ دينا
بلَّغ الهادي به ما أنزل الله في شأنِ أميرِ المؤمنينا[١]

فعجز البيت الأول محاورة مع قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة:٣) والتي نزلت في يوم الغدير عندما حجَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه حُجَّة الوداع وهي آخر حُجة لرسول الله قبل وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى وقد ورد من طرقنا إنَّه: ((الْحُسَيْنِ الصَّائِغ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَزَّازِ عَنْ فُرَاتِ بْنِ أَحْنَفَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: قُلْتُ [لَهُ] جُعِلْتُ فِدَاكَ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدٌ أَفْضَلُ مِنَ الْفِطْرِ وَ الْأَضْحَى وَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَ يَوْمِ عَرَفَةَ قَالَ فَقَالَ لِي نَعَمْ أَفْضَلُهَا وَ أَعْظَمُهَا وَ أَشْرَفُهَا عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ وَ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً قَالَ قُلْتُ وَ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ قَالَ فَقَالَ لِي إِنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَعْقِدَ الْوَصِيَّةَ وَ الْإِمَامَةَ لِلْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ جَعَلُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ

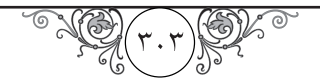
---

(١) ديوانه: ٣٢.

عِيداً وَ إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي نَصَبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيّاً لِلنَّاسِ عَلَماً وَ أُنْزِلَ فِيهِ مَا أُنْزِلَ وَ كَمَلَ [أُكْمِلَ] فِيهِ الدِّينُ وَ تَمَّتْ فِيهِ النِّعْمَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَالَ قُلْتُ وَ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ فِي السَّنَةِ قَالَ فَقَالَ لِي إِنَّ الْأَيَّامَ تَتَقَدَّمُ وَ تَتَأَخَّرُ فَرُبَّمَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ وَ الْأَحَدِ وَ الْإِثْنَيْنِ إِلَى آخِرِ الْأَيَّامِ [السَّبْعَةِ] قَالَ قُلْتُ فَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَالَ هُوَ يَوْمُ عِبَادَةٍ وَ صَلَاةٍ وَ شُكْرٍ لِلَّهِ [تَعَالَى] وَ حَمْدٍ لَهُ وَ سُرُورٍ لِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ وَلَايَتِنَا وَ إِنِّي أُحِبُّ لَكُمْ أَنْ تَصُومُوهُ [تَصُومُوا]))[1] فيوم الغدير عيد الله الأكبر وهذه الرواية تدل على إنَّ شاعرنا كان له الباع الطولى في معرفة الروايات الواردة من طرق آل البيت.

أمَّا البيت الثاني الذي ذكرناه فهو حوار مع قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة:٦٧) وقد بيَّن البيتان قدرة الشاعر على المحاورة مع الآيات القرآنية المباركة وإيلاجها في شعره وكأنها منه والذي لم تطرق أذنه هذه الآيات لما عَرفَ أنَّها من باب الحوار فقد قام الشاعر بالتصرف المحمود من دون الإخلال بالفكرة التي تريدها الآية المباركة وكأنَّه أراد تبيان اتباعه للقرآن الكريم وبيان الأثر القرآني في شعره كما هو الحال يبدو واضحاً جليّاً والاستفهام هنا في صدر البيت الأول خرج إلى التعجب والتنبيه ثُمَّ أردفه بالجملة الخبرية وهي التي كانت حواراً للآية المباركة آنفة الذكر في عجز البيت الأول

(١) تفسير فرات الكوفي: ١١٨.



وهذا الخبر كان جواباً للصدر من طريق البيان لماهيَّة العيد وكان سرد الأبيات اللاحقة كلها بطريق الخبر البياني منه ما كان ابتدائيّاً ولم يحتج إلى توكيد لتثبيته ومنه ما كان طلبياً ومنه انكاريًا حسب المقام والبيت الثاني جاء بالخبر الابتدائي يقيناً منه أنَّ الأمر لا يحتاج إلى توكيد لأنّ إثبات الآية القرآنية له لم تُبقِ للشكِّ سبيلاً.

٣ـ الامتصاص القرآني في غديريات السيد رضا الهندي

من قوانين التناص الذي وضعه العلماء؛ قانون الامتصاص وهو لا يقلُّ أهمية عن القانونين السابقين إن لم يكن أهمَّ منهما وهو أكثر منهما صعوبة بالنسبة للكاتب أو الشاعر لأنَّه يمتصُّ النصَّ كما يمتص الشخص التمرةَ ليأخذ منها حلاوة المعنى ويترك الألفاظ التي هي بمثابة الإطار الخارجي الموصل للمعنى و((ينطلق هذا القانون من فكرة الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته ولكنه يتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل، بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد))[1] فالامتصاص هو تمثل النص الغائب وإعادة صياغته وفق متطلبات تاريخية معينة[2] وهذه العملية يبذل بها الكاتب جهداً كبيراً بالحصول على الفحوى المراد سكبها في قالب جديد ليخرجها نصّاً يُخيَّل للقارئ أنَّه للكاتب لفظاً

(١) لغة الشعر عند أحمد مطر: ٢٢١ ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية: ٢٥٣.

(٢) يُنظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي، محمد بنيس:٢٥٣ التناص معياراً نقديا: ٥٣.

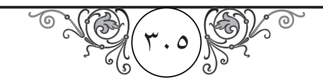
ومعنى إلاَّ أنَّه يتضح لدى الناقد الحصيف معرفة النص الأصلي الذي امتُصَّ منه هذا المعنى فيُبيِّنه حين النقد وهذا لا يُعتبر مثلبة تنتقص من الكاتب؛ بل على العكس من ذلك فهي تُحسب له لأنَّه استطاع توظيف نصّاً آخر داخل نصه الجديد وهذا يُبيِّن ثقافة الكاتب والشاعر واطلاعه على الثقافات الأخرى كي لا يكون منغلقاً على نفسه لأنَّ الانغلاق يؤدي إلى الركود ومن ثمّ الاضمحلال شيئاً فشيئاً وهذا ديدن الشعراء قديماً وحديثاً فلو أجال النقّاد نظرهم في أشعار السابقين والمحدثين والمعاصرين لوجدوا كثيرا من التناص في أشعارهم من القرآن والحديث النبوي والروايات والسير وأشعار من سبقهم حيث أشار السابقون إلى ذلك كثيراً.

وكما مرَّ بنا حصافة السيد رضا الهندي وإمكانيته الشعرية إلا أننا وجدنا في هذا الموضوع ما يبعث على التأمل لأنَّ هذا الموضوع يكشف مدى إمكانية الشاعر في امتصاص النصوص من جهة واتساع ثقافته القرآنية من جهة أخرى وكيفية توظيفها شعراً من جهة ثالثة وسنتبع في ذلك عنوانات عامة تندرج تحتها الموضوعات التي تحمل خاصية الامتصاص.

ومن الامتصاص الذي جاء في شعر السيد رضا الهندي رحمه الله ما جاء في قصيدته (عيد الغدير) التي يقول فيها:

[من الطويل]

وأنت قسيم النار قسمٌ تُجيزه ... عليها وقسمٌ من لظاها تُجيره



ولمَّا استتم الدين أوفى بحافلٍ	حقدِ أخي حقدٍ عليك يثيره
ومثلك مَنْ إنْ تمَّ للدين أمره	فما ضرَّه إلّا تتم أموره
ولو شيئت أثكلتَ العدو بنفسه	فأصبح يعلو ويلُه وثبوره
ببأس يدٍ لو صُلتَ يوما بها على	ثبيرٍ إذاً لاندكَّ منها ثبيره
ولكن رأيتَ الصبر أحجى ولم ينل	ثواب مقام الله إلا صَبوره
فديتُك ادرك بالشفاعة مذنباً	إذا أنت لم تنصره عزَّ نصيره
ولايته إيَّاك أقوى وسيلةً	سيُمحى بها تقصيره وقُصوره [(١)]

في هذه القصيدة فيها من الحجاج غير المباشر كثير بأسلوب الحوار منها قرآني ومنها روائي ومنها ما كان حوارا مع خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فلو أمعنَّا النظر في البيت الأول لوجدناه حوارا مع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ النَّارِ تَقُولُ هَذَا لِي وَ هَذَا لَكَ))[(٢)] ثمّ يُحاور آية إكمال الدين وإتمام النعمة التي جاءت في سورة المائدة في الأبيات التي تليه امتصاص من قوله تعالى: (... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة:٣) وفي هذه الأبيات حوارية رائعة مع الآية المباركة فهو يُريد القول: الذي أتمَّ الله له دينه ونعمته واستتم أمره بيد الله فما يضره إن لا تتم أموره مع الناس ثمّ إنَّ الأمر كان بيدك ولو شيئت اثكلتَ العدو بإزهاق نفسه

(١) ديوانه: ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير القمي علي بن إبراهيم: ٢ / ٣٨٩.

وانت قادر على ذلك وجعته يدعو بالويل والثبور على نفسه لكنَّ نفسك الكريمة تأبى المكر والخداع والبطش بغير الحق وجاء شاعرنا بأسلوب الخطاب المباشر من باب (إيَّاكِ أعني واسمعي يا جاره) لأنَّ الإمام لا يحتاج لتنبيهه؛ لأنَّه العالم بطرق السماوات أكثر من طرق الأرض وهذا الحجاج بهذا الأسلوب أبلغ من توجيه الخطاب مباشرة إلى خصوم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد قال الخطيب اللوذعي عميد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله في قصيدته الشهيرة (إلى أبي تراب):

[من الكامل]

حقدٌ إلى حسدٍ وخسةُ معدنٍ ... مطرت عليك وكُلهنَّ هتون

راموا بها أن يدفنوك فهالهم ... أن عاد سعيُهمُ هو المدفونُ

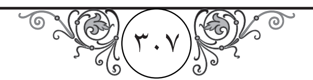
وتوهَّموا أن يُغرقوكَ بشتمهم ... أتخاف من غرقٍ وأنت سفينُ؟

ستظلُّ تحسبكَ الكواكبُ كوكباً ... ويهُزُّ سمع الدهرِ منك رنينُ

وتعيشُ من بعد الخُلودِ دلالة ... في أنَّ ما تهوى السماءُ يكونُ[1]

وهو كذلك سيبقى أميرُ المؤمنين ألقاً يعانق أعنان السماء ويُراهن العصور خلوداً ولا ينثني مهما عصفت به رياح الحقد والحسد فقد مزَّق أردية الكفر وكسَّر أنوف العتاة رُغم قلة الناصر وألم الوحدة فسيبقى يهزَّ سمع الدهر رنينه ويبقى إسفين الخطر الذي يدكُّ معاقل أعداء الإنسانية فهو صوت العدالة الإنسانية المدوّي في أرجاء المعمورة وهو يهدد الطغاة والظلمة فكلَّما يطرق مسامعهم ترى فرائصهم لا تعرف سبيلاً للسكون

(١) ديوان الوائلي: ٨٤.



وسيبقى ذهباً نقياً كُلَّما مرَّ عليه الدهر يزداد غلاءً وثمناً.

ثمَّ يستأنف شاعرنا بطريق الاستدراك (ولكن رأيتَ الصبر..) وهذا البيت امتصاص من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالخطبة الشقشقية في قوله (عليه السلام): ((.. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا..))[1] وكل هذه الأبيات جاء بها بطريق أسلوب الخبر الطلبي والإنكاري لرفع الشك بفضائل أمير المؤمنين عن ذهن المتلقي وقد حاجج بها المخالف من طريق أسلوب الخطاب إذ المراد من الخطاب البيان والتثبيت ومن خلال ذلك بيَّن الشاعر في البيت الأخير وهو امتصاص من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة:٣٥) فيوضح الشاعر بأسلوبه أنَّ المقصود بالوسيلة هو أمير المؤمنين وبثَّ فيها نكران ذاته فتحدث عن نفسه بأسلوب الغائب وهذا الخبر خرج للتحقير وتقليل الشأن وجاء بالضمير المنفصل ليفيد التخصيص إذ الولاية لك لا لغيرك فولاية هذا المذنب وهو يقصد نفسه التي والاك بها هي خاصة لك لا يشترك معك بها أحد لأنَّه يعتقد أنها أقوى وسيلة لله تعالى وفيها تُمحى الذنوب ويُغتفر التقصير.

المبحث الثاني

الروافد الحديثية في غديريات السيد رضا الهندي

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠.

بعـد إن قدمنـا التعريفـات العامـة للروافـد المعرفيـة الاشـتقاقية مـن اجـترار وحـوار وامتصـاص قبـل الولـوج إلى النصـوص الشـعرية للسـيد الهنـدي الآن ندخـل مبـاشرة إلى النصـوص النبويـة في غديرياتـه.

١ـ الاجترار الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

جـاء الاجـترار الروائـي (الحديـث النبـوي حـصرا) في غديريـات السـيد رضـا الهنـدي في أكثـر مـن موضـع منهـا مـا جـاء في قصيدتـه (في عيـد الغديـر) قولـه:

أبـا حـسـنٍ تـالله أنـتَ لأحمـد أخـوه وقـاضي دينـه ووزيـره(١)

فهـذا البيـت اجـترار مـن حديـث الـدار المبـارك الـذي نقلـه كثـير مـن المفسريـن وأربـاب السـير في تفسـير قولـه تعـالى: (وَأَنـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِـينَ) (الشـعراء/ ٢١٤) فقـال الشـيخ الطـوسي: ((انـما خـص عشـيرته الأقربـين لأنـه يمكنـه أن يجمعهـم ثـم ينذرهـم، وقـد فعـل صـلى الله عليـه وآلـه ذلـك. والقصـة بذلـك مشـهورة فانـه روي أنـه أمـر صـلى الله عليـه وآلـه عليـا بـأن يصنـع طعامـا ثـم دعـا عليـه بنـي عبـد منـاف وأطعمهـم الطعـام. ثـم قـال لهـم: أيكـم يـؤازرني عـلى هـذا الأمـر يكـن وزيـري وأخـي ووصيـي، فلـم يجبـه أحـد إلا عـلي عليـه السـلام والقصـة في ذلـك معروفـة.))[٢] وذكـر الشـيخ الطـبرسي وغـيره مـن علـماء التفسـير والحديـث القصـة مفصـلا[٣].

(١) ديوانه: ٢٣.

(٢) التبيان: ٨/ ٦٢. ويُنظر: الأمالي للشيخ الطوسي: ٢/ ١٦٣.

(٣) مجمع البيان: ٧/ ٣٢١ـ٣٢٢. وينظر في ذلك: الكافي: ١/ ٢٩ تفسير نور الثقلين: ٧/ ٧١



وابن كثير ذكر عدَّة طرق لهذا الحديث لكنه يجعلها من غرائب الأحاديث ويُنكرها[1] وابن كثير معروف المنهج والسلوك فلا غرابة منه من نكران الحديث والسبب في ذلك هو أنَّه فضيلة من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) رغم أنّ البغوي قد ذكر ذلك وجعلها من المسلمات والمشهور[2] ورواه ابن عساكر والحاكم[3] وغيرهما من أرباب الحديث والسير وقد ذكر السيوطي الحادثة بالتفصيل في قوله: ((تكلم رسول الله صلى الله عليه سلم فقال: يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخبري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرني على أمري هذا، ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً، وأنا أحدثهم سناً فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه »))[4] ولا يضير علياً إن نعق الناعقون فيكفه فخراً أنَّه الوحيد الذي شهد الله له بالإيمان وشهد له رسول الله

مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٥٨ بحار الأنوار: ٩/ ٤٠ الميزان:١٥/ ١٧١ مستدرك سفينة البحار: ١/ ٢٠٥ وغيرها من مصادر مدرسة أهل البيت

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/ ١٦٦ـ١٧٠.

(٢) يُنظر: معالم التنزيل البغوي: ٦/ ١٣١.

(٣) يُنظر: تاريخ دمشق: ١/ ١٠١ المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٢٠٤.

(٤) تفسير الجلالين: ٧/ ١٤٥ يُنظر: تفسير الخازن: ٥/ ٥٩ السراج المنير: ١/ ٢٩٤٦ اللباب في تفسير الكتاب ابن عادل الحنبلي: ١٢/ ٢٨١.

بحب الله له يوم خيبر.

فالبيت الشعري اجترار من هذا الحديث المبارك الذي أورده السيد الهندي في قصيدته.

والمورد الآخر الذي جاء به الاجترار من الحديث النبوي في الغديريات؛ ما جاء في قصيدة (رضي الله علياً):

قائلاً: إنَّ علياً وارثي	ووزيري وإمام المسلمينا
أيها الناس أطيعوا واسمعوا	إنَّني لستُ على الغيب ضنينا
لستُ من تلقاء نفسي قلته	إنَّما أتبع الوحي المبينا[1]

وهذه الأبيات اجترار من حديث الغدير المبارك وهو أشهر حديث على الإطلاق إذ رواه أكثر من ثمانين ألف صحابي بعد رجوعهم من الحجِّ الأخير الذي حجَّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو فوق حدِّ التواتر بل عبر حاجز المسلمات واصبح من اليقينيات التي لا يدخلها الشك أبدا والشاهد في الأبيات قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الخطبة الشريفة عن علي (عليه السلام): ((... قم يا على فقمت فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ فقال عليه السلام ولاء كولائى من كنت أولى به من نفسه فعلى أولى به من نفسه، فانزل الله تبارك وتعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وكبر رسول الله

(١) ديوانه: ٣٢.



صلى الله عليه وآله وقال الله اكبر تمام نبوتى وتمام دينى دين الله عزوجل وولاية على بعدى، فقام ابوبكر وعمر فقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصة في على؟ فقال عليه السلام بلى خاصة فيه وفى اوصيائى إلى يوم القيامة، قالا: يا رسول الله بينهم لنا قال على اخى ووزيرى ووارثى ووصيى وخليفتى في امتى وولى كل مؤمن بعدى ثم ابنى الحسن ثم ابنى الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لايفارقونه ولايفارقهم حتى يردوا على حوضى؟ قالوا: اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء وقال بعضهم: قد حفظنا جل ماقلت ولم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا اخيارنا وأفاضلنا، فقال على عليه السلام صدقتم ليس كل الناس يتساوون في الحفظ))[1]
فقد اقتبس السيد رضا الهندي هذا المقطع من الحديث الشريف وجعله في شعره وجعله في سبيل الحجاج الروائي في الشعر وهذا من باب التوكيد والتنبيه في قوله: (أيها) جاء للتحذير بصيغة النداء وهاء التنبيه فإن لم تُطيعوه وتسمعوه فستهلكوا.

---

(١) نور الثقلين: ٢/ ٢٢٠ ويُنظر: علل الشرائع: ١/ ٢٣٠ مناقب أمير المؤمنين محمد بن سليمان: ١/ ٢٣٨ ما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب (عليه السلام) للجلودي: ٢٩ خصائص أمير المؤمنين للشرف الرضي: ٧ الإحتجاج: ١٤ شواهد التنزيل للحسكاني: ١/ ١٨٩ الأمالي الشجرية: ١/ ١١١ مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٥٩ بحار الأنوار: ٧/ ٢٨٢ تفسير الصافي: ٢/ ١٢٩ شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل ابن رويش: ٤/ ١١ ينابيع المودة: ١/ ٢٩٦ مجمع الزوائد: ١/ ١٦١ الغيبة: ٢٠ الغدير للاميني: ١/ ٢٠٨ وغيرها من المصادر وأمّات الكتب المعتبرة التي ذكرت هذا الحديث المبارك وما ذكرناه للمثال لا للحصر.

٢ـ الحوار الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

جعل السيد رضا الهندي من الحوار في غديرياته حوارا ذاتياً إذ تبنَّى الحديث وصار يتكلم بضمير الأنا المتكلم وكأنَّه هو من قال هذا لأول مرة وذلك في قوله في قصيدة (في عيد الغدير):

وأنت قسم النار قسم تجيزه عليها وقسم من لظاها تُجيره[1]

فهذا البيت حوار مع قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي ذكر الشيخ الطوسي في تفسيره: من طريق((عمربن شيبة وغيره: إنَّ علياً (عليه السلام) قسيم الجنة والنار، فروى بن شيبة بأسناده عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنَّه قال: ياعلي كأني بك يوم القيامة وبيدك عصامن عوسج تسوق قوما إلى الجنة وآخرين إلى النار))[2] وذكر الشيخ الصدوق في علل الشرائع من طريق الإمام الصادق (عليه السلام) هذا الحديث بالتفصيل وذلك في قوله: ((عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) بما صار علي ابن أبي طالب (عليه السلام) قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر فهو (عليه السلام) قسيم الجنة والنار لهذه العلة والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه، قال المفضل: يابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه

(١) ديوانه: ٢٣.

(٢) التبيان: ٤/ ٤١٢.



وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم...))[1] فقد حاور شاعرنا السيد الهندي هذا الحديث الشريف بطريقة التكلُّم إذ تبنَّى هذا الحديث لنفسه وصاغ من كلماته بيتاً من الشعر ووضعه في غديريته المباركة وهو بطريقة الإخبار الذي أفاد التنبيه والبيان أنّه يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) هو قسم الجنة والنار لا غيره وعلى الجميع أن يؤمن بذلك لأَنَّه جاء من فم مَن لا ينطق عن هوىً وبهذا قد صبَّ عقيدته وإيمانه في قالب البيت الشعري ليبينها وكيفية تسليمه لها تسليماً تاماً.

ومنه ما جاء في قصيدة (رضي الله علياً) بذات الطريقة والأسلوب الذي اتبعه سابقاً فهو يتبنَّى قول الرسول الأعظم ويصوغه شعراً محاوراً إياه محاورة رائعة الغرض منها التنبيه والتوكيد والبيان وذلك في قوله:

رضي الله علياً هادياً بعد طه فسمعنا ورضينا [2]

إذا أنَّ هذا البيت حوار مع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ذكره الشيخ الطوسي في تفسيره عن ابن عباس: ((عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت « إنما انت منذر ولكل قوم هاد « وضع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يده على صدره، وقال انا المنذر ولكل قوم هاد « وأومأ بيده إلى منكب علي (عليه السلام)،

(١) علل الشرائع: ١٢١ يُنظر: تفسير نور الثقلين: ٣/ ٣٥ تفسير الصافي: ١/ ٢٨ بحار الأنوار: ٧/ ١٨٧. وغيرها من المصادر التي ذكرت هذا الحديث المبارك.

(٢) ديوانه: ٣٢.

فقال انت الهادي ياعلي بك يهتدي المهتدون من بعدي.))[1] وهذا ما يسمَّى بالخبر الإنكاري وهو مجيء اكثر من مؤكِد لرفع الشك من ذهن السامع وهذا التوكيد جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) للتثبيت وتبنَّاه الشاعر ليجعل منه بيتاً شعرياً حاوره به للغرض ذاته فهو أيضا أراد منه التنبيه والتثبيت والتوكيد.

فكان الحديث النبيوي رافدا في شعر السيد رضا الهندي ومحوراً اساسياً يعتمد عليه في بناء غديرياته وهو أسلوب دفاعي توكيدي لبيان الأفضلية.

٣ـ المتصاص الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

كان للمتصاص في شعر السيد الهندي نصيب منه ما جاء في قصيدته (في عيد الغدير) قوله:

فلا مشكل إلا وأنت مداره ... ولا فلك إلا وأنت مُديره

ولا أمَّة إلا وأنت أمينها ... ولا مؤمن إلا وأنت أميره[2]

فالبيت الأول هو امتصاص من قول عمر بن الخطاب: ((لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن))[3] وقد ذكر العلامة الإميني (رحمه الله) في

(١) التبيان: ٦/ ٢١٨. وكثير من التفاسير التي ذكرت هذه الرواية المباركة وقد عبرت حد التواتر ووصلت إلى المسلمات.

(٢) ديوانه: ٢٣.

(٣) شرح بن عقيل: ٢/ ١٨٣ يُنظر: شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد: ٤/ ٧ بحار الأنوار: ١٠٩/ ٣٦.



غديره قول عمر بن الخطاب الذي هو أقرب للبيت الشعري المذكور قوله: ((وقال فيه عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر، ولا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبو الحسن.))[1] فكان هذا لاقول رافداً معرفياص لشاعرانا لصياغة هذا البيت.

أمَّا البيت الثاني فهو امتصاص من قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((يا علي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، يا علي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، يا علي أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا علي أنت مولى المؤمنين والحجة بعدي على الناس أجمعين.))[2] فقد صاغ من الرافد النبوي شعرا وتبنى القول وكأن السامع لأول وهلة ولم يعرف بالحديث لفهم من ذلك أن الشاعر هو من أبدعه ولو أنعمنا النظر في غديريات شاعرنا لوجدناه قد بثَّ فيهما من الآيات والأحاديث والروافد الروائية ما يُشعرنا بقوة ملكة الشاعر بالتصرف في النصوص من جهة وبيان معرفته بهذه الروافد من جهة أخرى.

ومنه ما جاء في قصيدة (رضي الله علياً) في قوله:

أيّ عيبٍ في الذي خاف من اليمِّ فاختار بأن يأوي السفينا[3]

(١) الغدير في التاريخ والأدب: ٥/ ٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧/ ٦٣ ويُنظر: تفسير فرات الكوفي: ٤/ ٢٣.

(٣) ديوانه: ٣٣ وهذا البيت مدور حسب عرف أهل العروض.

هذا البيت امتصاص من حديث السفينة المبارك وهو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله: ((انما مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة بني اسرائيل من دخله غفر له))[1] فقد أرفد الحديثُ المبارك شاعرنا في هذا البيت وصار رافدا معرفياً له والمعنى: هو مالضير أو ما هو المعيب على الذي خاف من بحر الظلمات والتيه والخوف من النار ومن الفتن ليأوي إلى السفينة المنجية التي قال عنها رسول الله: أنها كسفينة نوح والذي يأوي إليهم يقينا حليفه النجاة والمتخلف عنهم حليفه الغرق لا محال. والاستفهام هنا أفاد النفي والمعنى: لا عيب في الذي يخاف من اليم ويختار الركوب في السفينة.

نكتفي بهذا القدر من بيان الروافد المعرفية التي رفدت غديريات السيد رضا الهندي كي لا يكون هنالك ترهلاً في البحث من جهة ومن جهة أخرى لا نريد الإطالة أو الإسهاب وما ذكرناه للمثال لا للحصر[2].

الخاتمة (أبرز النتائج)

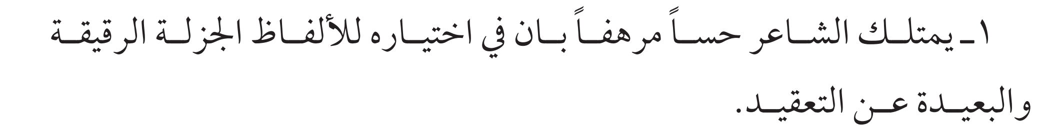
بعد هذه الرحلة الأدبية والغوص في أعماق قصيدتين من قصائد أديب ألمعي من المحدثين توصلنا إلى النتائج التالية:

(١) شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل ابن رويش: ٣/ ١٠.

(٢) علمًا أن في الغديريات روافدا أخرى من نهج البلاغة ومعاني للأمثال لكننا نمتثل لشروط مؤتمر الغدير المبارك الذي اشترط عدد الصفحات لذا نقتصر عليى هذه الروافد الشريفة.







١ـ يمتلـك الشـاعر حسـاً مرهفـاً بـان في اختيـاره للألفـاظ الجزلـة الرقيقـة والبعيـدة عـن التعقيـد.

٢ـ استعمل في القصيدتين أسلوب السهل الممتنع.

٣ـ كان الرافد القرآني أكثر إرواءً في غديريات السيد رضا الهندي.

٤ـ يمتلـك الشـاعر أدوات رائعـة لحرفتـه لصياغـة الآيـات والأحاديـث صياغـة جديـدة تنـم عن مـدى معرفتـه في كيفيـة التحويـل والتبديـل والصناعة.

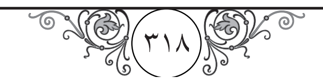
٥ـ اغـدق الشـاعر مشـاعره في قصيـدة (رضي الله عليـاً) أكثـر مـن قصيـدة (في عيـد الغديـر) وكان التعامـل مـع المفـردات بحرفيـة عاليـة لغـرض بيـان مـراده الـذي يريـد توصيلـه.

٦ـ اتخـذ مـن الأسـلوب الخـبري كوسـيلة لبيـان أحقيـة أمـير المؤمنـين في الخلافـة مـن غـيره وهـو أسـلوب يُسـتخدم في المسلمات مـن الأمـور.

٧ـ بـثَّ الشـاعر عقائـده ومـا يُؤمـن بـه في ثنايـا القصيدتـين بطريقـة افتخارية كونـه ينتمـي لهـذا الإمـام الهـمام المقـدام (عليـه أفضـل الصلاة والسـلام).

٨ـ في القصيدتـين كثـير مـن الروافـد المعرفيـة الأخـرى لكننـا اقتصرنـا عـلى رافـدي القـرآن الكريـم والحديـث النبـوي الشريـف خشـية الإطالـة والإطناب.

وفي الختـام سـائلين المـولى عـزَّ وجـل أن يُثبتنـا عـلى ولايـة محمـد وآل محمـد وأن يجعـل هـذا العمـل في ميـزان حسـناتنا وأن لا يُفـرق بيننـا وبـين محمـد وال محمـد طرفـة عـين ولا ندعـي لعملنـا هـذا الكـمال لأنَّ الكـمال لله وحـده آمـيل أن يفيـد غيرنـا مـن صحيحـه ويعمـد إلينـا مـن يـرى عيوبـه لتصحيحهـا ورحـم



الله مـن حفـظ أخـاه وارشـده للمسـار السـوي.

والحمد لله رب العالمين..

مظان البحث

القرآن الكريم.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مؤسسة البعثة بيروت ط١ ١٩٩٢م.

بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ) مؤسسة الوفاء بيروت ط٥ ١٩٨٨م.

تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي السلمي ت(٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢ ١٩٨٣ م.

تفسير البغوي، المسمى (معالم التنزيل) الإمام أبو محمد الحسين الفراء البغوي ت(٥١٦هـ) مطبوع على هامش تفسير الخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده مصر، ط٢، ١٩٥٥م.

تفسير العياشي أبو النضر محمد بن مسعود العياشي ت (٣٢٠هـ) تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة قم د. ت.

تفسير القرآن العظيم ابن كثير الدمشقي ت (٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى السيد وآخرون مؤسسة قرطبة مصر الجيزة ط١ ٢٠٠٠م.

تفسير القمّي علي بن إبراهيم تعليق: طيب الموسوي الجزائري دار الكتاب بيوت ط٣ ١٤٠٤هـ.



التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت(٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية، ط٢، د. ت.

التناص في الشعر الغربي، عبد الواحد لؤلؤة، مجلة (الأقلام)، العدد(١٠، ١١، ١٢)، ١٩٩٤م.

التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤ م.

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ ١٩٨٦م.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي مركز هجر للبحوث والدراسات القاهرة ط١ ٢٠٠٣ م.

ديوان السيد رضا الهندي جمعه: السيد موسى الموسوي راجعه وعلق عليه: الدكتور عبد الصاحب الموسوي مؤسسة الثقلين دمشق ط٢ ٢٠٠٨م.

ديوان السيد رضا الهندي وأبنائه اعداد: السيد هادي حسين الموسوي المكتبة الحيدرية النجف الأشرف د. ط د. ت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ت(١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية بيروت ط١ ٢٠٠١م.

السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، فخر الدين محمد بن ادريس الحلي، (ت٥٩٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط٢، ١٤١٠هـ.

شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك بهاء الدين بن عقيل ت(٧٦٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار التراث مصر د. ط ٢٠٠٥م.

شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل عيد روس (ابن رويش) الأندونيسي اتشارات الشريف الرضي أمير قم ط١ ١٤١٨ ه.

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني دار ابن الجوزي المدينة المنورة ط١ ١٤٢٣ه.

ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥ م.

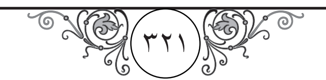
عيون أخبار الرضا ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي الأعلمي بيروت ط١ ١٩٨٤م.

الكافي محمد بن يعقوب الكليني تحقيق: علي أكبر غفاري دار الكتب الإسلامية تهران ط٣ ١٣٨٨هـ.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل جار الله الزمخشري ت(٥٣٨هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد عوض مكتبة العبيكان الرياض ط١ ١٩٩٨م.

الكوكب الدري من شعراء الغري علي الخاقاني ذوي القربى النجف الأشرف ط١ ١٤٢٧هـ.

لسان العرب، ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، دار احياء التراث العربي،





بـيروت لبنـان، ط٣، ١٩٩٩ م.

لغـة الشـعر عنـد أحمـد مطـر مسـلم مالـك الاسـدي رسـالة ماجسـتير جامعــة بابـل كليــة التربيــة ٢٠٠٧م.

مـا نـزل مـن القـرآن في عـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام) عبـد العزيـز بـن يحيـى الجلـودي ت(٣٣٢هــ) تحقيـق: نـزار عبـد المحسـن المنصـوري مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة العتبـة الحسـينية المقدسـة العـراق / كربـلاء ط١ ٢٠١٨م.

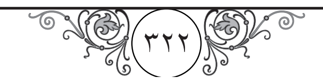
مباحـث علـم المعـاني في تفسـير (مـن هـدى القـرآن) للسـيد محمـد تقـي المـدرسي خالـد عبـد النبـي عيـدان الأسـدي (رسـالة ماجسـتير) جامعـة كربـلاء كليـة العلـوم الإسـلامية ٢٠١٧م

مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن الشـيخ أبـو عـلي الفضـل بـن الحسـن الطـبرسي ت(٥٤٨هــ) تحقيـق: لجنـة مـن العلـماء والمحققـين الأخصائيـين قـدم لـه: السـيد محسـن الأمـين العامـلي (مؤلـف كتـاب الغديـر) مؤسسـة الأعلمـي بـيروت ط١ ١٤١٥هــ ١٩٩٥م الامـالي الشـجرية، ابـن الشـجري (ت ٥٤٢هـ)، مطبعـة مجلـس دائـرة المعـارف العثمانيـة، حيـدر ابـاد، الدكـن، ١٣٤٩هــ.

مجمـع الفائـدة والبرهـان في شرح ارشـاد الأذهـان، المـولى احمـد الأردبيـلي، (ت٩٩٣هــ)، مؤسسـة النـشر الإسـلامي، قـم المشرفـة، ط١، ١٤١١هــ.

المصبـاح المنـير، احمـد بـن محمـد بـن عـلي المقـري، (ت١٦٣١م)، دار الكتـب العلميـة)، بـيروت لبنـان، ط٤، ١٩٩٩م.

نهـج البلاغـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) جمـع: الشريـف الـرضي ت(٤٠٦هــ) شرح: الشـيخ محمـد عبدة مؤسسـة المختـار القاهـرة ط٢ ٢٠٠٨م.



خطبة الغدير للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) مقاربة تداولية

م. م. ضوية صادق جعفر حساني الربيعي

المقدمة:

ما يزال النص التراثي قطبا مغناطيسيا تنجذب إليه جهود الدارسين على اختلاف مناهج دراساتهم، وتراوحها بين الجدة والقدم، وذلك لما لهذه النصوص من خصائص لغوية وقيمية تشكل نسيجا متكاملا ومتجددا؛ بحيث لا تجدُّ دراسة ولا يبرز على ساحات المناهج والتوجهات الجديدة منهج إلا ووجد له في هذه النصوص ضالة. ويعتبر المنهج التداولي الحديث - على تمنعه على الضبط والتجديد على مستوى آلياته التحليلية - وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات بشكل «عبر تخصصي»، يمنحه ثراء على مستوى الإجراء والنتيجة، ولاسيما على مستوى النصوص التراثية لما فيها من مستويات سياقية مقامية، وتشخيصية، وتوفرها على مساحة شاسعة من الطبقات الكلامية «مستويات الأفعال الكلامية» على اعتبار أن هذه الأخيرة مبحث مهم من المباحث التداولية. بين المخاطِب والمخاطَب.

لقد فرق سوسير بين اللغة والكلام جاعلا من الأولى انتماءاً وضعيا بينما ينتمي الكلام إلى حقل الاستعمال للغة بغض النظر عن حالتها

البنيوية، لذلك عرفت التداولية بانها « دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية» وهو المنطلق الذي يقدم التداولية في صورة البحث عن القصدية من خلال استعمال اللغة عبر السياقات ومن خلال قراءة أفعال الكلام وأنواع المعنى، وهي كذلك -في خلفيتها النظرية الابيستيمية وخطواتها الإجرائية- تساعد محللي الخطاب بكل أنواعه وبخاصة الأدبي منه في جانب الفهم ومقاربة مقصدية التواصل. فالتداولية إذن هي دراسة للجانب الإستعمالي للغة. و هنا تحدد (أوركيوني Orecchioni) وظيفة التداولية «في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل - المتلقي - الوضعية التبليغية. إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة. و هنا يتجلى العنصر الرابط بين مختلف النظريات والتوجهات التي شكلت ما نسميه التداولية، و هو السياق Contexte. فاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إلى السياق، هو الذي جعل تلك النظريات تختلف فيما بينها في تحديد ماهية التداولية. فمنهم من يرى أنها هي الأقوال التي تتحول إلى أفعال ذات صبغة و امتداد اجتماعيين، بمجرد التلفظ بها وفق سياقات محددة و منهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار التي تظهر في الخطاب، و يدرس هؤلاء أثر الذاتية في الخطاب من خلال الضمائر و الظروف المبهمة (Déictiques). و منهم من يلخصها في مجموعة من قوانين الخطاب Lois du discours أو أحكام المخاطبة Maximes contersationnelles على حد تعبير الفيلسوف جرايس

- التـي تضفـي عـلى الخطـاب صيغـة

ورد الجـذر دول في لسـان العـرب لابـن منظـور عـلى أشـكال عديـدة تجتمـع في كونـه يـؤدي فعـل الانتقـال وقـد ورد «في حديـث الدعـاء: حدثنـي بحديـث سـمعته عـن رسـول الله، لم يتداولـه بينـك وبينـه الرجـال، أي لم يتناقلـه الرجـال وترويـه واحـدا عـن واحـد، إنـما ترويـه أنـت عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم».

إنّ الخطبـة الغديـر والتـي طبعـت بصـورة مسـتقلة مـرات عديـدة، وكلهـا كانـت طبقـاً لروايـة كتـاب «الاحتجـاج»، وهـذا النـص الماثـل بـين يدينـا تـمَّ تقويمـه وتنقيحـه بالاعتـماد عـلى روايـات الإمـام الباقـر (عليـه السـلام) وحذيفـة بـن اليـمان وزيـد بـن أرقـم، مـن خـلال مصـادر تسـعة وهـي كتـب: «روضـة الواعظـين»، «الاحتجـاج»، «العُـدَد القويـة»، «اليقـين»، «التحصـين»، «الـصراط المسـتقيم»، «الإقبـال»، «نهـج الايـمان» و»نزهـة الكـرام». يقـول عـن زيـد بـن أرقـم قـال:

حديـث الغديـر: لمـا رجـع رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه مـن حجـة الوداع ونـزل غديـر خُـمٍّ، أمـر بدوحـات فقُمِمْن، فقـال: «كأني قـد دُعيـت فأجبت، إني قـد تركـت فيكـم الثقلـين أحدهمـا أكـبر مـن الآخـر: كتـاب الله تعـالى، وعِتْرتي، فانظـروا كيـف تخلفـوني فيهـما، فإنهـما لـن يتفرقـا حتـى يَـرِدا عـليَّ الحـوض». ثم قـال: «إن الله عـز وجـل مـولاي، وأنـا مـولى كل مؤمـن». ثـم أخـذ بيـد عـليٍّ عليـه السـلام عنـه فقـال: «مـن كنـت مـولاه فهـذا وليّـه، اللهـم والِ مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه».

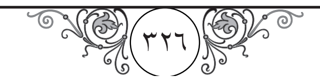


المقاربـة التداوليـة للنـص التراثـي تعـد ضربـا مـن المجازفـة تتأتـى خطورتهـا مـن اللامنهجيـة التـي تتسـم بهـا التداوليـة وانعـدام الآليـات التحليليـة الموحدة التـي يطمئـن إليهـا الـدارس، والتـي تخرجهـا مـن بـاب المنهـج إلى بـاب المقاربة كـما أن للنـص التراثـي خصوصيتـه البنائيـة والموضوعيـة كذلـك، فنجدنـا أمـام كل نـص تعلونـا حـيرة كبـيرة: بـأي المناهـج نقاربـه؟ فارتأينـا في هـذا البحـث تطبيـق أحـدث مـا توصلـت إليـه اللسـانيات التداوليـة المعـاصرة عـلى المجـال الأدبي، «، وتحليـل الخطبـة تحليـلا تداوليـا بالبحـث في وزمـن الخطـاب ومكانـه والحجـاج. محاولـين بذلـك الإجابـة عـن التسـاؤلات التداوليـة (مـن المتكلـم؟ مـن المخاطـب؟ مـا زمـن الخطـاب؟ أيـن حـدث الخطـاب؟...) للتوصـل إلى قصـد المتكلـم. مـن خـلال دراسـة نظريـة الأفعـال الكلاميـة وتطبيقهـا عـلى خطبـة الرسـول الأكـرم (صـلى الله عليـه وآلـه)

تعـدّدت الأفعـال الكلاميـة في خطبـة الغديـر، وهـذا مـا يـدل عـلى تعـدد أهـداف النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)، فكانـت الأفعـال الكلاميـة تـارة تعبيريـة وتـارة أخـرى توجيهيـة، وكان الإنجـاز مـرّة سـلوكيا ومـرة أخـرى تقريريـا، كـما جـاءت الأفعـال بشـكل مبـاشر وأحيانـا جـاءت تلميحيـه.

المقاربة التداولية:

يقصـد بالمقاربـة التداوليـة تلـك النظريـة النقديـة التـي تـدرس الظواهـر الأدبيـة والثقافيـة والفنيـة والجماليـة في ضـوء التداوليـات اللسـانية. ويعنـي هـذا أن المقاربـة التداوليـة تـدرس النـص أو الخطـاب الأدبي في علاقتـه



بالسياق التواصلي، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي و التلفظي. قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «مُسْتَجيبُ الدُّعاءِ وَمُجْزِلُ الْعَطاءِ، مُحْصِي الأَنْفاسِ وَرَبُّ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ؛ الَّذي لا يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلا يُضْجِرُهُ صُراخُ الْمُسْتَصْرِخينَ، وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ. الْعاصِمُ لِلصّالِحينَ، وَالْمُوَفِّقُ لِلْمُفْلِحينَ، وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ وَرَبُّ الْعالَمينَ؛ الَّذي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ عَلى كُلِّ حال. أَحْمَدُهُ كَثيراً وَأَشْكُرُهُ دائِماً عَلَى السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، وَأُومِنُ بِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. أَسْمَعُ لأمره وَأُطيعُ وَأُبادِرُ إلى كُلِّ ما يَرْضاهُ وَأَسْتَسْلِمُ لِما قَضاهُ، رَغْبَةً في طاعَتِهِ وَخَوْفاً مِنْ عُقُوبَتِهِ»[1] وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات. وبهذا، تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية، وسؤال الدلالة، لتهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي. كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين؛ لأن البعد التداولي ينبني على سلطة المعرفة والاعتقاد. وتسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية، أو المقاربة البرجماتية، أو المقاربة الحجاجية... وهلم جرا.[2]

---

(١)- مدينة المعاجز: ص ١٢٨. الفصول المهمة: ص ٢٤، ١٢٥. إثبات الهداة: ج ٢ ص ٢٦٧ ح ٣٨٧، ٣٩١.

(٢)- دط، ١٩٨٥. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ت: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د م ط،





إن مقاربة بين مفهوم التواصل والتداولية تفضي إلى أن موضوعها - التداولية - هو الإنسان نفسه وهو يباشر أدواره الاجتماعية. وهذه الأدوار تنعكس في مختلف السياقات التي تطبع الخطاب الذي ينتجه. والمقاربة التداولية من شأنها تحديد هذه السياقات؛ كونها - المقاربة التداولية - «(اقتراب) له جانب» الخطوة الأولى، الابتعاد»...، وهي «سياقية» *».[1] وبهذا يكون مجال المقاربة محددا في ما وراء البنية النصية، متجاوزة النص كبنية مغلقة، لا تحيل إلا على ذاتها، وتستند في تشكلها والتحامها وتماسكها على إمكانياتها وطاقاتها.

قال النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله):. لأنه قَدْ أَعْلَمَني أَنّي إنْ لَمْ أُبَلِّغْ ما أَنْزَلَ إلَيَّ في حَقِّ عَلِيٍّ فَما بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لي تَبارَكَ وَتَعالى الْعِصْمَةَ مِنَ النّاسِ وَهُوَ اللهُ الْكافِي الْكَريمُ. فَأَوْحى إلَيَّ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ). (المائدة: ٦٧.) مَعاشِرَ النّاسِ، ما قَصَّرْتُ في تَبْليغِ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى إلَيَّ، وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيَةِ: إنَّ جَبْرَئيلَ هَبَطَ إلَيَّ مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُني عَنِ السَّلامِ رَبّي وَهُوَ السَّلامُ أَنْ أَقُومَ في هذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِب أَخي وَوَصِيّي وَخَليفَتي عَلى أُمَّتي وَالأْمامُ مِنْ بَعْدي.[2] وهذا الذي اورده

(١)- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣.

(٢)- نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ٢٠٧. إثبات الهداة: ج ٢ ص ١١٤، ج ٣ ص ٥٥٨.



العالم «فاليري» تمييزا بين الفعل الأدبي و الفعل العادي، فرأى بأنّه إذا كانت اللغة العادية ترتكز بوضوح على السهولة في الاستعمال، فإنّ التعبير الأدبي حسب «فاليري» (... يمتلك قوة مختلفة بالكل، إذ لا يتعلق الأمر بإنجاز عملية منتهية، وأنّ نهايتها تتموضع في مكان ما من الوسط الذي يحيط بنا... وبهذا المنطق وصل الرسول(صلى الله عليه وآله) رسالته.. أما العبارات الإنجازية: بقوله (صلى الله عليه وآله) لاحظ أنّ تصنيفه لم يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف هي:فعل الكلام (القول).. قوة فعل الكلام (الإنجازي، الفعل المتضمن في القول بالنجاح. لازم فعل الكلام (التأثيري)، مثل: الفرح أو البكاء

تحديد المصطلح:

يترجم مصطلح (Pragmatique) بعدة كلمات باللغة العربية، فهناك:، والتداولية، و والبراكماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية والتبادلية... لكن أفضل مصطلح في منظورنا هو التداولية؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى. اللذين يريان بأن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي. ويعني هذا أن الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة، وتساهم في تنمية الأفراد والرقي بالمجتمعات، وذلك عن طريق تحقيق

المردودية والإنتاجية، «وشرع النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته التاريخية، آخر خطبة رسمية له إلى العالم أجمع، التي لم يذكر التاريخ خطبة لنبي من الأنبياء عبر التاريخ مثلها في مثل هذا الحشد المهيب الذي اجتمع فيه أكثر من مائة وعشرين ألفاً».(١) والارتباط بالحياة العملية والواقعية المفيدة. وبالتالي، فكل الأفكار والحقائق التي لا تحقق مصلحة أو منفعة للإنسان، ولا تفيد المرء في حياته اليومية والعملية، فهي حقائق زائفة، وغير نافعة، ولا مجدية إطلاقا. فالحقيقي هو المفيد والنافع والصالح. في الخطبة بدأ النبي (صلى الله عليه وآله) بحمد الله والثناء عليه، ذاكراً صفاته وقدرته ورحمته، شاهداً على نفسه بالعبودية المطلقة أمام الذات المقدسة(٢) ولكن قد تختلف المنافع والمصالح من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى جماعة، وقد تسبب هذه المصالح صراعات شرسة بين الناس. وعلى الرغم من هذا الطابع السلبي للحقائق البراجماتية العملية، فإن المصلحة أو الحقيقة البراجماتية هي حقيقة مستقبلية، تدفع الإنسان إلى العمل والاجتهاد والإنتاج.(٣) ألفت النبي (صلى الله عليه وآله) المسلمين إلى الهدف الأصلي من الخطبة، وأخبرهم أن الوحي نزل عليه، وأنه يجب عليه إبلاغهم الأمر الإلهي في علي بن أبي طالب، وإن لم يفعل فلا يؤمن عليه من عذاب

---

(١)- روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧.

(٢)- العدد القوية: ص ١٦٩. التحصين: ص ٥٧٨ باب ٢٩ من القسم الثاني. الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٦٩، نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبري.

(٣)- ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي- بيروت/ الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠، ص. ٢٨.

الله وعقابه.(١) والرفع من المردودية، وتحصيل الكفاءات الحقيقية من أجل تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من مكانة رفيعة في المجتمع. ومن هنا، فالمجتمع الأمريكي والإنجليزي يأخذان بهذا النوع من الحقيقة المقترنة بالمنفعة والمصلحة المادية أو المعنوية.(٢)

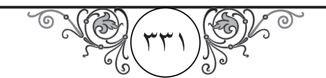
أما الدكتور أحمد المتوكل في كتابه:» اللسانيات الوظيفية»، فيستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد. ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري «دول»: دالت له الدولة، ودالت الأيام، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما..(٣)

ففي خطبة الغدير». عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: حج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلغ جميع الشرائع قومه غير الحج والولاية، فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم عليا علما للناس يهتدون به، ولم يأته بالعصمة من الله جل

(١)- ٩٢ نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبري. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ٢٠٧.
إثبات الهداة: ج ٢ ص ١١٤، ج ٣ ص ٥٥٨.

(٢)- أينظر: اريكشيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م.:ص٢٢

(٣)- د. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١٠م. ص:٣١



جلاله بالذي أراد حتى بلغ كراع الغميم خشى رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا إلى جاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلي من العداوة والبغضاء وسأل جبرئيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة(١) من الناس عن الله جل اسمه، فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف جبرئيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي عليه السلام فسأل جبرئيل كما سأل بنزول آية العصمة(٢) فأخره ذلك فرحل فلما بلغ غدير خم(٣) قبل الجحفة(٤) بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهار والعصمة من الناس فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ -فِي عَلِيٍّ- وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُك من الناس (المائدة: ٦٧) وكان أوائلهم قريب من الجحفة، فأمر بأن يرد من تقدم منهم ويحبس تأخر عنهم في ذلك المكان ليقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في علي وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس، فأمر رسول الله عندما جاءته العصمة

(١)- روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧.

(٢)-، نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. نهج الإيمان: ص ٩٢ نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ٢٠٧. إثبات الهداة: ج ٢ ص ١١٤، ج ٣ ص ٥٥٨.

(٣)- نفس المصادر

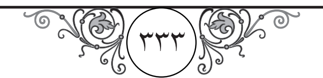
(٤)- نفس المصادر

مناديا ينادي في الناس بالصلاة جامعة ويرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد[١] فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، فيكون التداول جامعا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل ولعل هذا الثبوت لمصطلح التداولية هو الذي جعل الباحث المغربي طه عبد الرحمن[٢] يستحدث مفهوم «المجال التداولي» في ترجمته لمصطلح pragmatique، يقول في توصيفه للفعل» تداول»: تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: «نقل الكلام عن قائليه» بمعنى رواه عنه، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليه على أن يجعل من قواعد النّحو والمنطق المعيار الأسمى لتحديد المعنى وهذا انتهاك غير معلن للتداولية بوصفها تتصيد المعنى في سياق الخطاب ومقام التخاطب واستعمال اللّغة.[٣]

(١)- روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧

(٢)- طه عبد الرحمن، فيلسوف مغربي، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق. ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين. ويكيبيديا ميلاد: ١٩٤٤ (العمر ٧٥ سنة)، الجديدة، المغرب
اللغات المحكية أو المكتوبة: العربية المدرسة الأم: جامعة محمد الخامس الاهتمامات الرئيسية: فلسفة اللغة، المنطق، أخلاق، نقد اجتماعي، ميتافيزيقيا

(٣)- الداليات التداوليات، طه عبد الرحمن، البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، ط١، المغرب، ١٩٨٤، ص ٢٩٩.



الإنجاز: (performance)

جاء في مقاييس اللغة: «نَجَزَ: النون والجيم والزاي: أصل صحيح يدل على شيء في عجلة من غير بطء، يقال: نَجَزَ الوعد يَنْجُزُ، وأَنْجَزْتُهُ أنا: أعجلته... وأعطيته ما عندي حتى نَجَزَ آخره أي: وصل إليه آخره، وبِعه ناجِزا بتَاجِز كقولهم يدا بيدٍ: تعجيل بتعجيل، والمُناجزة في العرب أن يتبادر الفارسان أي يعجلان القتال ولا يتوقفان»[(1)]. وفي اللسان لابن منظور «نَجَزَ، نَجِزَ ونَجُزَ الكلام: انقطع، ونَجَزَ الوعد يَنْجُزُ نَجْزا: حضر... قال ابن السكيت: كأن نَجَزَ فنى وانقضى... وقد أَنْجَزَ الوعد ووعد نَاجِزٌ ونَجِيزٌ وأَنْجَزْتُهُ أنا، ونَجِزْتُ به، وإِنْجَازُكَهُ: وفاؤك به... ونَجَزَ الحاجة وأَنْجَزَهَا: قضاها، ولأُنْجِزَنّكَ نَجِيزَتَكَ أي: لأجزينك جزائك، والمُناجزة في القتال: المبارزة... وقال أبو المقدام السلمى: أَنْجَزَ عليه وأوجز عليه وأجهز عليه بمعنى واحد»[(2)]. إذن فالدلالة اللغوية للإنجاز تأخذ عدة معاني منها: الاستعجال، الانتهاء، الانقطاع، قضاء الحاجة، المواجهة بين طرفين، الجزاء، الإيجاز.[(3)] والمعاني السياقية التي ترتبط بسياقها الوظيفي والإنجازي. ويعني هذا أنه لابد من الانتقال

(١)-. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (نجز)

(٢)- لسان العرب، ص ١٤٤، مادة (نجز)

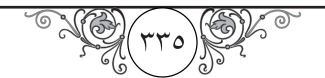
(٣)-. محمد مصطفى أبو الشوارب، في اللغة والأدب، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، ٢٠٠٣م، (بحث: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، للدكتور: محمود نحلة).

مـن مسـتوى الدلالـة إلى مسـتوى التـداول لتفكيـك الجمـل، واستكشـاف أبعادهـا الوظيفيـة والسـياقية مقامـا وزمانـا ومكانـا، وهـذا يشـبه بشـكل مـن الأشـكال مـا يسـمى بالاسـتلزام الحـواري.: يعـرّف «أوسـتن AUSTIN» الفعـل الإنجـازيّ بأنّـه: « مـا نقـوم بـه خـلال كلامنـا »، بمعنـى الآثـار التـي ينجزهـا كلامنـا، والتـي تخالـف الفهـم المجـرّد لهـذا الـكلام، أي ارتبـاط الكلام أو القـول بالـحدث مباشرة كمـا يشـير « فـان دايك VANDIJK » الـذي يجعـل مفهـوم الفعـل الإنجـازي في علاقـة وثيقـة مـع مفهـوم الحـدث وقـد يكشـف تعريـف موجـز بديهـيّ للفـظ الفعـل هـذه العلاقـة: فالفعـل هو كلّ حـدث حاصـل بواسـطة الكائـن الإنسـاني[١]. وضـف هـذا المعنـى قولـه (صلى الله عليه وآلـه): «الْحَمْـدُ للهِ الَّـذِي عَـلا فِي تَوَحُّـدِهِ وَدَنـا فِي تَفَـرُّدِهِ وَجَـلَّ فِي سُـلْطانِهِ وَعَظُـمَ فِي أَرْكانِـهِ، وَأَحَـاطَ بِـكُلِّ شَيْءٍ عِلْـماً وَهُـوَ فِي مَكانِـهِ، وَقَهَـرَ جَمِيـعَ الْخَلْـقِ بِقُدْرَتِـهِ وَبُرْهانِـهِ، حَمِيداً لَمْ يَـزَلْ، مَحْمُـوداً لا يَـزالُ وَمَجِيداً لا يَـزُولُ، وَمُبْدِئـاً وَمُعِيـداً وَكُلُّ أَمْـرٍ إِلَيْـهِ يَعُـودُ. »[٢]

يعـد كل منطـوق لغـوي مـن وجهـة نظـر التداوليـة ليـس منطوقـا مـن مضامـين فحسـب، بـل هـو منطـوق مـن المقاصـد أيضـا. فالمنطـوق اللغـوي هـو إذن فعـل داخـل مجريـات فعليـة، ويغـير كل فعـل العلاقـات القائمـة بـين شركاء التواصـل ويوجـد الـشروط للأفعـال التاليـة ذات الطبيعـة اللغويـة وغير

(١)- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

(٢)- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧



اللغويـة. صنفهـا في اتجاهـين في كتابـه «المقاربـة التداوليـة» همـا:

١- تداولية اللغات الشكلية

٢- وتداولية اللغات الطبيعية:

قامـت التداوليـة الشـكلية بمعالجـة العلاقـة بـين التلفـظ وملفوظـه وبـين الجمـل وسـياقاتها واهتمـت أيضـا بدراسـة شروط الحقيقـة وقضايـا الجمـل والحـدس بـين المتخاطبـين والاعتقـادات المتقاسـمة، في حـين اهتمـت تداوليـة اللغـات الطبيعيـة بدراسـة اللغـة بوصفهـا وسـيلة فريـدة للتعبـير عـن مشـكلات الفلسـفة والمجتمـع. تداوليـة التلفـظ، وتشـمل: تداوليـة صنيعـة التلفـظ: تدرسـه مـن حيـث هـو صناعـة أي كيفيـة صياغتـه وتشـكيله.[1] تداوليـة صيغ الملفـوظ التـي تهتـم بشـكل الملفـوظ وعباراتـه: تعالـج العلاقـة بينـه وبـين الدلالـة،

حـاول مـاس/ فوندرليـش (١٩٧٢) Maas. U / Wunderlich. D. وصفـا شروط استعمال التداوليـة، حيـث اشـترط أن يكـون لـدى كل متواصـل قـدرات مـن النـوع الاتي:

أن يكـون لديـه مفهـوم عـن الواقـع وعـن العـوالم الممكنـة التـي يمكنهـا استنباطها منـه، حتـى يحصر مـا يريـد أن يتواصـل حولـه. وأن ينشـيئ اتصـالا وأن يسـتطيع حـصره. وأن يسـتطيع الإدراك، وأن يمتلـك ذاكـرة/ وقـدرة عـلى التوقـع أيضا بالنسـبة لسـياق الـكلام، وسـياق الموقف المسـتمرين. وأن يسـتطيع

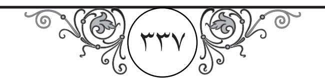
(١)- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص ٦.

الخـوض في أدوار اجتماعيـة تجـاه الآخريـن. أن يسـتطيع إعـادة إنشـاء شروط اجتماعيـة. أن ينطـق أبنيـة صوتيـة مناسـبة، وأن يكـوّن مـن خـلال ذلـك صيغـا لغويـة جديـدة للبنـاء. أن يـدرك أبنيـة صوتيـة وأن يسـتطيع فهمهـا باعتبارهـا صيغـا لغويـة وتعبـيرا عـن مركـب لفعـل كلامـي. أن يسـتطيع اسـتخدام وسـائل لغويـة مصاحبـة ووسـائل غـير لغويـة اسـتخداما مناسـبا وفهمهـا فهـما ملائـما.[1]) قولـه (صـلى الله عليـه وآلـه): فَاعْلَمُـوا مَعـاشِرَ النّـاسِ ذلِـكَ فيـهِ وَافْهَمُـوهُ، وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللهَ قَـدْ نَصَبَـهُ لَكُـمْ وَلِيّـاً وَإماماً فَـرَضَ طاعَتَـهُ عَـلَى الْمُهاجِريـنَ وَالأنْصـارِ وَعَـلَى التّابِعـينَ لَهُـمْ بِإحْسـان، وَعَـلَى الْبـادي وَالْحـاضِرِ، وَعَـلَى الْعَجَمِـيِّ وَالْعَـرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُـوكِ وَالصَّغـيرِ وَالْكَبـيرِ، وَعَـلَى الأبْيَـضِ وَالأسْـوَدِ، وَعَـلى كُلِّ مُوَحِّـد مـاض حُكْمُـهُ، جـاز قَوْلُـهُ، نافِـذٌ أَمْـرُهُ، مَلْعُـونٌ مَـنْ خالَفَـهُ، مَرْحُـومٌ مَـنْ تَبِعَـهُ وَصَدَّقَـهُ، فَقَـدْ غَفَـرَ اللهُ لَـهُ وَلِمَـنْ سَـمِعَ مِنْـهُ وَأَطـاعَ لَـهُ».[2] وأهـمُّ مـا يميـز المقاربـة التداوليـة للغـة هـو انفكاكهـا مـن الصرامـة المنهجيَّـة، والحـدود المغلقـة التـي خطتهـا مـن قبـلُ المقارباتُ اللسـانية للوقائـع اللغويـة، والتـي يمكـن اختزالهـا في قولـة العـالم السـويدي فردنانـد دي سوسـير: «دراسـة اللغـة في ذاتهـا ولذاتهـا»[3] أي: باعتبارهـا نظامًـا مغلقًـا، تتفاعـل فيـه مسـتويات اللغـة في مجموعـة العلاقـات: الصوتيـة، والتركيبيـة، والدلاليـة، في إقصـاء صـارخٍ للبعـد التـداوليِّ، الـذي أدرجـه سوسـير ضمـن

(١)- المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١٦٥.

(٢)- إثبات الهداة: ج ٢ ص ٢٦٧ ح ٣٨٧، ٣٩١. إحقاق الحق: ج ٢١ ص ٥٣، ٥٧.

(٣)- De Saussure. Cours de linguistique générale



مجال الكلام الذي لا يصلح للدراسة العلمية. فهذه الأخلاقيات هي التي بمقدورها تدبير المختلف، وتوسيع دوائر البحث في المشترك الإنساني، على أن العمليات التواصلية - حسب نظرية المساءلة - التي تتم بين الناس، هي طريقة لا تهدف إلى إيصال شيء ما، أو تبليغ فكرة، أو تعبير عن رأي أو موقف، بقدر ما هي طريقة لتغيير الاختلاف الإشكالي الذي تختزنه الأقوال التواصلية، وطريقة لتقريب المسافات بين الآراء والمواقف.

النص الأدبي تخاطب وتبادل:

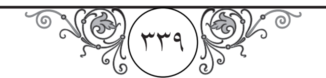
من المعروف أن النظرية التخاطبية جاءت تطويرا للنظرية التواصلية الإبلاغية التي عجزت عن تفسير مجموعة من القضايا اللغوية بشكل جيد؛ لأنها كانت تتعامل مع التخاطب في معزل عن سياقها الفعلي والإنجازي. ويعني هذا أن:» الدراسات التخاطبية تعد امتدادا، واستكمالا لجهود المدرسة الوظيفية، وتأتي هذه الدراسات نتيجة طبيعة لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب.

عندما ننظر للنص كظاهرة لغوية متجسدة في خطاب بين متكلم ومستمع، و متحققة به، خاضعة لشروطها القول والتلقي فإننا سنكون حتما أمام خطاب تواصلي يمتاز بخصائص بنائية وتداولية تجعله يكون خطابا تعليميا بالدرجة الأولى اعتمادا على مقصدية المتكلم من أنه يخاطب مستمعا من أبناء بيئته وعصره.

إن خطـاب النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) باعتبـاره ظاهـرة لغويـة لا يمكـن النظـر إليـه عـلى أنـه خطـاب سردي أو حكائـي أو إمتاعـي، إن المقصـود منـه هـو تعليم قواعـد أو ضبط كيفيـة استعمال بـين المتحاوريـن الذيـن لابـد أنهم يسـعون إلى تحقيـق غايـة مـن وراء تحاورهـم الواعـي، إن هـذه الغايـة هـي التواصـل الناجـح المعتمـد عـلى الفهـم بـين الطرفـين (المتكلـم و المسـتمع) والفهـم لا يتحقـق إلا إذا كانـت اللغـة المتداولـة سـليمة مـن كل لحـن أو خطأ بنـاء عـلى نوعيـة الخطـاب النحـوي فـإن مقاربتـه سـوف تكـون مختلفـة، لأنـه يمثـل نوعـا خاصـا مـن التخاطـب. خطـاب النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) مَعـاشِرَ النّـاسِ، بي وَالله بَـشَّرَ الأَوَّلُـونَ مِـنَ النَّبِيّـينَ وَالْمُرْسَـلينَ، وَأَنَـا وَالله خاتَـمُ الأَنْبِيـاءِ وَالْمُرْسَـلينَ، وَالْحُجَّـةُ عَـلى جَميـعِ الْمَخْلُوقـينَ مِـنْ أَهْـلِ السَّـماواتِ وَالأَرَضِـينَ. فَمَـنْ شَـكَّ في ذلِـكَ فَقَـدْ كَفَـرَ كُفْـرَ الْجاهِلِيَّـةِ الأُولى، وَمَـنْ شَـكَّ في شَيْءٍ مِـنْ قَـوْلي هـذا فَقَـدْ شَـكَّ في كُلِّ مـا أُنْـزِلَ إِلَيَّ، وَمَـنْ شَـكَّ في واحِـد مِـنَ الأَئِمَّـةِ فَقَـدْ شَـكَّ فِي الْـكُلِّ مِنْهُـمْ، وَالشّـاكُ فينـا فِي النّـارِ[1] وقـد ظهـرت مجموعـةٌ مـن النظريـات حاولـت مقاربـة ظاهـرة التواصـل الإنسـانيِّ في بعدهـا الأخلاقـيِّ؛ وذلـك بوضـع مجموعـة مـن المبـادئ التـي يـؤدي الأخـذ بهـا إلى نجـاح العمليـات التواصليـة - التخاطبيـة، سـواء في تمظهراتهـا البسـيطة أم في أبعادهـا المعقَّـدة تعالـج شروطَ التبليـغ والتواصـل الـذي يقصـد إليـه الناطقـون مـن وراء هـذا الاسـتعمال للغـة»[[2]]

(١)- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧، ٣٨٨، ج ٣٧

(٢)-] طه عبدالرحمن، اللسانيات والمنطق والفلسفة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع ٢ س ١٩٨٨، ص: ١٢١.





توظف في التداولية مصطلحات مثل: السلوك التواصلي والفعل (الحدث) التواصلي، والسلوك اللغوي والحدث(الفعل) اللغوي والكلامي والأفعال الكلامية أحيانا متجاورة بلا اختلاف، وأحيانا بوصفها مفاهيم متعددة؛ فيستخدم الفعل والسلوك بشكل لغوي مشترك، مترادفة أحيانا عندما تشير إلى عمل إنساني ويمكن أن يستعمل(الفعل) بشكل إجمالي حين ترى المبادرة مع الذي يفعل شيئا، بينما يفضل استعمال (السلوك) حين يطلب من آخرين أن يفعلوا شيئا، ولا يمكن أن تستخدم هذه المصطلحات استخداما ترادفيا في الخطاب العلمي.(١) يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قسّم أوستن الأفعال إلى إنجازية actes performatifs وتقريرية أو واصفة actes constatifes؛ بحيث يقترن في الأولى الإنجاز بالتلفظ نحو بعت، اعتقدت.. فالعمل هنا دلالة اللفظ،(٢) فخطبة الغدير تضمنت هذا المعنى أمر النبي(صلى الله عليه وآله) مناديه أن يمشي بين الناس ويكرر عليهم جوهر بيعة الغدير بهذه العبارة: «من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله». ثم أهدى الرسول الأعظم(صلى الله عليه

(١)- الاقتضاء في التداول اللساني، إدريس مقبول، عالم الفكر، مج٢٠، ع٣، الكويت، ١٩٨٩م، ص ١٤١.

(٢)- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٦-٣٠



وآلـه) في يـوم الغديـر عمامتـه التـي تسـمى «السـحاب» ووضعهـا عـلى رأس أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) وألقـى بحنكهـا عـلى كتفـه، عـلى مـا كان مـن عـادة العـرب عنـد إعـلان رئاسـة شـخص.(١)

، فللمفاهيـم العمليـة مضامـين مفهوميـة محـددة، يرتبـط بهـذه المصطلحـات مفاهيـم جوهريـة مثـل: الحـدث، القصـد، المغـزى، السـلوك الإثـاري والفعـل القصـدي. «مفهـوم التضمـن كـما حـدده جرايـس(٢) يعنـي إجـراء حسـاب المفهـوم الـذي يضعـه المخاطـب، انطلاقـا مـن تلفـظ المتكلـم ومـن حكـم المحادثـة التـي يراعيهـا مجمـوع المتكلمـين في إطـار ثقـافي معين(نحـو قاعـدة الكميـة، أو قاعـدة الاسـتقصاء التـي تعنـي أن نقـول كل مـا نعـرف(٣)... خطـاب النبي(صـلى الله عليـه وآلـه):. مَعـاشِرَ النّـاسِ، فَضِّلُـوا عَلِيّـاً فَإنَّـهُ

(١)- - أمالي الشيخ المفيد: ص ٥٧. كفاية الطالب: ص ٦٤. كشف المهم: ص ١٠٩. بصائر الدرجات: ص ٢٠١. الغدير: ج ١ ص ١٩٣

(٢)- هربرت بول جرايس

الوصف هربرت بول جرايس، ينشر أعماله عادةً باسم إتش بي جرايس أو إتش بول جرايس أو بول جرايس، كان فيلسوف لغة بريطانيًا مثقفًا قضى آخر عشرين سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة. أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. الميلاد: ١٣ مارس ١٩١٣، برمينغهام، المملكة المتحدة الوفاة: ٢٨ أغسطس ١٩٨٨، بيركلي، كاليفورنيا، الولايات المتحد ةصاحب التأثير: جون لانجشو أوستن، أرسطو، بي إف ستراوسون، ويلارد فان أورمان كواين

التعليم: كلية كليفتون، جامعة ستيرلينغ، Corpus Christi Collegeالوالدان: هربرت جرايس، مابل فيلتون جرايس

(٣)-) ينظر الحق العربي في الاختلاف الفلسفي: ٢٩.



أَفْضَلُ النّاسِ بَعْدي مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى ما أَنْزَلَ اللهُ الرِّزْقَ وَبَقِيَ الْخَلْقُ. مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ قَوْلي هذا وَلَمْ يُوافِقْهُ. أَلا إنَّ جَبْرَئيلَ خَبَّرَني عَنِ اللهِ تَعالى بِذلِكَ وَيَقُولُ: «مَنْ عادى عَلِيّاً وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتي وَغَضَبي»، (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ(الحشر: ١٨) أَنْ تُخالِفُوهُ (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها) (النحل: ٩٤).[١]

النص الأدبي إبلاغ تواصلي:

ترى المقاربة التواصلية بأن النص الأدبي يرتكز على مجموعة من الوظائف، وأهم هذه الوظائف الوظيفة التواصلية. وخير من يمثل هذا التيار التواصلي الذي يرى النص الأدبي إبلاغا وتواصلا، نذكر: رومان جاكبسون الذي تحدث في مقاربته التواصلية الوظيفية عن ستة عناصر في عملية التواصل: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية.

توجد تحديدات مفهومية متباينة للكفاءة التواصلية خاصة بين المجالين التربوي والتداولي، ولكنها تشترك جميعها في المقصود انطلاقا من مفهوم تشومسكي للكفاءة(اللغوية)، وهو «قدرة إنسانية بالغة الشمول، تهدف إلى إدراك شركاء اتصال الموقف التواصلي بعوامل مثل المكان والزمان

(١)- الغدير: ج ١ ص ٥٨، ٢٧١، ٢٧٤. بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٨، ٣٨٧، ج ٢٨ ص ٩٠، ج ٣٧ ص ١٦٦، ١٢٧. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٤٢، ٦٠، ٦٥، ١٣٤، ١٣٦،

والعلاقات الاجتماعية إلى استخدام وسائل التواصل لتحقيق الأهداف». [١]

فقد انصبَّ اهتمام رواد التداوليات في بداية الثمانينيات على تحديد عملية وصف تأويل الأقوال التام، من خلال الفصل بينها وبين عملية الفهم التي تسبق عملية التأويل؛ ذلك أن عملية التأويل تقوم بتحليل الفهم بين المتخاطبين ومعالجته، وتحديد قدرة المستمعين على تأويل الأقوال، انطلاقًا من قدرة المتكلِّمين على ترجمة أقوالهم إلى أفعال، ويتم ذلك ضمن تصوُّرٍ يأخذ بعين الاعتبار العملياتِ التكميلية المتحققة بفضل اللغة، بالاعتماد على نظام مزدوج[٢] من خطبة الغدير تنبَّأ النبي (صلى الله عليه وآله) بمستقبل المسلمين وما سيواجهونه من مصاعب، وعيَّن لهم أمير المؤمنين (عليه السلام) المرجع في ذلك. كما أوجب على المسلمين إبلاغ خطاب الغدير إلى غيرهم تطبيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ هو أعظم مصداق لذلك. [٣]

النص الأدبي تلفظ في سياق:

تهدف المقاربة التلفظية إلى دراسة الخطاب الإبداعي والأدبي في ضوء المعينات الإشارية، أو قراءتها بواسطة القرائن اللغوية، أو مقاربتها عبر المؤشرات التلفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني.

---

(١)-، نيف أوستين للأفعال الكلامية

(٢)- عليوي باسيدي، الحجاج والتفكير النقدي، ص: ٣٢

(٣)- الغدير: ج ١ ص ٥٨، ٢٧١، ٢٧٤. بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٨، ٣٨٧، ج ٢٨ ص ٩٠، ج ٣٧ ص ١٦٦، ١٢٧. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٤٢، ٦٠، ٦٥، ١٣٤، ١٣٦،



يستخدم الفعل الكلامي غالبا لوصف التواصل بين الناس، وتستعمل في الأفعال المفردة والتواصلية الخاصة والممكنة بين اللغة مثل السؤال والطلب في الغالب مصطلح الأحداث اللغوية أو الأحداث الكلامية وتنطلق تحليلات الفعل الكلامي إن دراسة المقام كمكون حواري تقتضي دراسة «النظام القولي» بما يضمه من قرائن، كونها وسيلة والثانية: توالي الأحداث، ولها علاقة بالاتصال بين النص ومتلقية وهو ما يعرف بـ(سياق الموقف)[1]

الدراسات البلاغية القديمة والسياق: إن الدراسات القديمة بنيت أساساً على مسألة السياق والموقف الكلامي الذي يتطلب - كلما تغير - نمطاً معيناً من التركيب ويدخل ضمن الموقف الكلامي بكل ما يتصل بظروف عملية الإبلاغ من مخاطِب ومخاطَب وخطاب فالتداولية تتجاوز محددات الدلالة إلى إمكانية الوصول إلى قصدية المتكلم بإحالتها للجملة على السياق التداولي لمعرفة الدراسات البلاغية القديمة التطابق أو اللاتطابق بين دلالة الجملة لسانياً وظروف السياق[2].

وتكون خطبة الغدير متضمنة في قوله(صلى الله عليه وآله): فَأَوْحى إِلَيَّ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ في

(١)- الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال « منهاج البلغاء وسراج الاحباء « مجلة عالم الفكر - المجلد ٤٠ع يوليو - سبتمبر الكويت ٢٠١١ / ٢٦٨.

(٢)- الاستعارة بين حساب النطق ونظرية الحجاج - طه عبد الرحمن- مجلة المناظرة المغرب ع ٤ ماي ١٩٩١ ص٦٩.

عَـلِيٍّ، يَعْنـي فِي الْخِلافَـةِ لِعَـلِيِّ بْـنِ أَبي طالِـب وَإنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـما بَلَّغْـتَ رِسـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النّـاسِ).[1]

فهـي تعنـى بدراسـة العوامـل التـي تؤثـر في اختيـار الشـخص للغـة وتأثـير هـذا الاختيـار في الآخريـن ((لان لـكل لفظـة دلالـة خاصـة بهـا فحينـما نسـتعمل لفظـة مـن دون أخـرى نحملهـا دلالـة مـن دون غيرهـا ونعلـم أنهـا قـادرة عـلى إيصـال مقاصدنـا التـي نريدهـا إلى مسـتمعينا))[2] لـه مـن وسـائل التحليـل الأساسـية، وهـذه القرائـن تعمـل عـلى كشـف مجمـوع القيـم المكونـة للمقـام أو مجمـوع المقامـات الموزعـة عـلى مسـتوى النـص. وقرائـن الدراسـة تتمثـل في:

النص الأدبي أفعال كلامية:

إن النـص الأدبي ليـس مجـرد خطـاب لتبـادل الأخبـار والأقـوال والأحاديث، بـل يهـدف عـبر مجموعـة مـن الأقـوال والأفعـال الإنجازيـة إلى تغيـير وضـع المتلقـي، وتغيـير نظـام معتقداتـه، أو تغيـير موقفـه السـلوكي مـن خـلال ثنائيـة افعـل ولا تفعـل ويعنـي هـذا أن الخطـاب أو النـص الأدبي،، وذلـك في مفهـوم التداوليـات التحليليـة التـي ظهـرت في سـنوات الخمسـين مـن القـرن العشريـن مـع أوسـتين، كـما في كتابـه:» نظريـة أفعـال الـكلام» (١٩٦٢م) وسـورل في كتابـه:» أفعـال اللغـة» (١٩٦٩م)، عبـارة عـن أفعـال كلاميـة تتجـاوز الأقـوال

---

(١)- ينظر اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل ص ١٣ ٧نفسه، ص ٧٧.

(٢)- ينظر: دراسات في البلاغة العربية والنقد الأدبي القديم: ٢١٥.



والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز. ومن هنا، فنظرية الأفعال الكلامية تنبني على ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: أولا، فعل القول، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية. وبالتالي، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي، مثل: «أشكرك ياعلي». وثانيا، الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي، وهو يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر في هذه الجملة:» انتظري اللحن الجديد». وثالثا، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله... وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، و بدرجة متفاوتة، وهي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.

نظرية أفعال الكلام، التي كان لأوستين الفضل في إبرازها إلى الوجود، كان أول من تناول بالدراسة الأقوال المسمات بـ: الأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد لاحظ أن التأويل الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفينا بما تحتويه الصيغ من أخبار. و أبرز مثال على ذلك، عبارة «هل يمكنك أن تناولني الملح» فظاهرها يوحي إلى استفهام، و لكن دلالتها لا تشير البتة إلى ذلك، فالمقصود بها هو الطلب. و من هنا نتساءل: كيف للمتكلم أن يقول شيئا و يقصد به شيئا آخرا؟ كيف يتم الانتقال من المعنى المصرح به إلى المعنى المراد أو المستلزم خطابيا؟ كيف

يمكـن ضبـط و معرفـة المعنـى الـذي تخـرج إليـه صيغـة معينـة كالاسـتفهام و النـداء و الطلـب و الأمـر؟[١]

النص الأدبي مقصديـة :

لقـد اهتمـت الدراسـات التداوليـة في بدايـة الأمـر بالمتكلـم باعتبـاره قـوة عليـا، يمتلـك سـلطة متفوقـة، فيوجـه للمخاطـب، والـذي يكـون في مرتبـة دنيـا، مجموعـة مـن الأوامـر لتنفيذهـا بطريقـة ميكانيكيـة، دون تـردد أو مناقشـة، كما هـو حـال الأوامـر الدينيـة والعسـكرية، ويسـمى هـذا بالتواصـل التوجيهـي

وتشـمل هـذه المعطيـات معتقـدات المتكلـم، ومقاصـده، وشـخصيته، وتكوينـه الثقـافي، ومـن يشـارك في الحـدث اللغـوي، والوقائـع الخارجيـة، ومـن بينهـا الظـروف المكانيـة والزمانيـة، والظواهـر الاجتماعيـة المرتبطـة باللغة، فضـلا عـن المعرفـة المشـتركة بـين المتخاطبـين، وأثـر النـص الكلامـي فيهـا إنّ نظريـات تقـارب ظاهـرة التواصـل بشـكل علمـيٍّ أصيـل، والنسـبة العامـة لمـا يقـرأ، خاصـة في المجتمعـات، إن لم نقـل زادت مـن حـدة الصـدام بـين شرائـح المجتمـع؛ نظـرًا لعـدم التخلـق بمبـادئ الحـوار وأخلاقيـات التواصـل، التـي تغيـب عـن معظـم الحـوارات الإنسـانية.[٢]

---

(١)- Orecchioni C. K: Enonciation de la subjectivité dans le language. - Paris Armand Colin .١٩٨٠. -p. ١٨٥.

(٢)- ينظر: التداولية والنظرية النقدية(الشبكة المعلوماتية).



فهـذه الأخلاقيـات هـي التـي بمقدورهـا تدبـير المختلـف، وتوسـيع دوائـر البحـث في المشـترك الإنسـاني، عـلى أن العمليـات التواصليـة - حسـب نظريـة المسـاءلة - التـي تتـم بـين النـاس، هـي طريقـة ألاّ اللغـة ليسـت وسـيلة للتعبـير عـن الأفـكار و توصيـل المعلومـات، بـل هـي نشـاط يتسـبب في تحويـل الوضعيـات بجعـل الآخـر يعـترف بالنوايـا (التداوليـة) للمتكلـم، وبـما أن الحديـث هـو عمليـة مؤسسـة عـلى مشـاركة أطـراف الخطـاب فـإن الأسـاس فيـه هـو المتكلـم و المسـتمتع.[1]

وإن هـذا التصـور مبنـي عـلى التصـور القائـل بـأن اللغـة هـي مؤسسـة تتحكـم في ثباتهـا اسـتمرارية التبـادلات الكلاميـة. انطلاقـا مـن ذلـك تلعـب الأفعـال الكلاميـة دور تحويـل معتقـدات المتخاطبـين مـن جهـة، و اسـتمرارية الخطـاب بـين أطرافـه مـن جهـة أخـرى، إن أقـوال المتكلـم تنبنـي عـلى مـا قالـه المخاطـب، فـلا توجـد هنـاك أفعـال قوالـب، كل قـول السـابق، و للافتراضات و التأويـلات التـي يحتويهـا: إن المتكلـم ينطلـق مـن كلمـة أو عبـارة أو فكـرة احتواهـا كلام الآخـر لصيانـة كلامـه بطريقـة يعمـل فيهـا عـلى توجيـه الخطـاب مـع تـرك المخاطـب في وضـع يعتقـد فيـه أنـه لم يخـرج عـن موضـع الحديـث، و التفاعليـة تتوقـف عـلى مـدى إدراك المتخاطبـين للأرضيـة المشـتركة بينهـما.[2]

---

(١)- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، بيت الحكمة، الموصل، العراق، ١٩٨٨، ص: ٩٥

(٢)-اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٦، ص: ٤٣١

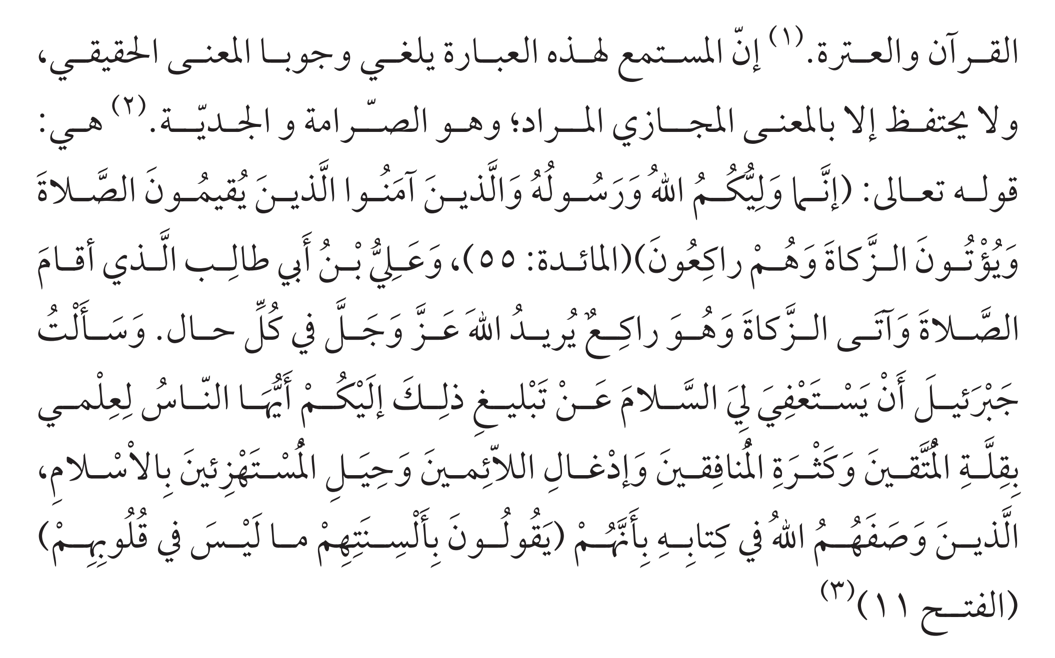
التفاعـل الكلامـي يتـم غالبـا في الاسـتعمال المتنـاوب للأفعـال الكلاميـة مـن قبـل المتخاطبـين، سـواء المباشرة أو غـير المباشرة، إن الحـوار كلـه يتوقـف عـلى التنـاوب ضمنيـا. فعـل متضمّـن في القـول ILLOCUTIONARY ACT: هــذا الفعـل يشـتمل عـلى أمـر زائـد هـو (القـوة Force) التـي للقـول، فيقـال للجملـة السـابقة في موضـع أنّ لهـا قـوّة الخـبر، وأخـرى أنّ لهـا قـوّة التّحذيـر، وقـوة الأمـر في ثالـث، وهكـذا. لـذا اقـترح «أوسـتن» تسـمية النّظريـة القائلـة بتنـوّع وظائـف اللّغـة نظريـة ((القـوى المتضمّنـة في القـول ILLOCUTIONARY FORCE ومـع القيـام بالفعـل (أ) و[1]، ينشـأ فعـل ثالـث هو التّسـبب في نشـوء آثار في مشـاعر أو أفـكار أو أفعـال المخاطب، أو المتكلـم، أو غيرهمـا، عـلى نحـو كان الفاعـل؛ أي المتكلـم قـد عمـد إلى إيجاده، مـن أمثلتـه: الإقنـاع، التّضليـل، التّثبيـط، و يسـمّى هـذا الفعـل: هو اسـتخدام المتكلـم أو المخاطـب لعبـار ومـن النقـاط المهمـة. إسـتعاريّة و أشـكال قـول مجازيـة بـدل اسـتخدام المعـاني الحقيقيـة والجهـر بـما يريـد الإدلاء بـه؛ أي إجبار المتلقي عـلى الانتقـال مـن المعنـى الحقيقـي إلى المعنـى الـذي يسـنده المتكلـم إلى قولـه: «

في هـذه الخطبـة الشريفـة بيـان النبي (صـلى الله عليـه وآله)عصمـة الأئمـة مـن بعـده ونيابتهـم عـن الله تعـالى ورسـوله في أُمـور الديـن والدنيـا. ثـم أوضـح النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) ببيانـه الرائـع ارتبـاط ركنـي الإسـلام:

(١)- نفس المصدر السابق







القرآن والعترة.[1] إنّ المستمع لهذه العبارة يلغي وجوبا المعنى الحقيقي، ولا يحتفظ إلا بالمعنى المجازي المراد؛ وهو الصّرامة و الجديّة.[2] هي: قوله تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)(المائدة: ٥٥)، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِب الَّذي أَقامَ الصَّلاةَ وَآتى الزَّكاةَ وَهُوَ راكِعٌ يُريدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ حال. وَسَأَلْتُ جَبْرَئيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِيَ السَّلامَ عَنْ تَبْليغِ ذلِكَ إِلَيْكُمْ أَيُّها النّاسُ لِعِلْمي بِقِلَّةِ الْمُتَّقينَ وَكَثْرَةِ الْمُنافِقينَ وَإِدْغالِ اللاّئِمينَ وَحِيَلِ الْمُسْتَهْزِئينَ بِالْاسْلامِ، الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ في كِتابِهِ بِأَنَّهُمْ (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ) (الفتح ١١)[3]

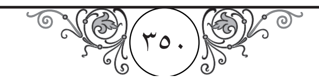
وقد أطلق « غرايس Grice » مفهوم: « حكم الحديث Maximes Contersationnelles » على المقاصد غير المباشرة للتّعامل والتّواصل، و من بينها الكلام غير المباشر. وتشمل هذه المعطيات معتقدات المتكلم، ومقاصده، وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث اللغوي، والوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة، فضلا عن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين،

---

(١)- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧، ٣٨٨، ج ٣٧

(٢)- سيكولوجية اللغة و المرض العقلي. جمعة السيد يوسف. سلسلة عالم المعرفة العدد ١٤٥ الكويت، ص١٣١، ١٣٢

(٣)- روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧.



وأثـر النـص الكلامـي فيهـا[1] بعبـارة أخـرى: الثقافـة والحضـارة والمجتمـع والنصـوص الخلفيـة الثّاويـة في اللاوعـي الجماعـي الموجّهـة للوعـي وللفهـم وللتعامـل داخـل الزّمـرة الاجتماعيـة الخاصّـة، وبالتـالي يقـرن « صـلاح فضـل « مصطلـح المقـام بالسـياق في التداوليـة، وذلـك لأن التداوليـة » » تسـتخدم مفهومـا تجريديـا يـدّل عـلى الموقـف التّـواصلي هـو « السـياق «. فالتداولية إذن تعنـى بالـشروط والقواعـد اللازمـة للملائمـة بـين أفعـال القـول ومقتضيـات المواقـف الخاصـة بـه؛ أي للعلاقـة بـين النـص و السـياق « « .[2]

ولا يشـمل السـياق مـن الموقـف إلا العنـاصر التـي تحـدد بنيـة النـص و تـؤدي إلى تفسـيره، وهـذا يجعـل مـن التّداوليـة علـما يعنـى بالعلاقـة بـين النص و عنـاصر الموقـف التواصـلي المرتبطـة بـه بشـكل منظـم، أو مـا يطلـق عليـه: سـياق النّـص. وهـذا المفهـوم التـداولي يحيـل على مـا كان يشـار إليـه في البلاغة القديمـة بعبـارة: «مقتـضى الحـال»، وهـي التـي أنتجـت المقولـة الشـهيرة في البلاغـة العربيـة: «لكـل ّمقـام مقـال».[3] بيـان النبي(صـلى الله عليـه وآله)

فَاعْلَمُـوا مَعـاشِرَ النّـاسِ ذلِـكَ فيـهِ وَافْهَمُـوهُ، وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللهَ قَـدْ نَصَبَـهُ لَكُـمْ وَلِيّـاً وَإماماً فَـرَضَ طاعَتَـهُ عَـلَى الْمُهاجِريـنَ وَالأَنْصـارِ وَعَـلَى التّابِعـينَ لَهُـمْ

(١)- ينظر التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، دمشق سورية، ٢٠٠٨م.

(٢)- ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، مكتبة ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦.

(٣)- محاضرة عن التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب: جابر محمد جابر.



بِإحْسان، وَعَلَى الْبادي وَالْحاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الأْبْيَضِ وَالأْسْوَدِ، وَعَلى كُلِّ مُوَحِّد ماض حُكْمُهُ، جاز قَوْلُهُ، نافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعُونٌ مَنْ خالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطاعَ لَهُ[١]

- النص الأدبي تفاعل:

ينبني النص الأدبي حسب النظرية التفاعلية على التفاعل (Interaction)، من خلال استحضار المتكلم والمتلقي اللذين يدخلان في علاقة تفاعلية دينامية إيجابية أو سلبية حسب منطق السلطة، والتفاوت الاجتماعي والمعرفي والطبقي. بيد أن السلطة التفاعلية قد يحوزها المتكلم، وقد يمتلكها المتلقي، وقد يشتركان فيها عبر التفاعل التضامني الإيجابي والتعاون التداولي المثمر

إن دراسة المقام كمكون حواري تقتضي دراسة «النظام القولي» بما يضمه من قرائن، كونها وسيلة من وسائل التحليل الأساسية، وهذه القرائن تعمل على كشف مجموع القيم المكونة للمقام أو مجموع المقامات الموزعة على مستوى النص[٢] وقد نبه سيبويه أثناء تقعيده ضاما الأشباه لنظيراتها، إلى المرجعية اللغوية المحكمة الضابطة لكل استعمال،

(١)- أمالي الشيخ المفيد: ص ٥٧. كفاية الطالب: ص ٦٤. كشف المهم: ص ١٠٩. بصائر الدرجات: ص ٢٠١. الغدير: ج ١ ص ١٩٣، ٢٩١. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٤١

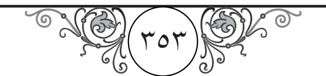
(٢)- ينظر: دراسات في البلاغة العربية والنقد الأدبي القديم: ٢١٥.

قال عن (ليس ولات) «واما أهل الحجاز فيشبهونها ب(ليس)؛ إذا كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها (لات) في بعض المواضع»؛ ومعنى هذا أن مستعمل اللغة في بيئة ما، ومن أجل أن يحقق مقصده من عملية القول، لا بد أن يراعي عرف البيئة التي يوجد فيها، وقد قدم صورا للمقبول من القول مع التعليل، عندما حصر أضرب الكلام في باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) فالمحال نحو أتيتك غدا، أو سأتيك أمس، وما ذلك إلا لعدم اصوليتها في نظام التأليف العربي.[(١)] فنجد الإشارات إلى المقام وضرورة مطابقة الكلام لملابساته وفي علاقة الموقف بالكلام تتولد فكرة الكفاءة، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الفكرة وهو يتحدث عن النوكي عندما لم يستخدم الكلام في الموقف الذي يستدعيه.[(٢)] ونجد ذلك في قول النبي(صلى الله عليه وآله): إِنَّهُ خَليفَةُ رَسُولِ اللهِ وَأَميرُ الْمُؤْمِنينَ وَالإمامُ الْهادي مِنَ اللهِ، وَقاتِلُ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ بِأَمْرِ اللهِ. يَقُولُ اللهُ: (ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ)(ق: ٢٩). بِأَمْرِكَ يا رَبِّ أَقُولُ: اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضِبْ عَلى مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ. اللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الآيَةَ في عَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيينِ ذلِكَ وَنَصْبِكَ إِيّاهُ لِهذَا الْيَوْمِ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينكُمْ

---

(١)-سعيد حسين بحيري، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، مكتبة زهراء الشرق، سنة٢٠١١.

(٢)- سيرل:الأحداث الكلامية:مدخل الى فلسفة اللغة ١٩٦٩. ص ٦٦-٦٧، ٣٥. وينظر، ٣٦. اللسان و الميزان، ٣٧. لطه عبد الرحمان، ٣٨. المركز الثقافي العربي، ٣٩. ط١، ٤٠. الدار البيضاء، ٤١. ١٩٩٨، ٤٢. ص٢٦١



وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (المائدة: ٣)، وَ قُلْتَ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ) (آل عمران: ١٩)،[1] نجد ابن جني الذي وضح أن طريقة الأداء الصوتي في التعبير قد تقوم وحدها في بيان المقصد والغاية مقام الكلام التام، فالصفة المحذوفة في (كان والله رجلا) غامضة، وغموضها الدلالي نابع من وجود الاحتمالين مدح أو ذم، ولكان رأى ابن جني أن أداء لفظ اسم الجلالة (الله) يؤدي دور الإفصاح عن معنى المدح، وقد تقوم حركة الوجه مقام الإدلاء والتعبير.

الخاتمة

وبهذا نجد أن التداولية بمفاهيمها الأساسية كالسياق، وغرض المتكلم، وإفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية يمكن أن تكون أداة من ادوات قراءة التراث العربي، وأن استخدام المنهج التداولي وتطبيقه في دراسة الظواهر التركيبية يساعدنا في إثبات وجود أصول للتداولية في تراثنا العربي

وتعني التداولية أيضا ب «العقد اللغوي» الذي يجب مراعاته لصالح عملية الخطاب بقصد التأثير؛ فالعقد هو القاسم المشترك بين طرفي الخطاب، انطلاقا من القاموس، أي الألفاظ وتواضعات ارتباطاتها بمدلولاتها وفق سنن الجماعة وصولا إلى قوانين التأليف، وهي قوانين

(١)- أمالي الشيخ المفيد: ص ٥٧. كفاية الطالب: ص ٦٤. كشف المهم: ص ١٠٩. بصائر الدرجات: ص ٢٠١. الغدير: ج ١ ص ١٩٣، ٢٩١. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٤١

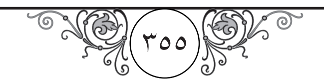
تركيبية محضة، ثم قوانين التأويل وهي ذات مسارات دلالية عالية أبعد من تعيين الملفوظات لمسمياتها في عالم الأشياء.

النص الأدبي بوصفه اتصالا يرى كثير من علماء اللغة إن النص هو حصيلة الكفاءة اللغوية لمؤلف بعينه، وقد عني علم اللغة النصي بتوصيف النص من الناحية الاتصالية، وفي النص الأدبي لا نجد المرسل الذي ينقل رسالته إلى المستقبل نقلا مباشرا كما هي الحال عادة، ولكننا نجد موقفا اتصاليا داخل موقف اتصالي آخر

تمتلك الجماعات الكلامية قوانين متفردة لتفسير الرسائل سواء اللفظية أو غير اللفظية، وقد كانت قوانين التفسير rules of interpretation من مكونات الكلام الجوهرية، فتختلف بين الأفراد من جماعات كلامية مختلفة، كما أنها تتبع نظم المعتقد في جماعة بعينها، وتختلف من ثقافة إلى آخرى وقد تختلف داخل المجتمع الواحد إذا كان من المجتمعات المتعددة الأشكال، ولا شك أن الوعي بتلك الاختلافات والحاجة إلى الفهم أمور هامة في الاتصال بين الثقافات. وهذا كان دور النبي(صلى الله عليه وآله)

ترى المقاربة التداولية والوظيفية بأن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حواري وإنجازي. وهنا، نتحدث بطبيعة الحال عن الدلالات الصريحة والضمنية. فالاستلزام الحواري يتعلق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي.

استمدت التداولية في جوهرها من فلسفة اللغة، لا سيما نظرية أفعال



الـكلام، واسـتمدت مـن تحليـل المخاطبـات ومـن الاختلافـات الثقافيـة في التفاعـل اللغـوي عـلى الشـكل الـذي تـراه العلـوم الاجتماعيـة. تعـد معـاني عرفيـة المعـاني المرتبطـة بالجملـة ارتباطـا يجعلهـا لاتتغـير بتغـير السـياقات. في حـين، تعـد معـاني حواريـة المعـاني التـي تتولـد طبقـا للسـياقات أو المقامـات التـي تنجـز فيهـا الجملـة. مـن المعـاني المتضمنـة عرفـا المعنـى المقتـضى أو الاقتضـاء، والمعنـى المسـتلزم منطقيـا أو الاسـتلزام المنطقـي.

المصادر:

١- الإتقـان في علـوم القـرآن، جـلال الديـن السـيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيـق: مركـز الدراسـات القرآنيـة، مجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصحـف الشريـف، السـعودية، (د. ت)، (د. ط).

٢ - كتـاب عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري - اسـتراتيجيات الخطـاب: مقاربـة لغويـة تداوليـة - دار الكتـاب الجديـد المتحـدة - ٢٠٠٤

٣- فيليـب بـلا نشيه، التداوليـة مـن أوسـتن إلى غوفـمان، دار الحـوار للنشر والتوزيـع، سـورية، ط١، ٢٠٠٧.

٤- دط، ١٩٨٥. فرانسـواز أرمينكـو، المقاربـة التداوليـة، ت: سـعيد علوش، مركز الإنـماء القومـي، د م ط،

- عمـر بلخـير، تحليـل الخطـاب المسرحـي في ضـوء النظريـة التداوليـة، منشـورات الاختـلاف، الجزائـر، ط١، ٢٠٠٣.

٥- محمد مصطفى أبو الشوارب، في اللغة والأدب، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، ٢٠٠٣م، (بحث: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، للدكتور: محمود نحلة).

٦- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، مكتبة ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦.

٧- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م.

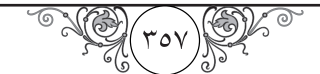
٨- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، دط، ٢٠٠٠م.

٩- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

. ١٠ - الجيلالي دالاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢م.

. ١١- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، ٢٠٠٦.

١٢- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.



١٣ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي ((عناصر استقصاء نظري))، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع١، يوليو، سبتمبر، ٢٠٠١.

١٤ – محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، وتطوّره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، ع٢، يناير، مارس، ٢٠٠٠ م.

Grice H. P. (١٩٧٥) “logic and conversation” in cole p and morgan j - (eds):٥٨-٤١

-Thomas J. A. (١٩٨٦) the dynamics of discourse: a pragmatic approach ta the analysis of confroutationnal interaction unpublished

Ph. D. thesis. department of linguistics muniversity of Lancaster أوردها مترجما الموسوعة اللغوية.

٤ -Parret H. Sbisa. M and Verschueren J (eds) (١٩٨١) Passibilities and limitions of pragmatics benyamins amisterdam

. -Sampson G. (١٩٨٢) “the economics of converstion: comments on joshi’s paper” in smish n v (ed)(١٠-٢٠٠ (١٩٨٢.

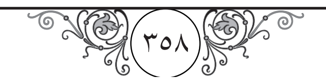
-Levinson S (١٩٧٩)”activity types of language” linguistics ١٧

٣٧٤ - جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العام، ترجمة: عبدP ٦/٥): ٣٦٥-٩٩) J. القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م

L. Austin:Quand dire c’est faire Editions du seuil Paris ١٩٧٠.

-١٥John R. Searle: les actes de langage Collection savoir Herman Paris ١٩٧٢.

-١٦Halliday M. A. K and R. Hassan: Cohesion in English. Longman. London. ١٩٧٦.



-١٧ H. Grice. (Logic and conversation) In Steven David (Ed) Pragmatics: A reader New York Oxford University press ١٩٩١.

-١٨O. Ducrot:(Analyse pragmatique) Communication ٣٢ ١٩٨١. ١

-١٩ Paul Ricoer: La métaphore vive. Seuil Paris ١٩٧٥.

-٢٠R. Jakobson: Essais de linguistique générale Minuit Paris ١٩٦٣.

-٢١W. James: le pragmatique traduction E. Le Brun Edition Flammarion ١٩٦٨.

-٢٢Weinrich Hharold: Le temps Seuil Paris ١٩٧٣.

-٢٣Wunderlish Dieter: (Pragmatique situation d’énonciation et deixis) Langages ٢٦ juin١٩٧٢.

بَلَاغَةُ الإقناعِ فِي التَّرَاكِيبِ المبدوءة بالقسم وَالنِّدَاءِ فِي خُطْبَةِ الْغَدِيرِ

م. م. آس عقيل كاظم

بدءاً نقرُّ بأنَّ الخطبةَ في مجملها بُنيتْ على أساسِ الإقناعِ الذي وظفَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ أدواتهِ توظيفاً مفادهُ الإشارة الحازمة إلى أحقيةِ الإمام عليٍّ عليهِ السلام بالخلافةِ بعده، مستنداً بذلكَ إلى جملةٍ من الآياتِ القرآنيةِ والأدواتِ التعبيريةِ، والألفاظ المساندة للمعنى والرابطةِ للفكرةِ، معَ التبليغِ الإلهيِّ القائلِ بضرورةِ وحتميةِ التبليغِ في ذلكَ اليومِ، إذْ إنَّهُ يومُ إعلانِ تمامِ الدينِ وكمالهِ، فلمْ يبقَ للناسِ همٌّ إلَّا معرفة من اللاحقِ المتابعِ لسنةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ، فبعدَ أنْ أرسلَ اللهُ تعالى رسولهُ بالهدى، لا يمكنُ أنْ يتركَ أمر اختيارِ الوصيّ والولي المتابعِ لأحكامهِ شورى والأخذِ بالرأي، فليسَ هذا موضع الاختيارِ، بلْ موضعُ الأمرِ والتنزيلِ والفرضِ، إذْ إنَّ الدينَ الإلهيَّ لا يخوضُ فيهِ إلَّا من نُصِّب بأمرِ الله تعالى؛ لأنَّ الخلافةَ بالإمامةِ كالنبوّةِ منْ حيثُ التنصيبُ الإلهيُّ والتعينُ الربانيُ، لا يخضعُ للرأي ولا الشورى المزعومة، وهنا يمكنُ متابعة ما في هذهِ الخطبةِ المباركةِ منْ وسائلَ للإقناعِ، والتي تهدفُ إلى إثباتِ القولِ وإقرارهِ في نفوسِ السامعين، فبعدَ أنْ ثبتَ أنَّ هذا العام هوَ عامُ الوداعِ لا بُدَّ أنْ يكونَ في نفوسِ المسلمينَ حيرة في أمرِ هذا الدينِ ومسيرتهِ، فلمْ يطلِ الأمرُ عليهم حتى جاءَ النورُ المبينُ للحقِّ والمزيل للشكِّ، كما لا

بُـدَّ مـن الإشـارةِ إلى أنَّ للحجـةِ دوراً أساسـياً مـنْ أجـلِ الإفهـامِ والإقنـاعِ لمـا كانَ المقـامُ ذا أهميـةٍ جليلـةٍ في الخطـابِ، فذلـك راجـعٌ لأثـرهِ البـارزِ في تبليـغِ المعنـى وتحقيـقِ المنفعـةِ الجليـةِ في إقنـاعِ وإفهـامِ المتكلـمِ، وهـذا مـا يجعلنـا نؤكـدُ علـى قضيـةٍ إلزاميـةٍ وهـيَ التكامـلُ بـينَ المقومـاتِ المكونـةِ لِلْخطـاب الشـفويِّ بمعنـى الخطبـةِ، ومراعـاة المقـام وأحـوالِ النـاسِ حتـى يتسـنى للمتكلـمِ بلـوغ الغايـةِ التـي ينشـدُ إليهـا، وهـذا واضـحٌ لكـونِ أنَّ المتكلـمَ صـلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ إنْ أرادَ تبليـغ مـراده والإبانـة عـن حجتـه، ومناضلـة منازعيـه، ومقارعـة خصومـه، وإفحـام معارضيـه، وإفهـامَ متلقيـهِ وتحقيـق الغايـةِ الأسـمى، التـي هـيَ الإقنـاعُ، لا بُـدَّ مـنْ السـيرِ علـى قـدرِ إفهـامِ المخاطبـينَ، والتمثـل لمقامهـم، والوعـي بأحوالهـم، مـنْ أجـلِ موازنـةِ الألفـاظِ، وإبـلاغ المعـاني، وترسـيخها في قلوبهـم، وميـل أعناقهـمْ، ومـن خطـةِ البحـثِ دراسـة النصـوصِ المبـدوءة بالقسـمِ والنـداءِ وتحليلهـا حجاجيـاً بـما يناسـبُ مقـامَ الإقنـاعِ المـراد مـن الخطبـةِ، ودراسـةِ مـا تشـتملُ عليـهِ هـذهِ النصـوص مـنْ أدواتٍ إقناعيةٍ مسـاندةٍ للقسـمِ والنـداءِ، وتأمـل الباحثـةُ الحصـولَ علـى النتائـجِ الآتيـةِ:

١. إنَّ الخطبةَ بنيتْ على أساسِ الإقناعِ.

٢. كثرت أساليب الإقناعِ فيها كثرة تتناسبُ معَ مقامِ الخطبةِ وأهميتها.

٣. للقسـمِ والنـداءِ حضـور كبـير أضـافَ للنـصِّ أهميـةً بلاغيـةً كبـيرةً كونـهُ صـادراً مـنْ نبـيٍّ هـذهِ الأُمَّـةِ والملقـبِ بالصـادقِ الأمـينِ.

٤. وجـودُ عنـاصرَ وأدوات إقناعيـة أُخـرى تتعاضـدُ مـعَ القسـمِ والنـداءِ في



النصـوصِ المختـارةِ بينـتْ أهميـةَ الأمـرِ المنـزلِ مـنْ اللهِ تعـالى.

كلمات مفتاحية: بلاغة الإقناع، خطبة الغدير، القسم، النداء.

لدراسـة بلاغـة الإقنـاع في الخطبـة أهميـة كـبرى لبيـان عظيـم الأمـر النـازل مـن الله تعـالى عـلى الرسـول الكريـم صـلَّى الله عليه وآلـه وسـلَّم في توليـة الإمام عـليٍّ عليـه السّـلام، إلَّا أنَّ ردَّ الفعـل المتوقـع مـن السـامعين كان معروفـاً عنـد الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، ممَّـا دعـاه إلى اسـتدعاء وسـائل الإقنـاع لبيـان أحقيـة الإمـام، وخطـورة تـرك الأمـر الصـادر مـن الله تعـالى، وكان مـن بـين هـذه الوسـائل القسـم والنـداء، لمـا لهـما مـن تأكيـد وإشـعارِ المقابـل بأهميـة الخطـاب بعدهمـا، ولا سـيما أنْ يكـون القسـم مـن الصـادق الأمـين، والنـداء يوحـي بأمـر مـا بعـده، وشـدّ انتبـاه المنـادى لـه.

بلاغة الإقناع:

البلاغـة مـرّت بخطـوات كبـيرة عـلى مسـار الدراسـات قديـماً وحديثـاً كانـت تـدرس كأسـاليب لغويـة لهـا أغـراض خاصـة، وأصبحـت اليـوم تدرس كحجـاج وتـداول غايتهـا إيصـال النـص إلى القـارئ، فالمبـدع عندمـا يكتـب أو يلقـي نصـاً لا يريـد إظهـار براعتـه في الأسـاليب البلاغـة، بـل يحـاول استعمالها كأداة لإيصـال غايتـه المعلنـة والخفيـة، فدراسـة أثـر التراكيـب في الإفصـاح عـن النوايـا، وكيـف يقنـع المتلقـي ويوجههـم التوجـه الـذي رسـمه لهـم.

الإقناع لغةً:

نجد في المعاجم العربية لجذر (ق. ن. ع) معنيين:

الأَوَّل: يقال قَـنَع (بفتح النون) فلان قنوعاً، أي سأل الناس الإحسان راضياً بالقليل(١)؛ أي التذلل(٢).

الآخر: قنِع (بكسر النون) قنعاً وقناعةً أي رضي بما أُعطي، وقنعني أي أرضاني(٣).

اصطلاحاً:

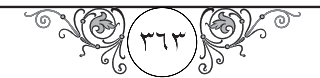
حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به، وقصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكريِّ أو العاطفيِّ عند المتلقي(٤).

أمَّا الإقناع عند القرطاجني هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده(٥)، أمَّا الخوارزمي فيقول: (ومعنى الإقناع أنْ يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدق به وإن لم يكن ببرهان)(٦).

وتكون بلاغة الإقناع عملية تدعو إلى تحليل الاعتناق وخطابات الاعتناق التي تؤشر بلوغ الغاية المرادة من الخطاب(٧).

ويشترط بعض الدارسين في تحقيق الإقناع ألَّا يكره المخاطب مخاطبه ولا يقمعه، وإنَّما يعتمد على أساليب الاستدلال المتنوعة في تحصيل مراده، وذلك بمشاركة المخاطب له واعتقاداته وأفكاره(٨).

ويمكن وصف الإقناع بأنَّه صرف ذهن الجمهور إلى تقبّل ما يقال، والسكون إليه، وإشباع عواطفه وإرضاء عقله بالحجّة والبرهان، وما



الاستمالة إلَّا كسب تأييد هذا الجمهور للقضية المعروضة، واستنتاجه لما يراد منه(٩).

الحجاج هو مجموعة التقنيات الخطابية الموجهة لإقناع المتلقي والرأي العام؛ لذا لا يمكن أنْ يخلو أيُّ خطاب من الإقناع، فهو شرط أساسٌ في الخطابة، لأنَّها إذا خلت من الأدلة المؤيدة للفكرة فإنَّها لا تؤدي الفرض الذي قيلت من أجله، حيث تصنّف استراتيجيات الخطاب بناءً على معايير معيّنة، كعيار الهدف من الخطاب وتتأسس عليه استراتيجية الإقناع(١٠).

كثرت وسائل الإقناع في خطبة الغدير كثرةً تتناسب مع الإنكار الشديد الذي زُرع في نفوس الناس، كرهاً لعليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وحسداً لآل هاشم بعد أنْ نزلت النبوّة فيهم، وخصّهم الله تعالى بالعلم والدين، وكرهوا محاباة الرسول لربيبه وابن عمِّه وزوج ابنته، ممّا ولَّد في نفس الرسول حذراً من الإفصاح عن أمر الله تعالى في تولية الإمام عليٍّ عليه السَّلام، خوفاً من أثر الحقد عليه وعلى أولاده من بعده، كونهم لم يتطهروا تماماً من آثام الجاهلية وطباعها.

ويختص البحث في دراسة النصوص المبدوءة بالقسم والنداء، وما فيها من أساليب تعضد القسم والنداء وتوضح قدرة هذه النصوص على بيان ما للإمام عليٍّ عليه السَّلام من فضل عند الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وأحقية الإمام بالخلافة والوصاية من الله تعالى، كونه صنو القرآن.

أولاً: القسم

ورد في معجم لسان العرب: (والقسم بالتحريك اليمين وكذلك المقسم، وهو المصدرُ مثل المخرج وأقسمتُ حلفتُ)(١١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة٧٥-٧٦).

والقسم اسم أُقيم مقام المصدر وموضِعه الذي حلف فيه(١٢).

ويأتي بمعناه الحلف(١٣) واليمين(١٤).

ومن بين أساليب الإقناع أنْ يبدأ النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قوله بقسم يثير فيه أذهان المستمعين إلى مصداقية الكلام اللاحق، مع أنَّه الصادق الأمين، إلَّا أنَّ عظم الموقف، وكبر إعراضهم، وكراهيتهم لما يأتي من القول، احتيج إلى القسم، وجاء متعاضداً مع بعض الأساليب الأُخرى؛ لزيادة الإقناع في الجملة والتراكيب اللاحقة، ويكون القسم بما يستعظم ذكره(١٥) ويستبشر بنطقه وما يؤكد الخطاب عند المتلقي(١٦).

ويأتي القسم لتوكيد معنى الجملة بعده وتقوية المراد منها(١٧)، إنَّ الحاجة بالمتكلم إلى القسم في خطابه، يعتمد على ما في ذهن المتلقي من وعي وتقدير لما يأتي في الخطاب من أُمور وبراهين وأدلة، فلو علم المتكلم أنَّ المخاطب خالي الذهن، مستسلم لما يسمعه ويلقى عليه، قادر على تجاوز ما في نفسه من شكوك، لما احتاج إلى إثبات كلامه بالقسم، مع أنَّه ثقيل على المتكلم لما فيه من كراهة الحلف واليمين.

النداء:

لغة: (بُعد الصوت، والنداء ممدود الدعاء برفع الصوت، وقد ناداه، ونادى به، وناداه مناداة ونداءً، أي صاح به، وتنادوا، أي نادى بعضهم بعضاً)(١٨)، وقيل وهو أندى صوتاً منه أي أبعد صوتاً(١٩).

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (سورة مريم:٥٢)، فقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنَّه كما ناداه ناجاه أيضاً، (فالنداء مخاطبة الأبعد والمناجاة مخاطبة الأقرب(٢٠).

النداء أُسلوب بلاغي يستعمله المتكلم ليشدَّ انتباه السامع بذكر اسمه، لجعله أداة استماع لكلِّ ما يرد بعد النداء، فيكون بذلك مطيعاً له مشدوداً لسماع ما بعد ذكر اسمه أو وصفه الذي وصف به، وكذلك يأتي النداء بذكر المنادى لتقوية النصِّ به وتقديمه بكونه اسماً متفائلاً به، أو طلب حضوره نفسياً وشعورياً.

والنداء هو نوع من الخطاب ولا يكون إلَّا في المهم من الأمر وهذا الأمر يتطلب استدعاء ومناداة المخاطب بواسطة أدوات خاصة تستعمل لمناداة المخاطب(٢١)، وقيل إنَّ أدوات النداء مثل أدوات التنبيه ليس لها وظيفة إلَّا التنبيه، إلَّا أنَّها أقوى تنبيهاً وأدعى لالتفات المخاطب وإسماعه للصوت(٢٢).

ومن أمثلة القسم في خطبة الغدير قوله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام:

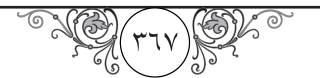
«وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْقائِلينَ بِذلِكَ بِأَسْمائِهِمْ لَسَمَّيْتُ، وَأَنْ أُومِئَ

إِلَيْهِـمْ بِأَعْيانِهِـمْ لأَوْمَـأْتُ، وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِـمْ لَدَلَلْـتُ، وَلكِنّـي وَاللهِ في أُمُورِهِـمْ قَـدْ تَكَرَّمْـتُ، وَكُلُّ ذلِـكَ لا يَـرْضَى اللهُ مِنّي إِلَّا أَنْ أُبَلِّـغَ مـا أَنْـزَلَ اللهُ إِلَيَّ في حَـقِّ عَـلِيٍّ، ﴿يـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ﴾- في عَـلِيٍّ - ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـما بَلَّغْـتَ رِسـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النّـاسِ﴾»(٢٣)، شـاهدنا هنـا في هـذا النـص قولـه: «وَلكِنّـي وَاللهِ في أُمُورِهِـمْ قَـدْ تَكَرَّمْـتُ»، جـاء القسـم هنـا متوافقـاً مـع السـياق كونـه يذكـر مـن ينكـر أحقيـة الإمـام و(يحمـل رسـالة تنبيهيـة بالاسـتماع إلى أمـرٍ مهـم جـاء مـن أجلـه أُسـلوب القسـم(٢٤)، وكذلـك يثبـت أنَّ الرسـول قـد علـم مسـبقاً بمـن خصّتهـم الآيـة الكريمـة: ﴿وَمِنْهُـمُ الَّذيـنَ يُـؤْذُونَ النَّبِـيَّ وَيَقُولُـونَ هُـوَ أُذُنٌ، قُـلْ أُذُنُ خَـيْرٍ لَكُـمْ، يُؤْمِـنُ بِـاللهِ وَيُؤْمِـنُ لِلْمُؤْمِنِـينَ وَرَحْمَـةٌ لِلَّذيـنَ آمَنـوا مِنْكُـمْ وَالَّذيـنَ يُـؤْذُونَ رَسُـولَ اللهِ لَهُـمْ عَـذابٌ أَليـمٌ﴾[1].

فالإبهـام والتكتـم في الآيـة وعـدم الإفصـاح كان للعامـة وليـس للخاصـة، فقسـم الرسـول هنـا لبيـان معرفتـه التامّة بشـخوصهم، كونهـم يعلمون أنفسـهم إلَّا أنَّهـم يظنـون بـأنَّ خبرهـم خـافٍ عـن الرسـول، فمـن قالهـا معـروف عنـد الرسـول وعنـد أمـير المؤمنـين والخاصـة مـن أصحـاب الرسـول(٢٥)، فكلمـة ﴿أُذُنُ﴾ تعنـي السـامع لـكلِّ أحـد والآخـذ بـكلِّ رأي(٢٦).

ونـرى تعاضـد بعـض الأسـاليب نحـو الـشرط في بدايـة الفقـرة «لـو شـيئت» فإنَّـه يشـدُّ أذهـان السـامعين إلى مـا بعـد الـشرط، والـشرط في اللغـة العربيـة وقـوع أمـر كان متوقفـاً عـلى وقـوع أمـر سـابق، (وقـوع الـشيء لوقـوع

(١) التوبة، الآية: ٦١.



غيره)(٢٧)، أو عدم وقوعه إذ هو: (تعليق الشيء على شرط، إنَّما هو وقوف دخوله في الوجود علّة دخول غيره في الوجود)(٢٨)، فحين سماع المخاطب الشرط، ويعلم بحصوله، يتيقن بحدوث الجواب والنتيجة، إذ لا شرط من غير جواب، فلا تكتمل الجملة الشرطية إلَّا بالشرط والجواب(٢٩)، وهذا أُسلوب المتكلم في إثبات وتأكيد حصول الجواب حتماً، محاولاً إقناع المستمع وإزالة الشك عنه.

ونجد استعمال نص الشرط بـ(لو) «وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْقائِلِينَ» في أَوّل النص، قد بث هنا إيحاءً شديداً واضحاً، لإقناعهم بعلمه بما يخفون في نفوسهم، معضداً ذلك بدلالة أداة الامتناع لوجود، فهو لم يشأ أنْ يُخبر بما علّمه الله بالذي في نفوسهم، إلَّا أنَّه فضحه أمامهم، وستره أمام الناس، ولو تستعمل مع المضي لإثبات الشرط(٣٠)، وفي هذا بلاغة قوية محاولة لإقناعهم بصدق دعواه بأحقية الإمام بالخلافة الإلهية، إذ إنَّ أكثر المشككين بهذا البلاغ هم من ينصبون العداء باطناً للرسول وآل بيته، والحقِّ المنزل عليهم وفيهم، فإثبات الأمر لهم أَولى من إثباته لغيرهم.

ونجد تكرار لفظ الجلالة في النصِّ أربع مرات، وهذا التكرار يقوّي القسم؛ لأنَّه بلفظ الجلالة نفسه (الله)، ويعظم دلالة القسم ويقنع السامع بالأمر المراد تبليغه ويكون بـ(تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصدهُ الناظم في شعرهِ أو نثرهِ)(٣١)، وإنَّ القسم يتسم بالإيجاز، فهو قصير الألفاظ كثيف المعاني، ممَّا يجعل منه عنصر تشويق للتواصل مع النص، ومن ثَمّ تأدية الغرض المراد منه(٣٢)،

هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أُخـرى فـإنَّ التكـرار في الآيـة يؤكـد النـصَّ ويجعلـه مثـيراً في ذهـن المتلقـي، فهـو إنْ لم يسـمع الأُولى سـمع الثانيـة وهكـذا، ممَّـا يجعل النـصَّ مبنيـاً عـلى أسـاس الإقنـاع الحسّي والصـوتي والعقـلي.

إذ إنَّ التكـرار لا يوفـر للنـصِّ قيمـةً معنويـةً فقـط، بـل إنَّـه يوفِّـر قيمـة موسـيقية يحتاجهـا المتكلـم لجـذب مسـامع المتلقـي والتأثـير فيـه؛ (لأنَّ تكـرار اللفـظ يفيـد قـرع الأسـماعِ وإثـارة الأذهـان)(٣٣)، كـما أنَّـه يمثـل قيمـة نغميّـة يحدثهـا هـذا الترجيـح للألفـاظ وضمـن وحـدات زمنيـة قـد تطـول أو تقـصر، وإلى هـذا أشـار السـكاكي (ت٦٢٦هــ)، إذ عـدَّ قيمـة التكـرار تكمـن في ترجيع النغـم وجعلـهِ فنـاً مـن فنـون الـكلام(٣٤)، المؤثـر في النـاس كونـه يلقـي خطابـاً بالـغ الأهميـة والخطـر، عليـه تؤسـس ملامـح هـذه الأُمَّـة مـن بعـده، فإمَّـا النجـاة أو الهـلاك.

ومـن أمثلـة النـداء قولـه عليـه وعـلى آلـه أفضـل الصـلاة والسَّـلام: «بِأَمْـرِكَ يـا رَبِّ أَقُـولُ اللّهُـمَّ والِ مَـنْ والاهُ وَعـادِ مَـنْ عـاداهُ وَانْـصُرْ مَـنْ نَـصَرَهُ وَاخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ وَالْعَـنْ مَـنْ أَنْكَـرَهُ وَاغْضِـبْ عَـلى مَـنْ جَحَـدَ حَقَّـهُ، اللّهُـمَّ إِنَّـكَ أَنْزَلْـتَ الآيَـةَ في عَـلِيٍّ وَلِيِّـكَ عِنْـدَ تَبْيـينِ ذلِـكَ وَنَصْبِـكَ إِيّـاهُ لِهـذَا الْيَـوْمِ»(٣٥)، نجـد الرسـول الكريـم اسـتعمل النـداء بقولـه «يـا ربّ» مسـتعيناً بحضـوره في نفسـه كشـاهد حـاضر لمـا يقولـه، وكذلـك قولـه «يـا رب» و«اللهـم» لهـا أثرهـا الكبـير في نفـوس السـامعين إذ يتضـح عظـم الأمـر الملقـى.

فالنـداء هنـا ألقـى الحجّـة عـلى السـامعين بصـدق دعـوى المُلقـي، فتكـون حجّـة كـبرى وعلامـة إقنـاع مهمّـة يقدمهـا المتكلـم، إذ للنـداء معنيـان

المكسور أَوّله النِداء من الصوت ممدود، والمضموم أَوّله النُداء: بمنزلة الدعاء(٣٦)، فعند جمع المعنيين يعطي صورة أوضح، إذ علو الصوت يمثل البُعد الجوهري بين موقف النبيِّ الأكرم وموقف المستمعين المنكرين لما جاء بالإمام عليٍّ عليه السَّلام، وأيضاً الدعاء من النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للناس أنْ يوجهوا قلوبهم لكلامه وأوامره، والطلب من المستمعين أن يستمعوا وينصتوا له.

وأمَّا ما يعاضد هذا النداء في النصِّ فكثير منها ضمائر الخطاب الظاهرة والمستترة التي تشير إلى البارئ العزيز، كما في «بأمرك» و«إنَّك»، و«أنزلتَ»، والمستترة في «عادِ»، و«انصر»، و«واغضب» وغيرها، فهذا ينقل الخطاب إلى مستوى عالٍ من المصداقية والأهمية والإقناع، فقد ترك النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله خطاب الناس وسما إلى خطاب منزِلِ الأمر المنصب للإمام خطاب الله تعالى.

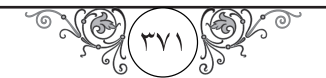
وبعد إيراد أدلة وشواهد كثيرة على أحقية الإمام، والاستشهاد بآيات ومواقف حصلت في واقع صدر الإسلام في مكة والمدينة قال عليه الصلاة والسلام مخاطباً بصيغة النداء، مع القسم: «مَعاشِرَ النّاسِ، بي وَالله بَشَّرَ الأَوَّلُونَ مِنَ النَّبيّينَ وَالْمُرْسَلينَ، وَأَنَا وَالله خاتَمُ الأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ، وَالْحُجَّةُ عَلى جَميعِ الْمَخْلُوقينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَالأَرَضينَ، فَمَنْ شَكَّ في ذلِكَ فَقَدْ كَفَرَ كُفْرَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى، وَمَنْ شَكَّ في شَيْءٍ مِنْ قَوْلي هذا فَقَدْ شَكَّ في كُلِّ ما أُنْزِلَ إِلَيَّ، وَمَنْ شَكَّ في واحِد مِنَ الأَئِمَّةِ فَقَدْ شَكَّ فِي الْكُلِّ مِنْهُمْ، وَالشّاكُ فينا فِي النّارِ»(٣٧)، وورد في الخطبة النداء بقوله

(معاشر الناس) ثماني وخمسون مرّة، وفي هذا النداء إشارات عدّة منها أنَّه حذف أداة النداء؛ وذلك لأنَّه أراد الإشارة إلى قربهم منه(٣٨) والتفاتهم عليه، وتأكيداً على أنَّهم في مرأى ومسمع منه، وإنَّ كلمة (معاشر) تدلُّ على الجموع المستمعة له، وهذا يشير إلى أنَّ هذا الأمر قد أُبلغ لعدد كبير من الناس ولا يمكن نكرانه بعد ممات الرسول الكريم، وكونه أَسمع الجميع بالأمر المنزل.

وتكرار القسم في النصِّ يساعد السامع على ترسيخ فكرة المتكلم في ذهنه، وجاعلاً منه أداة استماع وتطبيق مستعدة للتخلي عن أيِّ فكرة قد تراوده في دحض المسموع، بل الانقياد له طوعاً، إذ جاء القسم كقوّة عظمى مسلّطة عليهم جميعاً، إذ لم يأتِ القسم على أُمور غيبية غير معلومة لديهم، بل جاء مسنداً إلى آياتٍ بيناتٍ يعلمها كلُّ الحاضرين، علماً لا يمكن إنكاره.

استدلال الرسول بصدق كلامه بكونه خاتم النبيين والمُبشَّر به في جميع الأزمان، مقوياً كلامه بالقسم المكرر مرتين وتقديم الضمير (أنا) في قوله «أنا والله خاتم الأنبياء»، فابتداء الجملة بـ(أنا) يعطي الكلام قوّة وإيحاءً بالثقة، كونه يخبر بأُمور واقعة وليست غيبية، وهي معروفة لدى الجميع، وإنْ أنكرها المنافقون والكافرون، إلَّا أنَّها حقيقة عليهم تقبلها.

ومن الوسائل التي وجدت في النص والتي تعطي قوة إقناع كبيرة هي استعمال الشرط، إذ نجد ثلاث جمل شرطٍ متتابعةٍ توضح عظم النبأ الكبير الذي أُلقي عليه وعليهم، إذ يعادل الشك والتشكيك في خبر الولاية



الكفر بالله وبالإسلام والدين، ذلك الأمر المنزل بعد حجّة الوداع، في الساعات التي ينتظر بها العالم الإسلامي سماع آخر وصايا الرسول العامّة، فجاء الأمر باتباع الخليفة المسند خبره إلى الله تعالى، ولم يكن الأمر تحديد الوصي فقط، بل تحديد الأئمة من ولده ومعرفة الناس لهم، حتى يكون حجّة أمام الله بإبلاغهم فنلاحظ قوله: «في واحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ»، إذ إنَّ التبليغ عام ومحدد في آن واحد، وذلك بإبلاغهم أنَّ النبوَّة انتهت في شخص الرسول؛ لأنَّ الولاية من بعده مستمرة في ابن عمِّه وأولاده، والخصوصيّة في تحديد هذا اليوم لأخذ العهد على ولاية الإمام، وتارك كلِّ هذا في النار.

ونجد تكرار الشكِّ في النصِّ السابق خمس مرات بصيغة الفعل ومرَّة باسم الفاعل؛ (لأنَّ المتكلّم يعدُّ مدلوله ووقوع معناه شرطاً لتحقيق مدلول الجواب ووقوع معناه، ولا يمكن عنده أنْ يتحقق معنى الجواب ويحصل إلَّا بعد تحقّق معنى الشرط وحصوله، إذ لا يتحقق المشروط إلَّا بتحقق شرطه)، وفي هذا النصِّ أفادت مفردة الشكِّ ما لمسه الرسول الكريم في تلك اللحظة من الخطاب، من إنكارٍ كبير، وتلفّت واضحٍ على ملامح السامعين، حتى أنَّه كررها ست مرات ليخرج الشكَّ من باطنهم، ويبرز على ظاهرهم، كحقيقة لا بُدَّ منها، فحين تترسخ في ذهنهم هذه المفردة وهذا الشعور، يبدؤون بمعالجتها من الرسول، مع جملة من الآيات القرآنية والأدلة الماديّة والأحداث التي تثبت أَحقية الإمامة في شخص الإمام عليٍّ عليه السَّلام فقط دون غيره.

وعندما أراد الرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيان ولايته

عليه السَّلام على الخلق قال: «فَاعْلَمُوا مَعاشِرَ النّاسِ ذلِكَ فيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإماماً فَرَضَ طاعَتَهُ عَلَى الْمُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ وَعَلَى التّابِعينَ لَهُمْ بِإحْسان، وَعَلَى الْبادي وَالْحاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، وَعَلى كُلِّ مُوَحِّد ماضٍ حُكْمُهُ، جازٍ قَوْلُهُ، نافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعُونٌ مَنْ خالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطاعَ لَهُ»(٤٠)، النداء هنا إثارة لمن صدَّ عن الإنصات بسمعه، وتقديم الفعل (اعلموا) على النداء إبلاغ مباشر بالأمر، إذ الغالب أنْ يقدّم النداء على الطلب والأمر، لكن هنا التقديم أوضحَ عناية الرسول بالأمر وإبلاغه ومن ثمَّ إعلان المخصوص بهذا الأمر.

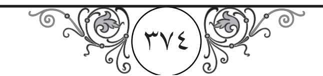
وتكرار الفعل (اعلموا) فيه إشارة إلى أهمية الخبر المراد ذكره بعد النداء، وأكد العلم بالفهم، فهو ليس استماعاً فقط، بل التنعم بالعلم وفهمه وإدراكه، قائلاً: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإماماً فَرَضَ طاعَتَهُ»، وهذه الطاعة مفروضة على الفئات التي ذكرها وهم: (المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، البادي والحاضر، والعجمي والعربي، والحر والمملوك، والصغير والكبير، والأبيض والأسود، وكُلِّ مُوَحِّد)، لم يترك الرسول أحداً لم يشمله بوجوب الاتباع والطاعة، حتى تكون حجة، فهو ليس لمن سمع فقط، بل لكلِّ موحد في كلِّ زمان ومكان، وذلك بخطاب يراد منه الخلود مدى الأزمان؛ ليكون حجة عظمى، متداولاً في كلِّ مكان وعلى كلِّ لسان فيكون تداول الكلام جامعاً لمعنيي التواصل



والتفاعـل(٤١).

وفي نـصٍّ آخـر تعاضـد القسـم مـع النـداء في إثبـات مـا أراد بيانـه المتكلـم، في لحظـة رفـع النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم سـاعد خليفتـه المبـارك لبيـان علـم الـوصي وكونـه أعلـم النـاس في القـرآن، والفاصـل بـين محكمـه ومتشـابهه: «مَعـاشِرَ النّـاسِ، تَدَبَّـرُوا القُـرْآنَ وَافْهَمُـوا آياتِـهِ، وَانْظُـرُوا إلى مُحْكَماتِـهِ وَلا تَتَّبِعُـوا مُتَشابِهَهُ، فَـوَاللهِ لَـنْ يُبَـيِّنَ لَكُـمْ زَواجِـرَهُ وَلَـنْ يُوضِـحَ لَكُـمْ تَفْسـيرَهُ إلَّا الَّـذي أَنَـا آخِـذٌ بِيَـدِهِ وَمُصْعِـدُهُ إلَيَّ وَشـائِلٌ بِعَضُـدِهِ وَرافِعُـهُ بِيَـدي وَمُعْلِمُكُـمْ... أَنَّ مَـنْ كُنْـتُ مَـوْلاهُ فَهـذا عَـلِيٌّ مَـوْلاهُ، وَهُـوَ عَـلِيُّ بْـنُ أَبي طالِـب أَخـي وَوَصِيّـي، وَمُوالاتُـهُ مِـنَ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ أَنْزَلَهـا عَـلَيَّ»(٤٢)، إذ بُنـي النـصُّ عـلى القسـم الـذي حمـل معـه قـوّة اللفـظ وتأكيـد مـا سـيأتي بعـده مـن وقائـع غـير قابلـة للشـك، كونهـا سُـبقت بقسـم عظيـم مـن لسـان أقـدس إنسـان عـلى الأرض، شـخصّ النـصُّ هنـا حاجـة المسـلمين لـوصيٍّ يتابـع مـا جـاء بـه النبـيُّ ليخلفـه في بيـان الأحـكام وتفسـير القـرآن الكريـم قائـلاً: «لَـنْ يُبَـيِّنَ لَكُـمْ زَواجِـرَهُ وَلَـنْ يُوضِـحَ لَكُـمْ تَفْسـيرَهُ... »، وقولـه (زواجـره) أي تحديـد أوامـر الله ونواهيـه في القـرآن.

واسـتعمال أداة النصـب (لـن) أداة إقنـاع شـديدة التأثـير في النفـوس، فهـي مـع نفيهـا للمسـتقبل إشـارة لتأكيـد النفـي مطلقـاً، ففـي قولـه: (لـن يبـين، ولـن يوضـح) توكيـد لنفـي البديـل عـن الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام في بيـان القـرآن الكريـم، وبعدهـا حـدد المخصـوص بالتفسـير والبيـان بالإشـارة واللفـظ، فلـم يكتـفِ الرسـول الكريـم صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم برفـع يـد الإمـام



عليٍّ عليه السَّلام، وقد يكون المذكور السابق للنصِّ هو المبين الأساس لإقناع المتلقي، فمثلاً يؤسس الرسول قاعدة عامّة يبني عليها ما يريد الذهاب له فيما بعد، ويتمثل هذا في قوله عليه الصلاة والسَّلام: «لأَنَّه قَدْ أَعْلَمَني أَنّي إنْ لَمْ أُبَلِّغْ ما أَنْزَلَ إلَيَّ في حَقِّ عَلِيٍّ فَما بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لي تَبارَكَ وَتَعالى الْعِصْمَةَ مِنَ النّاسِ وَهُوَ اللهُ الْكافِي الْكَريمُ»(٤٣)، هذا النصُّ يُعدُّ قاعدة منطقية لقوله فيما بعد: «مَعاشِرَ النّاسِ، ما قَصَّرْتُ في تَبْليغِ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى إلَيَّ، وَأَنا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيةِ...»(٤٤)، فالنداء هنا لشدِّ انتباه الناس، وكأنَّه يقول أسمعتم ما قيل سابقاً؟ فإنَّ تفسير الآية واضح لكم، ومفصل حين نزول الآية.

في الشرط الذي توسط النصَّ نجد ترابطه مع أطراف النصِّ السابقة واللاحقة، فالعلم الذي أخبر به هو الشرط والضمانة التي وعد بها الرسول الكريم متوقفة على الشرط المذكور، فقوله: «إنْ لَمْ أُبَلِّغْ ما أَنْزَلَ» فإنَّ الشرط بـ(إن) يشير مسبقاً إلى حتمية التبليغ، كونه هو المبلِّغ المرسَل من الله، فكيف يترك التبليغ فإنَّ سامع الشرط في أَوّله يتوقع نتيجته؛ كون المتحدث لا يمكنه عصيان ما أُبلغ به، وذلك أنَّ الفعل المضارع المسبوق بـ(لم) قد انقلب زمنه للماضي أي أصبح الشرط ماضياً،أي متحقق زمناً(٤٥).

فجاءت أداة النفي والجزم (لم) متناسبة مع الشرط والجزاء اللاحق له في قوله «فَما بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ»، فإبلاغه بإمامة الوصي عليه السَّلام، كان يقابل إبلاغه بالرسالة الكبرى للإسلام، فبهذا الشرط وجَّه النبيُّ الأكرم أذهان

الناس إلى حقيقة واحدة هي أنَّ من تمام الدين وإكمال الرسالة الإسلامية الولاية للإمام عليٍّ عليه السَّلام، فمن غير الإقرار بها لا تمام للدين ولا ارتباط بالإسلام، فإقناع الناس بأحقيّة التبليغ بالخلافة جاء بأُسلوب الشرط مع الجزاء، مضمناً كلامه قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾[1]، ومفسراً له بأُسلوب الإقناع، ومقرباً إيّاه لذهن السامعين، إذ إنَّه خصص التبليغ بأمر محدد، وهو إبلاغ الناس بالخلافة وتحديد شخصها بالإمام عليٍّ عليه السَّلام، وهذا أحد أَساليب الإقناع بذكر الآيات، إذ يزيد من قبول الآخر للأمر كونه مؤيداً من الله بأدلّة قرآنية واضحة.

ونلحظ تعاضد ما جاء بعده في قوله «وَقَدْ ضَمِنَ لي... الْعِصْمَةَ مِنَ النّاسِ»، فالحذر الذي أصاب الرسول في إنكار الناس للأمر المبلَّغ حتى قال: «إنَّ جَبْرَئيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُني»، فتكررا الأمر دلالة إلى حذر الرسول من التبليغ في أَوّل الأمر خوفاً على ابن عمِّه من بطش المنافقين، وحذراً على أُمَّته من التشتت، ومخالفة أمر الله، وهذا ما يجلب الويلات وغضب الله، فإنَّ بعد الشرط وجوابه جاء الضمان بأنْ يحفظ الله دينه ورسوله وخليفته من الناس ويثبت الحقَّ فيهم.

النتائج:

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ومن جملة النتائج التي خرج بها البحث هي:

١. إنّ الرسـول الكريـم بنـى خطبتـه عـلى أُسـلوب الإقنـاع، مسـتعملاً أسـاليب وأدوات إقناعيـة كثـيرة.

٢. كان للقسم والنداء الحصة الأكبر من الأساليب.

٣. تقديـم النـداء والقسـم في أَوّل النصـوص إشـارة واضحـة مـن النبـيِّ محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم إلى إلفـات المتلقـي والإنصـات مـن أُولى أساسـيات الخطـاب.

٤. إنَّ التراكيـب المبـدوءة بالقسـم والنـداء اسـتعانت بأسـاليب أُخـرى لإثـارة المتلقـي، واسـتحضار ذهنـه لإفهامـه وتأكيـد الخطـاب.

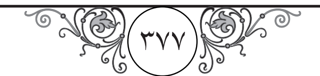
٥. كان الـشرط والتقديـم والتأخـير والتكـرار مـن أهـم الأسـاليب المساعدة التـي وردت في هـذه السياقات.

٦. التأكيـد بذكـر آيـات قرآنيـة كان أُسـلوباً واضحـاً مـن الأسـاليب التـي وفّرهـا النبـيُّ محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم، إذ كانـت الآيـات حـاضرة بشـكل لافـت أسـهمت بإقنـاع المتلقـي بتأكيـد الخـبر المنـزل.

المصادر:

القرآن الكريم

١. أدوات النـداء (دراسـة نحويّـة ولغويّـة) في كتـاب الموطـأ للإمـام مالـك، مجلـة جامعـة الأنبـار للعلـوم الإسـلامية، المجلـد الرابـع، العـدد الرابـع عـشر،



كانـون الأول ٢٠١٣م.

٢. أسـاس البلاغـة، الزمخشري، تحقيـق: محمـد باسـل عيـون السـود، دار الكتـب العلميـة، ط١، بـيروت، لبنـان، ١٩٩٨م.

٣. أُسـلوب الـشرط والقسـم مـن خـلال القـرآن الكريـم، صبحـي عمـر شـو، دار الفكـر، ط١، عـمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤. أُسلوب القسـم الظاهـر وأثـره في بنـاء النـصِّ القـرآني سـورة العاديـات أُنموذجـاً، م. م. أفـراح ذيـاب صالـح، مجلـة كليـة التربيـة للبنـات، مـج ٢٠(٢) ٢٠٠٩.

٥. آليـات الإقنـاع في الخطـاب القـرآني (سـورة الشـعراء أُنموذجـاً) دراسـة حجاجيـة، هشـام بلخـير، رسـالة ماجسـتير.

٦. بحـار الأنـوار، العلـم العلامـة الحجـة فخـر الأُمَّـة المـولى الشـيخ محمّـد باقـر المجلسي (قـدس الله سره)، النـاشر: مؤسسـة الوفـاء، بـيروت، لبنـان.

٧. البرهـان في علـوم القـرآن، الزركـشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيـق: محمـد أبي الفضـل إبراهيـم، ط١، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، عيسـى البـابي الحلبـي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧.

٨. البلاغـة والأُسـلوبية نحـو أُنمـوذج سـيميائي لتحليـل النصـوص، هنـري بليـث: ترجمـة وتقديـم وتعليق: محمـد العمـري:١٠٢.

٩. تـاج العـروس، الزبيـدي، تحقيـق: إبراهيـم الـترزي، ط١، الكويـت، ٢٠٠٠م.



١٠. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، العراق، دار الرشيد للنشر، مطبعة دار الحرية، ١٩٨٠.

١١. الخطابة في صدر الإسلام.

١٢. خطبة الغدير النص الكامل، محمد باقر الأنصاري، مركز المنتظر الثقافي.

١٣. شرح المفصل، ابن يعيش النحوي ت(٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.

١٤. في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، الناشر المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٥. في النحو العربي، نقد وتوجيه، المخزومي، ط١، بيروت، ١٩٦٤، منشورات المكتبة العصرية.

١٦. في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٧. القسم في معاني القرآن وإعرابه للزجاج دراسة تداولية، سميرة قربع، جامعة محمّد خضير بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ١٤٣٦هـ/ ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م / ٢٠١٦م.

١٨. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ١٩٧٥م: ٢، ٢٣٠.





١٩. لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمّد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د. س).

٢٠. المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د. ت.

٢١. مختار الصحاح، الرازي، المطبعة الكلية، ط١، مصر، ١٣٢٩هـ.

٢٢. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، د. ط، د. ت.

٢٣. معجم تحليل الخطاب بتريك شارودو ودومينيك ماثغونو، ترجمة عبد القاهر المهري وحمادي صمود.

٢٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السّلام محمّد هارون، الناشر، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥. مفاتيح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨٧- ١٩٨٧م.

٢٦. المقتضب، المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت.

٢٧. المقصور والممدود، ابن ولّاد، أبو العباس أحمد بن محمّد بن الوليد



التميمي المصري (المتوفى: ٣٣٢هـ)، تحقيق: بولس برونله، الناشر: مطبعة ليدن، ١٩٠٠ م.

٢٨. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، معتصم بابكر مصطفى، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعيّة والشؤون الدينيّة في دولة قطر، ط١، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م.

٢٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنى، تحقيق: محمّد الحبيب بن الخوجة، الناشر: الدار العربية للكتاب بتونس، ط ٣ - ٢٠٠٨م.

٣٠. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥ مصر (د. س).

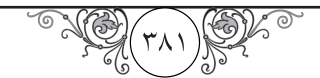
٣١. ينظر، آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أُنموذجاً دراسة حجاجية، رسالة ماجستير، هشام بلخير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: ١٤٣٢هـ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م، ٢٠١٢م.

الهوامش

١- ينظر: المعجم الوجيز مادة (قنع).

٢- ينظر: لسان العرب: مادّة (قنع).

٣- ينظر: لسان العرب مادّة قنع، وأساليب الإقناع في القرآن الكريم: ١٩-٢٠.





٤- ينظر: البلاغة والأُسلوبية نحو أُنموذج سيميائي لتحليل النصوص: ١٠٢.

٥- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٠.

٦- مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأنباري: ١٧٧.

٧- ينظر: معجم تحليل الخطاب: ٤١٩.

٨- ينظر: في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٣٨.

٩- ينظر: الخطابة في صدر الإسلام: ١/ ١.

١٠- ينظر: آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء أُنموذجاً) دراسة حجاجية: ٣١.

١١- لسان العرب مادّة (ق س م).

١٢- تاج العروس: مادة (ق س م) ٢٦٩.

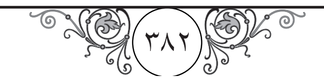
١٣- ينظر: أساس البلاغة: ١/ ٢٠٨، ولسان العرب: مادة (ح ل ف).

١٤- مختار الصحاح: مادّة (ح. ل. ف): ٥٥٧.

١٥- القسم في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، دراسة تداولية:١٥.

١٦- أُسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم: ٧٥-٧٦.

١٧- ينظر: النحو الوافي: ٤/ ٤٨٣، والقسم في معاني القرآن وإعرابه للزجاج دراسة تداولية: ٢٥.



١٨- لسان العرب: مادّة (ندى): ٢٠/ ١٨٧.

١٩- ينظر مقاييس اللغة:٥/ ٤١٢.

٢٠- ينظر: أساس البلاغة:٩٤٦، والبرهان:٢/ ٣٢٤.

٢١- ينظر: أدوات النداء (دراسة نحوية ولغوية) في كتاب الموطأ للإمام مالك: ٣٣١.

٢٢- ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٣٠٢، وأدوات النداء (دراسة نحوية ولغوية) في كتاب الموطأ للإمام مالك:٣٣٣.

٢٣- بحار الأنوار: ٣٧، ١٣١، وخطبة الغدير النص الكامل: ٣٤-٣٥.

٢٤- أُسلوب القسم الظاهر وأثره في بناء النصّ القرآني سورة العاديات أُنموذجاً، م. م. أفراح ذياب صالح، مجلة كلية التربية للبنات مج ٢٠(٢) ٢٠٠٩.

٢٥- ينظر: بحار الأنوار: ٣٨، ٣٠٠.

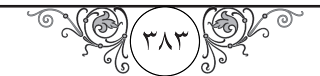
٢٦- ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٧٦.

٢٧- المقتضب، المبرد:٢/ ٤٦.

٢٨- شرح المفصل، ابن يعيش، ٩/ ٦.

٢٩- ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٨٦.

٣٠- ينظر شرح المفصل:٣٢٠، والبرهان في علوم القرآن:٤/ ١٠٨.



٣١- جرس الألفاظ:٢٣٩.

٣٢- ينظر: أُسلوب القسم الظاهر وأثره في بناء النصِّ القرآني سورة العاديات أُنموذجاً، م. م. أفراح ذياب صالح، مجلة كلية التربية للبنات، مج ٢٠(٢) ٢٠٠٩.

٣٣- المثل السائر: ٣، ١٥.

٣٤- ينظر: مفتاح العلوم: ٢٢٨.

٣٥- بحار الأنوار: ٣٧، ٢١٠، وخطبة الغدير: ٤٢.

٣٦- ينظر: المقصور والممدود: ١٢٥.

٣٧- بحار الأنوار: ٣٧، ٢٠٨، وخطبة الغدير، الأنصاري: ٣٨.

٣٨- ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢، ٢٣٠، وشرح المفصل:٢/ ١٥.

٣٩- النحو الوافي:٤/ ٣٢٢.

٤٠- بحار الأنوار: ٣٧، ١٣٢، و٣٧، ٢٠٧، و خطبة الغدير:٣٥.

٤١- ينظر آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أُنموذجاً دراسة حجاجية: ٣.

٤٢- بحار الأنوار: ٣٧، ١٣٢، وخطبة الغدير: ٤٠.

٤٣- خطبة الغدير: ٣٢.

٤٤- خطبة الغدير: ٣٢.

٤٥- المقتضب، المبرد: ٢/ ٤٩.



المحتويات